اليوتوبيا الواقعية في التصور الإسلامي للنسق المجتمعي: دراسة تحليلية في ضوء أهداف التربية الإسلامية

دكتور

محمد محمد أحمد عبد الخالق

مدرس أصول التربية – كلية التربية بنين بالقاهرة – جامعة الأزهر

MohammedAbdulkhaliq1502.el@azhar.edu.eg

مستخلص:

استهدفت الدراسة بيان ملامح اليوتوبيا الواقعية في التصور الإسلامي للنسق المجتمعي من خلال مقاربة تربوية بين اليوتوبيا، وما تحتويه في جنباتها من مثالية وواقعية معًا وأهداف التربية الإسلامية وما تتضمنه من طابع جامع بين الجانب المثالي والواقعي لليوتوبيا ؛ لتكون تلك المقاربة أيقونة فكرية لاقتراح صيغ وأنماط ثقافية جديدة تسهم في وضع حجر الأساس لبناء مشروع يوتوبي واقعي وفق التصور الإسلامي للنسق المجتمعي ، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي؛ من أجل التعمق في قضية اليوتوبيا وربط العلاقات بينها وبين أهداف التربية الإسلامية ، بالإضافة إلى المنهج الاستنباطي؛ لاستنباط دعائم وخصائص النسق المجتمعي في التصور الإسلامي وأهداف التربية الإسلامية كما يعكسها ذلك التصور والمتضمَّنة جميعها في مصدَرَي التشريع الأساسيين: القرآن، والسُنّة النبوية ، وتوصلت الدراسة إلى جملة من الاستخلاصات والنتائج التي تعبِّر عن واقعية النموذج الجامع للفكرة الإسلامية حول المجتمع الفاضل وقابليتها للوجود ؛ ولذا فقد أوصت بأن تكون تلك المحاولة نبراسا لنا في واقعنا المعاصر عند توفر الإرادة لبناء مجتمع فاضل، يقوم على الفلسفة الإسلامية فيجمع بين أصالة الفكرة ومعاصرة تطبيقها.

الكلمات المفتاحية : اليوتوبيا الواقعية – التصور الإسلامي – النسق المجتمعي – أهداف التربية الإسلامية – دراسة تحليلية.

Realistic utopia in the Islamic visualization of the societal system: an analytical study in the light of the goals of Islamic education

Dr. Mohammed Mohammed Ahmed Abdul Khaliq

Doctor of Foundations of Education Department

Faculty of Education for Boys in Cairo - Al-Azhar University

ABSTRACT

The study aimed to clarify the features of realistic utopia in the Islamic visualization of the societal system through an educational approach between utopia and what it includes of both idealism and realism, and the goals of Islamic education and what it includes of a comprehensive nature between the ideal and realistic aspect of utopia; This approach would be an intellectual icon to propose new cultural formulas and patterns that contribute to laying the foundation stone for building a realistic utopian project according to the Islamic visualization of the societal system. The study used the descriptive analytical approach in order to deep into the issue of utopia and to link the relations between it and the goals of Islamic education, in addition to the deductive approach to elicit the props and characteristics of the societal system in the Islamic visualization and the objectives of Islamic education as reflected in that visualization, which are all included in the two main sources of legislation, the Quran and the Sunnah of the Prophet. The study reached a number of conclusions and results that express the reality of the comprehensive model of the Islamic idea about a virtuous society and its susceptibility to existence. Therefore, it recommended that this attempt be a beacon to us in our contemporary reality when the will is available to build a virtuous society based on Islamic philosophy, combining the originality of the idea and the contemporary application of it.

Key words: *Realistic utopia - Islamic visualization - societal system - goals of Islamic education - an analytical study.*

مقدمة إلى المشكلة:

يطمح الإنسان دائما إلى بناء نموذج يَحتذِى به في حياته، ومثال يقتدي به في معاملاته فيصير ذلك مطلبه الذي يأمل تحققه على أرض الواقع، ويسعى إلى تجسيده بين بني جنسه ، ويظل البون شاسعا بين ما ينبغي أن يكون وما هو كائن في المجتمع؛ كي يعطي ذلك للإنسان تبريرا للبحث في الأفق عن الطبيعة البشرية ذات العناصر والمكونات التي تتسم بالفعالية، ويتحقق في ضوئها معايير التكاملية. ولا يزال النموذج البشري يشكِّل مَعينا لا ينضِبُ، ومجالا لا ينقطع في الفلسفات التربوية بمدارسها المتعددة وتوجهاتها المتنوعة، التي تستلهم قيما ومبادئ ينصب هدفها على معايير السلوك الأخلاقي الذي يقترب من المثال ويستأنس بالنموذج بغض النظر عن طبيعة الواقع؛ فينبثق منها قواعد حَرِيٌّ بها أن تصير أهدافا في حد ذاتها.

وتعد اليوتوبيا حُلما يعيش في كنفه كل من يبغي تصور المجتمع النموذجي الذي تغدو فيه قيم الحق والعدل واقعا منجزا؛ فيجني من ثمرته نشوة الطوباوية والفضيلة، وتتحصل على إثره السعادة ويستشعر في ظله لذة تركن إلى مساقات مثالية، تهب لصاحبها تجدد الأمل واتساع الأفق، واستمرارية التخيل ورسوخ المبادئ، وتحقق اليقين على مستوى الفكر حتى وإن لم يتحقق على مستوى الممارسة. وتمثل اليوتوبيا في التصور الإسلامي ظاهرة اجتماعية تعبِّر بصدق وتدل بحق على مطلب الكمال البشري والتعبير عن الأمل في صلاح الإنسانية، وإصلاح مقدّراتها وفق منهج متجرد لا يشوبه نقص أو يعتريه انحراف ؛ لما يتمتع به من هالة ربانية في مصدرها وواقعية في أهدافها ، وما يحتويه من سياج رصين بمنأى عن اتباع الهوى وبمعزل عن الهنّات التي تصيب العمل البشري نظرية وتطبيقا.

وإذا كانت الأهداف التربوية هي المحور الأساس في عملية التربية من أجل الحفاظ على مبناها ومعناها وتحديد بقية عناصرها، فإن التربية الإسلامية تهدف إلى تزكية النفس الإنسانية وتربيتها على طاعة الله –تعالى– عن بينة وعلى بصيرة، وتنمية جميع جوانب الشخصية في مجالات الحياة وفق التصور الإسلامي لها، وإحداث تغييرات إيجابية من شأنها تعديل السلوك إلى الأفضل والاستفادة من معطيات العصر بالجمع بين الأصالة والمعاصرة (الشباطات ، ٢٠٠٩ ، ص١٥). هذا على مستوى الفرد، أما على مستوى الجماعة فإن التربية الإسلامية تهدف إلى بناء خير أمة أخرجت للناس ، وهذا يؤكد بوضوح شمولية تلك الأهداف وعدم طغيان بعضها أو جانب منها على حساب الآخر(الشريف ومصطفى ،٢٠٢٠ ، ص٩٠).

والتربية الإسلامية غايتها تحقيق معنى العبودية لله – تعالى– انطلاقا من قوله ﷻ : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ (الذاريات : ٥٦) ؛ فالهدف العام لوجود الإنسان في الكون هو عبادة الله والخضوع له، وتعمير الكون على يد الإنسان باستخلاف الله في أرضه، والعبودية لا تقتصر على مجرد الشعائر والمناسك، وإنما هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة (الشريف ومصطفى ،٢٠٢٠ ، ص ٩٠).

وعندما تتحقق الأهداف التربوية في الإسلام تبعا للفلسفة التربوية القائمة على حقائق التصور الإسلامي، فإن ذلك يسهم بشكل مباشر في تحقيق يوتوبيا الفلسفة الإسلامية ونظرتها للنموذج المثالي الذي هو أصل الالتزام ومنه وفي ظله تتحقق السعادة، ويشيع العدل ويُبنى مجتمع مسلم قائم على أسس ومبادئ راقية منزهة عن كل منغصات الحياة، ويشعر معها الإنسان بالرضا المغمور بالنعيم في الدنيا والذي يقود عن بينة إلى سبل نعيم الآخرة ؛ وعليه فإن التربية الإسلامية بأهدافها العالية وغايتها السامية مدخل وأداة لتحقيق اليوتوبيا في التصور الإسلامي.

ومن أجل تحليل أهداف التربية الإسلامية والتعمق فيها للتعرف على كيفية إسهامها في تحقيق يوتوبيا التصور الإسلامي، ودورها في بناء النموذج الحيوي وفق الفلسفة الإسلامية كانت هذه الدراسة كفكرة بحثية تبغى الإدلاء بدلو في نشر الثقافة الإسلامية، والوعي باليوتوبيا وشيوع الالتزام وتنمية الضمير من خلال أهداف التربية الإسلامية، وإعادة النظر في مقاصدها طبقا لمقاصد الشريعة الغرَّاء.

مشكلة الدراسة:

لا تزال اليوتوبيا كمفهوم في الفلسفات الإنسانية بصفة عامة خيالا رحبا لم تقترب مضامينها من الواقع إلا في نزعات متناثرة، وحالات متباعدة؛ نظرا لما بين الواقع والمأمول من فجوة كادت أن تودي بحياة كل محاولة تريد تجسيرها في ظل معطيات اجتماعية، وسياسية، واقتصادية، ودينية خلّفت لدى أصحابها فكرة الوهم لليوتوبيا، ووصفتها بنعت الخيال الجامح الذي لا يقبل الوجود ولا يتحقق في الواقع، بل يستحيل في كل زمان ومكان.

وفي ظل الفلسفة الإسلامية فإن الوضع يختلف؛ حيث إن الأهداف التربوية التي تشتق منها تقترب بشدة في تطبيقاتها ومردودها نحو اليوتوبيا الواقعية؛ لما تتمتع به أهداف التربية الإسلامية من خصائص وما تتصف به يوتوبيا التصور الإسلامي من واقعية ؛ الأمر الذي يتيقن معه كل ذي لُبّ من أن المستحيل في اليوتوبيا من وجهة نظر البشر لا يستحيل

بالضرورة على رب البشر؛ نظرا لواقعية النموذج الإسلامي في رؤيته وارتقاء رسالته على المعطيات الحياتية الخادعة وعدم خضوعه للقوانين الإنسانية المتقلبة ؛ وهذا ما ترجو الدراسة إثباته من خلال تشريح مفهوم اليوتوبيا في الفلسفات التربوية والنماذج الإنسانية التي تعبر عن الإرث الثقافي ، وما يحمله هذا المفهوم من تضمينات تتلاقى مع غاية التربية الإسلامية وتتلاقح مع أهدافها؛ لينبثق من الخيال حقيقة ومن الفكر ممارسة، ومن التصور واقع.

وفي ضوء ما سبق تتبلور مشكلة الدراسة في الأسئلة الآتية:

١. ما مفهوم اليوتوبيا في المنظورات العلمية؟
٢. ما أهداف اليوتوبيا ومدى علاقتها بالواقع الاجتماعي؟
٣. ما أهم خصائص النسق المجتمعي في التصور الإسلامي؟
٤. ما أهداف التربية الإسلامية كما يعكسها التصور الإسلامي للنسق المجتمعي؟
٥. ما أبرز ملامح اليوتوبيا الواقعية للنسق المجتمعي في ضوء أهداف التربية الإسلامية؟

أهداف الدراسة:

استهدفت الدراسة ما يلي:

١. تحليل ماهية اليوتوبيا في المنظورات العلمية ، وتكوين إطار مفاهيمي لها.
٢. الكشف عن أهداف اليوتوبيا وعلاقتها بالواقع الاجتماعي.
٣. تحديد خصائص النسق المجتمعي في التصور الإسلامي.
٤. رصد أهداف التربية الإسلامية كما يعكسها التصور الإسلامي للنسق المجتمعي.
٥. إبراز ملامح اليوتوبيا الواقعية للنسق المجتمعي في ضوء أهداف التربية الإسلامية.

أهمية الدراسة:

تتجلى الأهمية النظرية للدراسة في تعرضها لإحدى القضايا الفلسفية، وهي اليوتوبيا كمفهوم في النسق التربوي لتحليل ماهيته، وإبراز معالمه في الطرح الفلسفي وفق التصور الإسلامي، وكيفية تأثيره على العملية التربوية ، ومحاولة الوقوف على مقاصده الحقيقية وإزالة الغموض حول المصطلح الذي غالبا ما يستعمل في غير موضعه، أو يتم تفسيره على غير المراد منه، وذلك من خلال تحليل دقيق يتكون على إثره إطار مفاهيمي في ضوء أهداف التربية الإسلامية. أما الأهمية التطبيقية فتظهر في:

- تزويد المكتبة العربية بإطار مفاهيمي وخلفية معرفية عن يوتوبيا النسق المجتمعي في التصور الإسلامي؛ الأمر الذي يجعله باعثا لتحريك مشاعر المسلم نحو الهدف الأعلى والغاية السُّمْيَا التي من أجلها خُلق.
- إثراء الخطاب التربوي بقضية فلسفية تساير غايته الكبرى وهدفه الأعظم؛ لتُعيد للأهداف التربوية بصفة عامة وأهداف التربية الإسلامية بصفة خاصة مكانتها بين عناصر ومكونات المنظومة التربوية.
- الإسهام في الكشف عن حقيقة ظاهرة اليوتوبيا ، وتسليط الضوء عليها، وتجلية اتجاهها الفني من منظور تربوي.
- الكشف عن مكونات اليوتوبيا التي يمكن أن تغذي مجال التربية بقضايا ذات أهمية كالإبداع ، وتوظيف البنى النظرية بما يخدم التطورات العالمية المعاصرة.
- التركيز على الأبعاد الإجرائية لمفهوم اليوتوبيا، وكيفية ترجمتها مباشرة إلى ممارسات واقعية تجمع بين مثالية الفكر وواقعية الممارسة.
- إعادة ترسيخ الفكر اليوتوبي في الممارسات التربوية المعاصرة وفق التصور الإسلامي ، وإبراز أهمية وجدوى المناقشات اليوتوبية بالنسبة لدوافع التطوير والاستدامة وحل قضايا المجتمع الراهنة.
- تكوين رؤية واضحة تسهم في الدفاع عن أهداف التربية الإسلامية وغايتها ، وعدم تحميل الفكر التربوي الإسلامي ما لا يطيق من الأفكار العقدية التي تستند إلى الهوى، وينعكس مردودها عمليا في نزاعات وخلافات وصراعات ومشكلات تجاوزت حدود الزمان والمكان، وبزغت دون ارتباط بعصر معين أو مصر محدد.
- التأكيد على سمة الواقعية في يوتوبيا التصور الإسلامي للمجتمع؛ حتى يثبت بالدليل والحجة أن يوتوبيا الإسلام لم تكن ضربا من الخيال، أو مثلا وهميا لا يرقى إلى درجة الوجود حقيقة، وهذا له بالغ الأثر في توجيه الفكر التربوي الإسلامي نحو الغاية التي يصبو إليها، والأهداف المنشودة التي يرجوها.
- توخي الحذر عند التعامل مع مفهوم اليوتوبيا لدى الباحثين والمعنيين، وإسقاطه بمقتضياته على النسق المجتمعي في التصور الإسلامي؛ لما للفلسفة الإسلامية من طبيعة تختلف في مصدرها ومنهجها ومقوماتها ومبادئها وأهدافها ووسائلها عن غيرها من الفلسفات التربوية الوضعية الكلاسيكية منها والحديثة؛ حيث تتميز الفلسفة الإسلامية بزيادة النزعة الإنسانية التي أعادت للعقل الإنساني مجده، وللمورد البشري مكانته، وآمنت بقدرته على فهم العالم من حوله والسيطرة على الطبيعة التي خُلِقَت من أجله.

منهج الدراسة:

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي؛ من أجل التعمق في قضية اليوتوبيا وربط العلاقات بينها وبين أهداف التربية الإسلامية ، كما استخدمت الدراسة المنهج الاستنباطي؛ لاستخراج واستنباط المفاهيم والمبادئ الاجتماعية ذات الارتباط بالنسق المجتمعي في التصور الإسلامي والمتضمنة في مصدري التشريع الأساسيين، وهما الكتاب والسنة.

حدود الدراسة:

تبينت حدود الدراسة في العنوان والتي اقتصرت على تحليل الجانب الواقعي ليوتوبيا النسق المجتمعي في ضوء أهداف التربية الإسلامية تبعا للتصور الإسلامي له.

المصطلحات الإجرائية للدراسة:

تعرف" اليوتوبيا الواقعية " *Realistic utopia* بأنها : تصور فلسفي عام لفكرة المدينة الفاضلة القائمة على نموذج متسق مع مثالية الحياة ومنسجم مع طبيعة البشر ، ويتحقق في ضوئه سعادة الفرد ونشر الفضيلة في المجتمع.

ويشير مصطلح " التصور الإسلامي للنسق المجتمعي" *Islamic visualization of the societal system* إلى : الافتراض الفلسفي المُؤَلَّف من الرؤية الإسلامية للبناء المجتمعي المتكامل في عناصره والمترابط بين أجزائه.

وتعبر" اليوتوبيا الواقعية في التصور الإسلامي للنسق المجتمعي" *Realistic utopia in the Islamic visualization of the societal system* عن : رؤية فلسفية إسلامية لمجتمع فاضل بمدينة فاضلة، مبنية على منطق فكري موجِّه للفعل، ومنهج واقعي قابل للتطبيق وفق مقتضيات العقيدة وفي ضوء تضمينات الأخلاق.

وتعرف " التربية الإسلامية " *Islamic education* بأنها : العملية التربوية المنتقاة التي تتفق مع تضمينات الفلسفة الإسلامية، وتتماشى مع تطبيقاتها.

ويقصد " بأهداف التربية الإسلامية " *Goals of Islamic education* : جملة الأغراض التي تسعى التربية الإسلامية إلى تحقيقها ، والمقاصد التي ترجو الوصول إليها.

الدراسات السابقة ذات الارتباط بالفكرة:

فيما يلي عرض موجز للدراسات السابقة ذات الارتباط بفكرة الدراسة ومتغيراتها ، وتقوم الدراسة بعرض بعض الدراسات التي تتعلق بأهداف التربية الإسلامية ، ويلي ذلك عرض بعض الدراسات التي ترتبط باليوتوبيا ، ثم يتم التعقيب بعد ذلك على تلك الدراسات من خلال تعليق عام عليها.

ثمة دراسات كثيرة تناولت أهداف التربية الإسلامية لا يمكن حصرها، ولكن من الممكن ذِكْر بعضها على سبيل المثال لا الحصر منها : دراسة الشباطات (٢٠٠٩) التي حاولت الكشف عن أهداف التربية الإسلامية وأنواعها ومعاييرها، وتصنيفاتها والعلاقة بين مجالاتها ومستويات تلك المجالات ، مستخدمة المنهج الوصفي ، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج، كان من أبرزها: تقديم نموذج يوضح العلاقة التكاملية بين مجالات الأهداف الثلاثة ومستوياتها ، وأوصت بوجوب انطلاق تدريس التربية الإسلامية من أهداف محددة سلفا ومنبثقة من حقائق التصور الإسلامي الكبرى.

وتناولت دراسة القرني (٢٠١٧) تحليل محتوى صفحات الفيس بوك face book لطلبة جامعة تبوك في ضوء أهداف التربية الإسلامية ، واقترحت آليات لتفعيل الفيس بوك في غرس أهداف التربية الإسلامية لدى الطلبة ، واستخدمت المنهج الوصفي المسحي والتتبعي وتحليل المحتوى ، وبلغت عينة الدراسة (٣٤) طالبا وطالبة ، ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة: وجود فروق دالة إحصائيا بين الاتجاهين: الإيجابي، والسلبي للطلاب والطالبات في تحقيق أهداف التربية الإسلامية الإيمانية، والأخلاقية، والاجتماعية، والعقلية، والصحية ، وعدم وجود فروق في هدف التربية الاقتصادية بين الاتجاهين ، وأوصت الدراسة بإقامة برامج تدريبية، ومحاضرات إلكترونية وبثها على صفحات الفيس بوك face book.

واختارت دراسة العنزي (٢٠١٩) منهج التربية الإسلامية في مواجهة التطرف المضاد وفق رؤية ٢٠٣٠م، من خلال التعرف على مباحث التربية الإسلامية التي تشكل إطارًا منهجيا لمواجهة التطرف المضاد ، واعتمدت على المنهج الوصفي من خلال مسح الوثائق، بالإضافة إلى المنهج التحليلي الاستقرائي؛ لتحليل مباحث التربية الإسلامية ، وتوصلت إلى جملة من النتائج، من بينها: أن التطرف واحد من العوامل السلبية المنتشرة في عصرنا الحالي، والتي لها العديد من التأثيرات السلبية على الفرد والمجتمع والعالم بأسره ، كما أن أبرز أسباب انتشار أعمال العنف والتطرف في المجتمعات المسلمة هو ابتعاد المجتمع عن منهج التربية الإسلامية الصحيح ، ومن أجل حماية المجتمع من ذلك لا بد من الرجوع إلى مصادر التربية الإسلامية، ووضع المناهج والخطط وفق أهدافها ، وأوصت الدراسة بضرورة

النظر في خصائص التربية الإسلامية ومصادرها، والرجوع إليها عند رسم الخطط والاستراتيجيات التربوية؛ لاشتمالها على المنهج المتكامل في غرس قيم الوسطية والاعتدال ، فضلا عن الاهتمام بتقديم الأبحاث العلمية التي تقدم الحلول لمشكلات المجتمع المعاصرة، خاصة التي قد تهدد أسس وقيم المجتمع المسلم.

وأسهمت دراسة الشريف ومصطفى (٢٠٢٠) في التعرف على واقع دور الجامعات السعودية الأهلية في الشراكة المجتمعية في ضوء أهداف التربية الإسلامية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في تلك الجامعات ، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي المسحي من خلال عينة قوامها (٢١٢) عضو هيئة تدريس ، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج، منها الأهمية العالية للشراكة المجتمعية؛ حيث الموافقة التامة على البعد التنظيمي والبشري؛ لما له من دور في تعزيز قضية الشراكة.

وركزت دراسة العقل (٢٠٢٠) على واقع البرامج الإثرائية بمدارس التميز العالمية، ومدى تحقيقها لأهداف التربية الإسلامية من وجهة نظر معلمي مدارس التميز العالمية ببريدة، حيث استخدمت المنهج الوصفي المسحي ، وتكونت عينة الدراسة من (٤٣) معلمًا ومعلمةً بمدارس التميز العالمية ببريدة ، وتوصلت إلى جملة من النتائج، من أهمها: أن واقع البرامج الإثرائية بمدارس التميز يحقق أهداف التربية الإسلامية بدرجة مرتفعة.

وسعت دراسة البقمي (٢٠٢١) إلى التعرف على درجة ممارسة المعلمين والمعلمات للسلوك الإيجابي في بيئة العمل في ضوء أهداف التربية الإسلامية ، مستخدمة المنهج الوصفي المسحي وأداة الاستبانة التي طبقت على عينة قوامها (٥٨٢) معلما ومعلمة بالتعليم العام في مدينة الرياض ، وتوصلت إلى أن درجة الممارسة عالية ، وأوصت الدراسة بتعزيز العلاقة بين مؤسسات المجتمع ومراكز البحوث المهتمة بالتربية الإيجابية على المستويين: المحلي، والدولي.

أما عن الدراسات السابقة التي تناولت متغير اليوتوبيا، أو تعرضت إلى المدينة الفاضلة كتصور فإنه لا ضير إذا أشارت الدراسة الحالية بإيجاز شديد إلى بعض منها : فقد كشفت دراسة تيرلازو Terlazzo (2009) عن مدى إمكانية تحقيق يوتوبيا واقعية في العالم المعاصر، ومحاولات ذلك على يد "رولز" Rawls ورؤيته عن الإدراك ومهمة الفلسفة السياسية ؛ وتوصلت الدراسة إلى أن توفير محتوى النظرية المثالية فقط غير كاف أو غير مقبول في اليوتوبيا الواقعية؛ لأن الأخيرة إذا بقيت في مجال النظرية المثالية دون نزول إلى أرض الواقع، فستظل محضة في مجال الفلسفة، وهنا يقتصر دورها في الفلسفة السياسية على فئة معينة، وهذا ما بيَّنه رولز عند تفسيره لليوتوبيا الواقعية ، كما أرجعت الدراسة النقد الموَجَّه

إلى اليوتوبيا الواقعية والمخاوف والحذر الشديد منها إلى الفهم الخطأ لمفهوم التفكير اليوتوبي، وقيمته الواقعية وليس إلى المفهوم ذاته.

وفي دراسة كابريتا Cabrita (2011) جدَّدَت اليوتوبيا الواقعية الأمل لرولز Rawls في المصالحة بين الفرد ومجتمعه من وجهة النظر المؤسساتية؛ إذ تمتد أهمية هذه الفكرة من الحالة الوطنية – المرتبطة بممارسات المواطنة – إلى الحالة الدولية والتطوير المعزز لشخصية الشعوب ، وفي إطار المجتمعات الدولية تفتح اليوتوبيا الواقعية الطريق أمام تكامل القيم والممارسات التي تعزز من احترام حقوق الإنسان، تلك الحقوق الأساسية التي ثبت أساسها القانوني، والتي تسعى إلى تحقيق فكرة السلام؛ وبهذا المنظور تزدهر الديمقراطية ومعها المواطنة من باب المثالية الاجتماعية وليس الإكراه الدولي. وخلصت الدراسة إلى أنه إذا كانت اليوتوبيا الواقعية لقانون الشعوب لا تنبع من رؤية متفائلة للسلام العالمي، فإنها تفشل في تحقيق أهدافها طويلة المدى، وهي: جلب جميع المجتمعات إلى احترام الشعوب من لدن المجتمعات جميعها ، وتوسيع الشراكة الليبرالية بين الشعوب في جميع أنحاء العالم. ووفقا لرولز فإن تطوير نظام منطقي وعملي لتوفير الحق السياسي والعدالة بين الشعوب من شأنه أن يغذي التوقع تجاه فكرة السلام العالمي باعتباره المدينة الفاضلة الواقعية ، كما أن التعزيز العالمي للديمقراطية النشطة وحقوق الإنسان ذات الفعالية ضروري لاستمرار السلام الدائم.

وقامت دراسة حسن والهاشمي (٢٠١٦) بالبحث عن المثال والتاريخ: أي تحليل التوتر القائم بين المُمْكن والمقدّس؛ لتبين علاقة المقدس بالدنيوي بعيدا عن تقييم الفكر الأزلي أو الاستناد إلى اليوتوبيين وأحكامهم ، وتوصلت الدراسة إلى أن المسألة في اليوتوبيا الدينية تصبح أكثر حساسية وتعقيدا عندما تتعلق بفهم الحياة الاجتماعية ؛ حيث تصبح المشكلة هي العواقب الاجتماعية والسياسية التي تترتب على الفهم التاريخي الحديث للاقتصاد والسياسة والتغير الاجتماعي.

وأظهرت دراسة كلوج Kloeg (2016) مجموعة من الطرق التي يمكن أن تكون فيها اليوتوبيا مفيدة للفكر السياسي المعاصر؛ حيث استعرضت مفهوم اليوتوبيا من خلال النظر في التقاليد المختلفة التي كان لها تأثير في تشكيل الطريقة التي يُنظر بها اليوم إلى اليوتوبيا، مع قراءة موجزة لكتاب "يوتوبيا" لتوماس مور ، ودراسة التقاليد الاشتراكية اليوتوبية وانتقاد كارل ماركس لها. وتوصلت الدراسة إلى أن هناك مجموعة من الأسباب التي قد تنال من سمعة اليوتوبيا، من بينها: الانعطاف التجريبي في النظرية السياسية، وبداية الشك الذي تزايَدَ مع عصر ما بعد الحداثة.

ورأت دراسة لاورانس Laurence (2017) أن الشغل الشاغل للفلسفة السياسية هو تحقيق العدالة ، ونظرًا لأن الفلسفة مشروع تأملي، فإن هذا ينعكس بالضرورة على تشكيل وبناء نظرية العدالة ، ومن المعروف أن جون رولز يقسم هذه النظرية إلى جزأين، يسميهما النظرية المثالية وغير المثالية. وقد قامت الدراسة بتقسيمها إلى مفهومين "الامتثال الصارم / الامتثال الجزئي" و"اليوتوبيا الواقعية / المفهوم الانتقالي".

وهنا يظهر تساؤلٌ حول كيفية ارتباط هذه الثنائيات غير المتجانسة ببعضها البعض؛ لذا فقد اعتمدت الدراسة على جوانب من فكر رولز لإعادة بناء عقلانية لوجهة نظرها ، ووفقًا لوجهة النظر المعدلة هذه يعد الامتثال الصارم افتراضًا محليًا مدفوعًا بروايته البنائية لمبادئ العدالة. ومع وجود هذه المبادئ في المتناول ؛ فإننا نخفف افتراض الامتثال الصارم لبناء مدينة فاضلة واقعية قائمة على الامتثال الجزئي ، وعلى الرغم من أن المفهوم الانتقالي / اليوتوبيا الواقعية له دوافع جيدة إلا أن لحظة الامتثال الصارم للنظرية المثالية تمثل إشكالية واقعية حتى في دورها المحدود.

وأوضحت دراسة بوكر Böker (2017) ثلاثة أنماط من اليوتوبيا الواقعية هي: ترويج الفكر اليوتوبي ، والحد من نطاق الرؤية اليوتوبية ، واحتمالية تحقيق الأهداف في المستقبل ، وتوصلت إلى أن اليوتوبيا الواقعية تساهم في بناء قدرات نقدية وتأملية كبيرة داخل المجتمع دون أن تصبح قوة استبدادية جديدة ؛ وعلى هذا النحو فإن الجمع بين الفكر اليوتوبي والمبادئ الديمقراطية يجعل اليوتوبيا الواقعية بحد ذاتها أفضل حماية ضد الشمولية.

وعكفت دراسة حسانين (٢٠١٨) على البحث في التراث القديم لتخريج موضوعات لليوتوبيا، ونظرات ذات دلالة معبِّرة عن تأملات لها بحاجة إلى وضعها في الاعتبار في العالم الراهن؛ للانتقال من الأيديولوجيا المغلقة إلى اليوتوبيا الحالمة ، وتوصلت الدراسة إلى أن التراث العربي القديم حافل بوجود كثير من النماذج الدالة بقوة على فكرة اليوتوبيا ، وأن جذور الفكر اليوتوبي ثاوٍ عند العرب قديما ، وأن تراثنا العربي والإسلامي اتسم بخصوبته وغناه، وامتلاكه القدرة على رفْد واقعنا الأدبي والفكري بكل ما هو مفيد ومثير ، وأوصت الدراسة بوجوب التطلع إلى مستقبل أفضل في الحياة الاجتماعية والثقافية من خلال النماذج التي تلهم المتأملين في التراث العربي والإسلامي بعد إزاحة الستار عنه في حقبه المتعاقبة.

وتناولت دراسة جوتو Gotoh (2018) برامج الرعاية الاجتماعية بين كل من اليابان والولايات المتحدة الأمريكية، وإمكانية تحقيق يوتوبيا واقعية من خلال المساواة والتمتع بالرفاهية لدى الجميع دون تمييز عرقي أو تاريخي ، وتوصلت الدراسة إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية واليابان قد طورت أنواعًا مختلفة من برامج الرعاية الاجتماعية والرفاهية، ومع ذلك

يبدو أن كلا البلدين يواجه مشاكل متشابهة للغاية الآن ؛ وعلى الرغم من محاولات الولايات المتحدة توفير فرص متساوية بين جميع المواطنين؛ لتحقيق المساواة العادلة في الفرص إلا أن التنوعات التاريخية والاجتماعية لأفراد المجتمع والنظرة العنصرية قد اختُزلت، ولكنها لم تُمْحَ ؛ الأمر الذي يجلب الخوف من انعكاس الرتبة من خلال الأحكام العامة والشعور بالتمييز لصالح فئات اجتماعية معينة. وفي المقابل عززت اليابان نظام تأمين اجتماعي شامل وأنظمة رعاية اجتماعية ، ومع ذلك بدأت الحكومة اليابانية أخيرًا في خفض مستويات المساعدة العامة والذي لم يتم المساس به كشبكة أمان لما يقرب من ستين عامًا بعد الحرب العالمية الثانية ؛ وذلك انطلاقا من مبدأ العقلانية الاقتصادية. وأوصت الدراسة بأنه من أجل المساعدة في إعادة بناء أنظمة الرعاية الاجتماعية والرفاهية فإنه لا بد من الاعتماد على اليوتوبيا الواقعية التي يمكن أن تتحقق من خلال القاعدة التالية: أن يعمل المرء ويقدم المساعدة متى أمكنه ذلك، وفي نفس الوقت يتلقى المساعدة متى احتاجها؛ وهذا بالضرورة سيوفر مجتمعًا يحترم فيه جميع الأفراد اختلافاتهم الفعلية ويحققون المساواة المثالية.

واهتمت دراسة عيسى (٢٠١٩) بالقراءة الموضوعية للإسلام من قِبَل أبنائه والنخب العلمية الأخرى، وذلك من خلال التطرق إلى بعض التراث الإسلامي المتمثّل في السيرة النبوية والحديث الشريف ، وتوصلت الدراسة إلى أن التعاليم الإسلامية وأركان الإسلام هي معامل إنتاج الفضيلة، ومصدر الطاقة للمواطن الصالح في المدينة الفاضلة ، وأوصت الدراسة بإعادة قراءة السيرة النبوية بطريقة تأملية بنيوية، وبعث فكرة المدينة الفاضلة من مرقدها وإعادة إحيائها من جديد وإيفائها حقها ، والاستفادة من الرؤى اليوتوبية الإسلامية المستوحاة من التراث الإسلامي.

وهدفت دراسة النصافي (٢٠٢٠) إلى تسليط الضوء على فلسفة المعلم الثاني (الفارابي) فيما يتعلق بالمدينة الفاضلة والنظام السياسي والاجتماعي لها ، واستخدمت المنهج التاريخي والمنهج التحليلي والمنهج النقدي والمنهج الاستقرائي ، وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج، منها أن الفارابي هو أول من تبلْوَر لديه مفهوم متكامل عن المدينة الفاضلة من منظور عربي إسلامي، مؤكدا على أهمية العامل السياسي والاجتماعي في إقامة المدينة الفاضلة؛ إذ لا نتصور مدينة فاضلة بغيرهما.

واستهدفت دراسة بيرليكويسكي Perlikowski (2021) إعطاء القارئ فهمًا واضحًا لهيكل الجدل السياسي والأخلاقي واليوتوبي؛ ومن ثم فإن النظرية السياسية وفلسفتها ستشكل المجال الرئيسي للبحث ؛ ولتحقيق هذا الهدف تم استخدام طريقة معروفة جيدًا هي نموذج "نظرية الجدل" لستيفن تولمين ، والتي تمثل أداة مثيرة وفعالة للغاية في تحليل حجج الفلسفة

السياسية والفكر السياسي. وسيتم التحقيق في ثلاث قضايا عامة في هذا العمل. أولاً- ما الهدف الرئيسي للتمييز بين الحجج الأخلاقية والسياسية؟ ثانيًا- ما الهيكل المناسب للحجة السياسية وفقًا لنموذج الجدل الذي وضعه تولمين؟ ثالثًا- هل اليوتوبيا الواقعية فكرة ثابتة؟ وبعبارة أخرى ما الشروط اللازمة لتحقيق اليوتوبيا الواقعية؟ وللإجابة عن هذا السؤال قامت الدراسة بتحليل الجدل اليوتوبي الكلاسيكي ووضعه جنبًا إلى جنب مع الجدل السياسي، وكنتيجة لهذه الدراسة يمكننا اكتساب المعرفة حول عناصر معينة من الجدل الأخلاقي والسياسي واليوتوبي. علاوة على ذلك ترتبط القضايا التي تمت مناقشتها في هذا العمل بالنقاش المعاصر حول الوضع النظري والعملي للنظريات المعيارية.

تعقيب على الدراسات السابقة:

لقد أسهمت الدراسات السابقة وغيرها في بلورة مشكلة الدراسة الحالية؛ حيث تناولت بعض الدراسات محور أهداف التربية الإسلامية ، في حين أن البعض الآخر تناول اليوتوبيا مؤكدا على تصنيفاتها اللاواقعية والواقعية ، وأنواعها، ومنها اليوتوبيا الدينية في محتواها بعيدا عن إبراز علاقتها أو ربطها بأهداف التربية الإسلامية وتطبيقاتها ؛ الأمر الذي أكّد ندرة وجود دراسة تربط بين المتغيّرَين وتتعرض إلى اليوتوبيا في الإسلام من حيث إنها دينية مثالية في محتواها، وواقعية تطبيقية في تضميناتها ؛ مما أدى إلى الإحساس بإشكالية بحثية ذات نظرة مغايرة، تستحق التنقيب في ذلك المضمار باشتقاق مشكلة الدراسة من منظور جديد يضاف إلى المعرفة، ويسدُّ فجوة، ويشغل فراغا في دائرة البحث العلمي عامة والبحث التربوي خاصة ، ويُزيح عن فكرة اليوتوبيا خاصية الوهم، ويجلو عنها سمة الخيال.

كما جاءت الدراسة الحالية استجابة لتوصية البعض بضرورة إجراء مزيد من البحث في مفهوم اليوتوبيا الواقعية تحديدا؛ حيث دعت دراسة (Terlazzo, 2009, p.36) إلى ذلك صراحة لما بيَّنته من أهمية تعمُّق وظيفة اليوتوبيا الواقعية في فهم وتحليل وتفسير ما يجب أن تكون عليه مهمة الفلسفة السياسية ، بالإضافة إلى دراسة (هاشم والمسلمي وعريبة وعز الدين ، ٢٠٢٠ ، ص ٤٢٦) التي تدعو إلى التشخيص والتشريح لآليات الظروف الراهنة، وعمل مناقشات نقدية؛ لوضع الأفكار والرؤى التي تساعد في تعزيز العالم الفعلي.

وعلى الجانب الآخر أكدت دراسات عدة بحثَت في أهداف التربية الإسلامية على أهميتها في تقدُّم المجتمع الراهن، والنهوض به وإقالة عَثَراته التي تعرقل طموحه وازدهاره، مثل دراسة العنزي (٢٠١٩) وغيرها ؛ وهذا مألوفٌ في البحث التربوي خاصة، ومأمول في البحث العلمي عامة ، أما غير المألوف هو بناء مجتمع فاضل ذي أوصاف معينة ووفق معايير واضحة ومحددة ؛ وهذا ما ارتأته الدراسة الحالية ضروريا ومُلِحًّا، لاسيما في المجتمع

المعاصر الذي يمر بأزمات طاحنة، ألبست عليه المفاهيم وزعزعت لديه المعايير، وجعلته عُرْضة للمسخ أو الذوبان ، ولعل غير المألوف هو الذي يَفِدُ بالمأمول.

واستفادت الدراسة الحالية من الدراسات السابقة في صوغ المصطلحات، وتحديدها والتوصل إلى تعريفات إجرائية لبعضها، وتكوين الإطار المفاهيمي للدراسة واختيار منهجية بحثية ملائمة.

إجراءات الدراسة وخطوات السير فيها:

تتمثل إجراءات الدراسة في المحاور الآتية:

- اليوتوبيا في المنظورات العلمية.. إطار مفاهيمي.
- أهداف اليوتوبيا وعلاقتها بالواقع الاجتماعي.
- النسق المجتمعي في التصور الإسلامي.. دعائمه وخصائصه.
- أهداف التربية الإسلامية كما يعكسها التصور الإسلامي للنسق المجتمعي.
- ملامح اليوتوبيا الواقعية للنسق المجتمعي في ضوء أهداف التربية الإسلامية.

المحور الأول– اليوتوبيا في المنظورات العلمية.. إطار مفاهيمي

يشكِّل هذا المحور إطارا مفاهيميًّا عن اليوتوبيا؛ حيث يتعرض بالتحليل إلى جذور الفكر اليوتوبي ومسارات تطوره ، وأصل المصطلح وامتداده وماهيته في المنظورات العلمية ، وأبعاد اليوتوبيا وأنواعها ، وذلك على النحو التالي:

أولا– جذور الفكر اليوتوبي ومسارات تطوره

يتناول هذا العنصر بالعرض والتحليل جذور الفكر اليوتوبي ومسارات تطوره، ضاربا بأعماقه إلى ما هو أبعد من المدن الفاضلة التي تشكلت في عقول الفلاسفة والمفكرين عبر العصور، وبزغت من تصوراتهم لها ، حيث يتم التعرض لمحاولات إنسانية شغلت العقول، واستحوذت على التفكير واعتمدت على الأماني وخالطت أحلام اليقظة ودوّنتها الكتب؛ رغبة في الأفضل ؛ فكانت إيذانا لبزوغ الفكر اليوتوبي وبلْوَرته.

ارتبطت اليوتوبيا بحركة الفكر الإنساني، فحاول الكثير من المفكرين والفلاسفة بناء اليوتوبيات باعتبارها النموذج الأمثل الذي يجب أن تسعى الإنسانية إلى تحقيقه، وتقوم

اليوتوبيا على فكرة جوهرية تعتبر بمثابة حجر الزاوية لها؛ كونها محاولة لخلق مكان ما متكامل، تتحقق فيه أسباب السعادة والخير والرفاهية ويتفانى فيه أفراده لتحقيق أهداف مثالية (هاشم والمسلمي وعريبة وعز الدين ، ٢٠٢٠ ، ص ٤١٠).

واليوتوبيا قديمة قدم الفكر الإنساني في الوجود لذلك فإن أية محاولة لتحديد تاريخ الفكرة خطوة غير منطقية ، ولكن نستطيع أن نحدد المنعطفات أو المراحل التاريخية للفكرة (جمال ، ٢٠١٤ ، ص ١٨١).

ودرج الفكر الإنساني على تصور نماذج رائدة لمجتمعات فاضلة، وكلها نماذج حاولت أن ترسم صورة حسنة لما يمكن أن يكون عليه المجتمع الإنساني ، وحتى الساعة لم يتوقف هذا الفكر عن محاولاته العديدة لإعادة ترسيم حدود المجتمع الإنساني في صورته البهية (زيد الخير ومحمدي ، ٢٠١٨ ، ص ١٠٢).

لم يفارق التفكير البشري لوهلة هاجس العيش في حياة مثلى ؛ فالبشرية ترنو دائما إلى نعيم وغَدٍ أفضل ، كما أن دافع الأمل لديها يزداد كلما اشتد وقْع الظلم عليها ، ومن حُلم الإنسان بعالم مثالي جاءت فكرة اليوتوبيا، التي جعلت من العالم المُؤمَّل وجوده عالما نقيضا لعوالم الإنسان المحمَّلة بالاضطهاد ، فاليوتوبيا قد انشغلت بالعالم البديل الممكن بتغيير الموجودات والأشياء؛ لتحقيق العدل والمساواة والحرية (ميثم ، ٢٠١٤ ، ص ٣٤٥).

وتضرب فكرة المجتمع الفاضل بأعماقها إلى أبعد من عصر "أفلاطون" أو الفلسفة اليونانية؛ حيث عرف حكماء المشرق القديم فكرة المدينة الفاضلة كنزعة علمية وأخلاقية تبغي الكمال وتنشد السعادة ؛ ففي الحضارة المصرية القديمة وُجد المفكر والحكيم "أخناتون" الذي عاش تقريبا في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وكان يسمى "امنحوتب الرابع"، وعرف بشهيد الحق وصاحب نزعة التوحيد، بالإضافة إلى دعوته المتكررة بدعم ثورة دينية وأخلاقية واجتماعية في مصر القديمة ، ولم يقتصر فكره عند هذا الحد بل تعداه ليبني مدينة جديدة، أطلق عليها مسمى " أخيتا تون" في تل العمارنة؛ ليعبد فيها الإله الواحد، ولتكون الأخلاق السامية والعلاقات الاجتماعية الحميدة هي السائدة بين أهلها ، ولقد كان يحلم بأن يحقق أسمى ما يمكن أن يتصوره إنسان دولة عالمية واحدة، يسودها الاعتقاد في إله واحد ويخضع الجميع لقانون عالمي موحّد (شهيد ، ٢٠١٤ ، ص ٤٤).

أما "كونفوشيوس" المفكّر الصيني فقد اعتقد بأن الحكومة الصالحة يجب أن يكون هدفها رفاهية الناس أجمعين وسعادتهم ، وأن هذا لا يتحقق إلا إذا تولى الحكم أعظم الرجال كفاية في البلاد ، وهذه الكفاية لا علاقة لها بمولد أو ثروة أو مكانة، وإنما معيارها الخُلق

والمعرفة، وهما ثمرة التربية الحقة ؛ ولذا فقد طالب بأن تكون التربية منتشرة انتشارا واسعا في البلاد؛ حتى يمكن إعداد أكثر الرجال موهبة للحكم ، وهؤلاء هم أولى الناس بالحكم بعد ذلك بغض النظر عن أصلهم (النشار ، ١٩٩٨ ، ص ص ٤١-٤٢).

وقد أقام "كونفوشيوس" تصوره على أرض الواقع حينما تولى منصب كبير الوزراء في ولاية (لو Lu)، فطبق المبادئ التي آمن بها ونشر سياسة حازمة حتى أضحت ولاية (لو Lu) نموذجا للولايات ذات التنظيم المثالي؛ فاختفى اللصوص، وزالت السرقات، وشاع الأمن والأمان (النشار ، ١٩٩٨ ، ص ٤٢) (شهيد ، ٢٠١٤ ، ص ٤٥).

وفي الفكر الهندي كانت "البراهمة" تمثل النظام الديني والاجتماعي آنذاك، فآمنت بوجود إله أعلى وبوحدة الوجود ، وقسّمت الناس إلى طبقات وطوائف منغلقة على نفسها: وهي طبقة رجال الدين وهم البراهمة، وطبقة المحاربين، وطبقة التجار والمزارعين والعمال ، واعتقدت بوجود الجزاء وبتناسخ الأرواح (شهيد ، ٢٠١٤ ، ص ص ٤٥-٤٦).

وهناك نماذج مختلفة لليوتوبيات عبر تاريخ الفكر البشري منذ حضارة الشرق القديم (مدينة كونفوشيوس الفاضلة) التي ارتكزت على مفهوم التغيير الثقافي ، أما في الفكر اليوناني فنجد "أفلاطون" بجمهوريته قد تربع على عرش التاريخ (ياسين ، ٢٠١٤ ، ص ١١٧).

إن الإطار العام لفكرة اليوتوبيا هو إطار خيالي محض ، وقد ازدهرت هذه الفكرة في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد في بلاد اليونان والصين؛ حيث كان مستوى التفكير متقدما إلى درجة كبيرة ، وقد ارتبطت تلك الفكرة ارتباطا كبيرا بالصراع السياسي والاجتماعي الذي كان سائدا آنذاك (ياسين ، ٢٠١٤ ، ص ١١٨).

وبطبيعة الأمر تطور مفهوم اليوتوبيا عبر التاريخ، فأصبح يوصف لكل عمل فلسفي بخصوص المدينة الفاضلة ، ونتيجة للتراكم المعرفي حدث تحول في الفكر اليوتوبي، فأصبحت اليوتوبيا تهدف إلى إصلاح الحياة وكل ما يعتبر بمثابة حياة أخلاقية، فلا ينبغي أن تبقى اليوتوبيا مادة الأحلام وحدها، بل يمكن أن تكون منارة أمل تدمج فيه الجوانب الاجتماعية والثقافية والأخلاقية للحياة وتكشف عن وعي جديد ؛ إذ إنها من المحفزات المهمة لإحداث تغيير جوهري، والعمل على صياغة جذرية جديدة لمفاهيمنا للحياة في المستقبل ، كما أن الفكر اليوتوبي مسؤول عن نجاح العديد من التجارب الاجتماعية الناجحة ، وتاريخ اليوتوبيا دائما ما كان يسعى إلى عالم أفضل ، وفي هذا السياق جاءت فكرة اليوتوبيا؛ لتمثل الهدف الذي يمكن بلوغه من رؤية للتاريخ بوصفه حكاية التقدم الإنساني (هاشم والمسلمي وعريبة وعز الدين ، ٢٠٢٠ ، ص ٤١١).

واليوتوبيا نوع من العمل الفلسفي الذي يصوّر المجتمعات المثالية التي شُيِّدَت على المبدأ القائل باستطاعة الجنس البشري تحقيق الأنظمة المثالية؛ لكي يعيش الجميع في حالة من الانسجام الدائم، إلا أن هذا الانسجام لن يتحقق إلا بتحقق الكمال على كافة المستويات داخل المجتمع ؛ فالكمال شرط لتحقيق الانسجام: انسجام الفرد مع ذاته ومع الآخرين ؛ ومن ثم فإن مؤسسي مثل هذه الأنظمة المثالية محكومون برغبتهم في تأسيس مجتمع فاضل ؛ لذا أصبح تراث الفكر اليوتوبي عبارة عن حشد من الأفكار والتصورات المتعلقة بانسجام المجتمع (أحمد ، ٢٠٠٠ ، ص ١٦٩).

وتميز الفكر الفلسفي – وخاصة اليوتوبي منه– بقدر كبير من الثراء والتنوع، فأفلاطون نفسه الذي اتجه إليه الكتّاب المتأخرون في معظم الأحوال قد ترك وراءه أعمالا تتضمن أشكالا مختلفة من الفكر اليوتوبي، فالجمهورية تضع أسس مدينة المستقبل، بينما تضع القوانين أسس دولة تليها في الأفضلية ، حتى وإن كانت الجمهورية مدينة تميل إلى المثالية وتقترب كثيرا من المستحيل، فإن مدينة القوانين تقترب أكثر من الواقع، وكلٌّ من هاتين المدينتين كانتا حريصة على تربية النشء وإعداد الفرد إعدادا يليق بالمهام التي ستعود فائدتها على الدولة ؛ فقد حرص "أفلاطون" كل الحرص على إقامة نظام تعليمي تربوي صارم، حدد من خلاله أصناف العلوم والمعارف الواجب تلقينها؛ ذلك أنه إذا كان العلم هو غاية الدولة ومهمتها أن تفرضه فذلك لا يتحقق إلا عن طريق التعلم ، والتعلم لا يمكنه أن يكون إلا بالتربية، والتربية بدورها لا يمكن أن تُترَك للفرد حسب أهوائه، بل يجب أن تعلوه إرادة الدولة وتنظيمها؛ لأن الغاية لها هي الفضيلة، والعلم هو تلك الفضيلة ؛ ولذا فإن المهمة لتحقيق التربية والإرشاد تقع على كاهل الفلاسفة؛ ومن ثم يجب أن تكون الفلسفة الغاية الرئيسية للدولة، والحاكم لا بد أن يكون فيلسوفا. بينما أرسطو وضع تصورا مختلفا للمجتمع والمدنيّة في كتابه "السياسة"، فيرد نشأة الدولة إلى الأسرة التي يعدها الخلية الاجتماعية الأُولى من ناحية التطور التاريخي ، ومن الأُسر تتكون القرى التي هي بدورها تكوّن المدينة الدولة ، وذهب إلى أن الدول تنشأ عن معرفة ودراية وتمييز بين الخير والشر؛ حيث يرى أن الإنسان اختُصّ بانفراده بمعرفة الخير والشر، والعدل والظلم (زيد الخير ومحمدي ، ٢٠١٨ ، ص ص ١٠١-١٠٢).

وأهم ما يميز يوتوبيا اليونان هو أنها كانت مشروعا يمثل محاولة جريئة لإمكانية تحقيقه على أرض الواقع ، وذلك عندما أكدوا على أهمية الإرادة الإنسانية في عملية تغيير العالم (ياسين ، ٢٠١٤ ، ص ١١٩).

وفي الفكر الوسيط المسيحي والإسلامي فإن تجذير الأسس الفلسفية للفكر المسيحي وبالأخص الأخلاقي قد استند إلى فكرة الاهتمام بالسمو الروحي والأخلاقي لدى المفكرين دون الاهتمام بما هو دنيوي، بل ينبغي أن يسرح النظر إلى ما هو أبعد بكثير حيث الملكوت السماوي، وهنا يبزغ نجم "أوغسطين" الذي اعتقد أن الحياة الفاضلة لا تتحقق إلا بالإيمان (ياسين ، ٢٠١٤ ، ص ١١٨).

وبطبيعة الحال تأثر "أوغسطين" بسقوط "روما" مثله مثل غيره، لكنه لم يقذف الآخرين أو يلقي باللوم عليهم، بل أتى بالمشروع البديل وهو نموذج المدينة السماوية الخالدة التي تحاكي تنظيم عشيرة الملائكة الأخيار ، وفيها يتم تأسيس حضارة على نواميس أخلاقية ومرجعيات دينية خالصة ، وهذا ما يتحقق من وجهة نظره في نهاية التاريخ ؛ وبهذا يوظف القديس اليوتوبيا لتجاوز ما هو كائن لتدعيم المسيحية بحجاج فلسفي، يجعل الإيمان مرجعية التعقل والتعفف حتى في عالم اللا مكان ؛ فاليوتوبيا هي تجاوز لنموذج آخر وهو سلاح مضاد للوضعية ، والحياة الفاضلة بهذا الشكل تصبح ضربا من أضرب الانتقاد السياسي (محمد ، ٢٠١٤ ، ص ١١٠).

وتجدر الإشارة إلى أن من مظاهر الوحدة بين المجتمعات الشرقية لا سيما المسيحية الإيمان بالمخَلّص، فباستقراء التاريخ الديني والثقافي للإنسانية نجد أن مفهوم المخلّص ومبدأ الخلاص قاسم مشترك بين أكثر الحضارات ؛ فالحضارة تحتاج إلى دين وإن موتها وحياتها يتوقفان على ذلك، والحضارة تسقط إذا فقدت دينها، وتنتعش إذا تمسكت به ، وإن كانت تختلف فيما بينها في حدود هذا المفهوم وعمقه وتفاصيله؛ حيث لا تخلو ديانة تقريبا من فكرة المخَلّص، وتتراوح هذه المقولة بين مبدأ متجسد في رمز يستقطب طموح البشر وأحلامهم في الانعتاق والسعادة، وبين كونها مسارًا أو مسلكًا تربويًّا وأخلاقيا يؤدي في النهاية إلى السعادة والرفاهية (عايب ، ٢٠١٥ ، ص ٣١).

وحين ننتقل إلى الإسلام بشقيه الديني والفلسفي نجد أن الدين أكّد على فكرة الفردوس، والفردوس مرتبط بالواقع الدنيوي الذي نعيشه ومدى أفعال الإنسان فيه ، فاليوتوبيا الإسلامية يوتوبيا حركية دينامية مختلفة عن تلك اليوتوبيات المتواجدة في أذهان صانعيها ؛ لأن لها مكانًا، لكن مكانها ليس ماثلا هنا وإنما هناك في علّيّين (ياسين ، ٢٠١٤ ، ص ١١٨).

ويستمر طرح فلسفة المدينة الفاضلة شرقا وغربا؛ لكونها رسالة أخلاقية ضرورية لاستمرار الحياة وتظهر كحُلمٍ وأمانٍ في مفاصل التحول بتاريخ المجتمعات ، ويمكن تتبُّع عدد من الأفكار والتصورات لمدن فاضلة في مدونات عصر النهضة، أسقط فيها التفكير اللاهوتي على شكل روايات خيالية تتضمن في ثناياها آراء وتصورات عن مشاريع متكاملة لمجتمعات

مثالية تقوم على التنظيم الاجتماعي في إطار مراسيم دينية حاسمة، كما في "مدينة الشمس" لكامبانيلا، أو "مدينة المسيحيين" لأندريا، فضلا عن ظهور بوادر تأسيس حركة الإصلاح الديني والاقتصادي كما في "يوتوبيا" توماس مور (عابدين ونانو ، ٢٠١٢ ، ص ١٦٧).

وعند تتبع اليوتوبيا كمشروع ثقافي واجتماعي وأدبي لا بد وأن نشير إلى "مور" في رائعته يوتوبيا؛ لأنه تحدث عن المكان النموذجي للحياة على جزيرة يعيش فيها مجتمع سعيد (جمال ، ٢٠١٤ ، ص ١٨١).

ولقد ظهرت فكرة اليوتوبيا لدى "كامبانيلا" ، وبعده تظهر الفكرة في "أطلنطس الجديدة" على يد "فرانسيس بيكون" ، وكانت فكرة اليوتوبيا في هذا العصر– عصر النهضة– بمثابة معارضة فكرية وأفكار ثورية تجاه الظروف الرديئة التي سادت المجتمع آنذاك ، ثم ظهرت بعد ذلك على مر العصور المتعاقبة مشروعات يوتوبية أكثر من أن تحصى أو تقف عند حد معين ؛ لتصبح محاولة دؤوبة لتحقيق الحياة السعيدة على وجه الأرض (جمال ، ٢٠١٤ ، ص ١٨١).

تلقى القرن الثامن عشر دفعة قوية من الأفكار الفلسفية الجديدة؛ نتيجة تأسيس الدول القومية واكتشاف العالم الجديد، فحمل تنويرًا ووفَّر قدرا كبيرا من الحريات الشخصية، مؤْذِنًا بولادة المدن الفاضلة التي تحكمها القوانين الوضعية بعيدًا عما هو إلهي أو ديني (عابدين ونانو ، ٢٠١٢ ، ص ١٧٣).

مُزِّقت الفضيلة في بداية القرن التاسع عشر، وباتت أشلاؤها تستر رقعا من الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية للمدينة، وفقدت الفضيلة معناها المجرد عندما تضخمت قائمة تفسيراتها، ومع التطور السريع للصناعة وتبلور النظم الاشتراكية فقد فتحت الثورة الصناعية آفاقًا جديدة، وتصور كثيرون أنها قدمت الحل لمشكلات المدينة ، وتوجّه تحقيق الفضيلة في القرن التاسع عشر إلى إشباع الحاجات المادية المتزايدة بصفة مستمرة؛ لتوفير جوانب من السعادة الناتجة عن الترف والرفاهية (عابدين ونانو ، ٢٠١٢ ، ص ص ١٧٤–١٧٥).

بعد منتصف القرن التاسع عشر صار لكلمة يوتوبيا عدد متزايد من الأعداء، يضاهي عدد أصدقائها إن لم يَزِد عليه ، باختصار فإن أصدقاء الفكر اليوتوبي يرون فيه الصفات التالية: (مانهايم ، ١٩٨٠ ، ص ٥٠).

- أنه فكر ينظر إلى الواقع الراهن على ضوء الأماني والأحلام غير المتحققة، والتي يتطلع إلى تحقيقها في المستقبل القريب أو البعيد.

- أنه يتخذ تجاه الواقع الراهن موقف السخط وعدم الرضا ؛ ولهذا فهو أقدر أنماط الفكر على رؤية ما في هذا الواقع من تناقضات وعيوب ونقائص.
- أنه فكر دينامي هجومي لا يركن إلى مجرد التأمل الساكن، بل فكر مجبول على التخطيط للمستقبل وعلى النقد للحاضر، ونقده مرتبط بتخطيطه، وتخطيطه مرتبط بنقده.
- أنه لا غنى للبشرية عن هذا النمط من الفكر؛ فهو المهماز الذي يمنع البشرية من الركود أو الركون إلى الدعة والخمول، ويوقظها من سُباتها ، ويدفعها إلى مزيد من النمو والسير نحو الأفضل في اتجاه التقدم والرقي.

أما أعداء الفكر اليوتوبي فينعتونه بالصفات التالية: (مانهايم ، ١٩٨٠ ، ص ٥٠)

- أنه فكر لا يرى الحاضر ضمن معطياته وحدوده، بل يراه فقط على ضوء أحلامه وأمانيه وتطلعاته ؛ ولذلك فهو فكر جزئي الإدراك ومحدود النظرة.
- أنه يبالغ في تصوير سيئات الحاضر وحسنات المستقبل.
- أنه عاجز عن رؤية حسنات الحاضر وصعوبات الانتقال إلى المستقبل ومتاعبه.
- أنه فكر متهوّر طائش، لا يعترف بمقتضيات الحال ؛ ولذلك فإن كل خططه غير عملية ومستحيلة التحقيق ، ويتسم كفكر بأنه هدّام وخطير؛ فضرره أكثر من نفعه، يضحي بالعصفور الذي في اليد من أجل العصافير التي على الشجرة.

ويدخل القرن العشرون ويمر بحرْبَين طاحنتين، وتتجه المدينة الفاضلة بعد ذلك إلى التدهور في تفصيلات إدارية وتنظيمية ومهنية تخصصية؛ لتظهر نماذج المدن على شكلين: مدينة فاضلة برأسماليتها، وأخرى باشتراكيتها ، وتظهر بينهما ملامح المدينة العالمية من خلال الشعارات التي أطلقتها هيئة الأمم المتحدة وخطط التنمية التي تبنّتها (عابدين ونانو ، ٢٠١٢ ، ص ١٧٥).

ويحاول فلاسفة ومفكرو القرن العشرين من أمثال "جون رولز" وغيره التمييز بين اليوتوبيا الواقعية واليوتوبيا غير الواقعية ؛ فمثلا قام "رولز" بالتفرقة بين النظرية المثالية والنظرية اللا مثالية في " قانون الشعوب" الذي نشر في ١٩٩٩ (رولز ، ٢٠٠٧ ، ص١٠)؛ من أجل العودة إلى فكرة العقل العام وبناء مدينة فاضلة واقعية، إلا أن نظريته للعدالة التي نشرت في ١٩٧١ (رولز ، ٢٠٠٧ ، ص٧) لم تستطع القيام بذلك رغم اهتمامه العميق بتقديم نظرية معيارية بالكامل، وإصراره المتوالي على التمييز بين العقائد الأخلاقية الشاملة والسياسية ، ومكامن القصور كانت في تحدِّيه –عن غير قصد– لفكرة اليوتوبيا الواقعية من خلال نقلها

إلى استنتاجات منطقية خاصة بها، كما أن تلك الاستنتاجات دعوة إلى نقل عدالة "رولز" ضمن فضاء النظريات الفلسفية للمؤسسات السياسية ، والمدن الفاضلة الواقعية لا تبنى على الاستنتاجات المنطقية، كما أنها لا تستريح مع الأيديولوجيات البشرية الراهنة ذات المسالب المتعددة (Arnsperger, 2006, p.285).

ويغلق القرن العشرون بابه على حصاد من التلوث الناتج عن تخلي الأمم والشعوب عن كل مفاهيم الفضيلة ومشتقاتها، ويصبح العالم قرية صغيرة مختلة ومشوهة رغم زينتها واختراعاتها، ويدخلون جميعهم باب الألفية الثالثة إلى مدينة يقودها الذكاء الاصطناعي، ويتوقف مؤقتا الحديث عن المدينة الفاضلة وتتبدل الأولويات الأخلاقية ، ليستأنف العالم من جديد الدعوة والحديث عن المدينة الفاضلة مرة أخرى، والشروع في بناء نماذج لها، وتبدأ مرحلة خيالية متفائلة لمدينة ناصعة خالية من التلوث البيئي، يُعتَمد فيها على الحد الأدنى من استهلاك الطاقة الأحفورية ، والتوجه نحو الاعتماد على الطاقات المتجددة ، واسترداد ما يمكن من مصادر الطبيعة المتهالكة ، في مقابل خياليْن متشائمين ينذران بنهاية المدينة: أحدهما نتيجة حرب مدمرة، والآخر طغيان التلوث وحكم الآلة والأتمتة (عابدين ونانو ، ٢٠١٢ ، ص ١٧٥).

وفي الوقت الراهن تمثل اليوتوبيا موجة ومسارا جديدا في المجتمع؛ فهي الوجه الآخر للتجديد كما أنها قوة محركة وديناميكية في التفكير والحركة لأي تغيير في الحياة الإنسانية ، بتعبير آخر اليوتوبيا هي الوسيلة المتاحة للفكر الذي يصل عن طريقه العقل والوعي معًا إلى مرحلة عالية من النضج والتكامل الذي لم يصل إليه الإنسان من قبل (جمال ، ٢٠١٤ ، ص ١٨٦).

ومع إفرازات الثورة الصناعية الرابعة والتقدم التكنولوجي في العصر الرقمي تبرز اليوتوبيا كتوجه نحو عالم افتراضي فاضل يتسم بالحكمة ؛ حيث إنه في العالم الافتراضي وبالأخص في مواقع التواصل الاجتماعي سوشيال ميديا لا توجد سلطة لأحد على أحد، لا يوجد حكام ومحكومون ولا سيد أو عبد ، في العالم الافتراضي الجميع في نفس المستوى من الصلاحيات، والجميع يحكمون، والجميع ملوك ويشاركون في الحكم، فإذا كنا نريد عالما افتراضيا فاضلا فذلك يتطلب أن يتزود مستخدمو السوشيال ميديا بالحكمة؛ كي يديروا عالمهم الجديد على الوجه الأكمل ويصبح عالما فاضلا (جيد ، ٢٠٢٠ ، ص ١٢).

لم يعد هنا من الحكمة أن نتكلم إذن على علوم وتقانات المستقبل، وانتقال المعارف والحضارة والثقافات إلى الأجيال القادمة في ظل مخاوف من مِثْل تلك الصورة القاتمة بلا شك ومن دون الانتباه إلى المخاطر المحتملة أيضا ، وتلك صورة تقابلها صور قد تبدو أقل قتامة

ولكنها بالطبع تبقى مزعجة، منها ما ترسم في المخيلة المتصورة لها أشكال من الكوابيس والأحلام الثقيلة عندما يتعلق الأمر بالعبث في رسم صورة الإنسان، ومصير الكائنات الحية، وأنماط الحياة التي أَلِفْناها طبيعية ومريحة وميسرة على البقاء ، أما الصورة الثالثة فهي صورة الأمل بخُلُوّ الحياة من شرور صنعها الإنسان بنفسه، وطورتها التقنية المختلفة وطبقتها آلة الحرب والدمار الشامل (العبودي ، ٢٠١١ ، ص ١٣٣).

إن المدينة الفاضلة الافتراضية ليست ضربا من الخيال بل يمكن أن توجد حولنا، ويوفِّر لنا الآن الإنترنت وتكنولوجيا المعلومات أدوات تمكِّننا من أن نعيش في مدينة فاضلة ، ونرى ذلك في العديد من النواحي، مثل الفرص التي تُتيحها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات للطلاب المعرضين لخطر الاستبعاد من التعليم، حيث الفرص المتعددة السهلة والمجانية وغيرها من فرص تنمية وتطوير الذات عن بعد، وتجاوز حدود الزمان والمكان وتبادل المعلومات والمعارف، وحضور محاضرات وندوات وتفاعلات واجتماعات في بلاد أخرى ، والوصول بأفكارنا للآخرين بمنتهى الحرية، متجاوزين قيود النشر وحسابات الشلالية (جيد ، ٢٠٢٠ ، ص ص ١٣-١٤).

لا نريد تقديس التكنولوجيا لما ينتابها من غموض يحيط بمصادرها، ولكن أصبحت واقعا لا مناص من التعامل معه ؛ لذا فإن البحث في طرق تجعلها فاضلة ومفيدة للإنسان أجدى وأجدر من التعرف على إيجابياتها أو سلبياتها ، ولو أن وظيفة المدينة الفاضلة القديمة هي أن تنتشل الإنسان مما يعانيه من ظلم وتخلُّف واستعباد لترتفع به إلى قمة الحرية والازدهار ؛ فإن الحلم الآن هو عالم افتراضي فاضل ينتشلنا من الكذب والنصب والسرقة والاستغلال والشائعات، وخطابات الكراهية والإساءة والعنف ضد الأطفال إلى قمة الحرية والمسؤولية والسلام والصدق والأمان (جيد ، ٢٠٢٠ ، ص ١٤).

وينقسم عمل اليوتوبيا إلى قسمين: الأول يعكس صورة واضحة عن الحياة السلبية التي يعيش فيها المجتمع بجوانبه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية...إلخ، والتي لا تتناسب مع طموح الأفراد، أي نقد ما هو كائن بالفعل ، والثاني تقديم أنموذج لما ينبغي أن يكون عليه المجتمع بعد تجاوز كل السلبيات التي كان يعاني منها ذلك المجتمع ؛ إذن النقد الذي يتعرض إليه المجتمع ليس نقدا سلبيا ، بل هو نقد بنّاء يعرض لنا المشكلة ويحللها ثم يقدم الحلول المناسبة لها ؛ ولذلك نلاحظ أن العلاقة بين الواقع والحلم علاقة وطيدة؛ ذلك أن أحلام الإنسان مرتبطة بواقعه ارتباطا وثيقا (ياسين ، ٢٠١٤ ، ص ١١٩).

إن الجذور الفلسفية للفكر اليوتوبي ترجع إلى محدودية الواقع المتشعبة والمتشابكة، بمعنى أنه نابع من ضيق الأفق الحياتي والوجودي للإنسان مع التصور الذاتي للطاقات

البشرية؛ حيث ليس بإمكان الإنسان نَيْل كل ما يريده ويتوقعه في الوجود على وجه الكمال ، فالمحدودية الموضوعية نعني بها العوامل الطبيعية كالبيئة الجغرافية، والوجودية التي تعرقل الإنسان عن الحصول على ما يريده أو يتمناه ، أما المحدودية الذاتية فتعني محدودية المواهب والقدرات البشرية في تحقيق آمالها ، والإنسان يحاول تخطي الطوق الزماني والمكاني أي الأنطولوجي (الوجودي) من خلال اليوتوبيا ؛ فجوهر فكرة اليوتوبيا هو رد فعل فكري للخروج من الواقع المتأزم، أي الاختراق الكلي للوجود ونفْي هيمنته الأبدية وشبه الحتمية على مصير الإنسان، وإيقاظ الإرادة الحرة لدى الإنسان لأجل التحوّل (جمال ، ٢٠١٤ ، ص ص١٧٩-١٨٠).

إذا صح التعبير أن الإنسان كائن ارتدادي، كثيرًا ما يرتدّ عن بيئته ويناقضها بطبعه وكنهه، فهذا الدافع وازع مؤثر في نشوء أفكار تحررية وتغييرية لدى الإنسان المُبدِع ؛ فالإنسان بطبعه يميل إلى التغيير، والتغيير ناتج عن طرح البديل ، أيضا يطمح الإنسان إلى الكمال وتحسين ظروفه الحياتية ؛ فالكمال أيا كان محتواه ثقافيا أو أدبيا أو دينيا أو علميا مستوحى من الفكر اليوتوبي ، والتفكير اليوتوبي يجعل من الإنسان مهاجرا عندما يترك المكان المألوف للوصول إلى المتخيّل ، وعندما يصل المرء إلى حقيقة انحصاره في الزمان والمكان تتبع لديه أطماع التحرر وفك القيود الملقاة عليه وهذا أساس في اليوتوبيا (جمال ، ٢٠١٤ ، ص ١٨٠).

إن فكرة التحرر سواء كمشروع أدبي أو سياسي هي يوتوبيا في حد ذاتها، فمثلا الطبيعة كانت ولا زالت لها هيمنة وسيطرة على الإنسان؛ لذلك كان العلم أحد أسلحة الإنسان للتحرر من سيطرتها ؛ فالعلم – وإن كان يوصف بالواقعيّة– ناتج عن يوتوبيا وطموحات الإنسان من جانب، وخوفه من الطبيعة من جانب آخر ؛ هذا التقارب بين العلم واليوتوبيا وإن اختلفا في المحتوى والمنهج إلا أنهما متماثلان من ناحية الهدف ألا وهو كسر القيود سواء كانت من لدُن الطبيعة أو من لدن الأعراف والقوانين الإنسانية، وتجدر الإشارة إلى أن وراء كل فكر يوتوبي واقعي نقد فلسفي تجاه الواقع (جمال ، ٢٠١٤ ، ص ١٨٠).

ويُتطلب من الفلسفة السياسية أن تلهم أفراد المجتمع الأمل في قابلية تحقق العدالة كإنصاف منها وتحقيقها على أرض الواقع كإنجاز لها، ويتم ذلك عندما يهتم النظام السياسي القائم في المجتمع بمهمة الإدراك بشكل مركزي لآمال الشعوب وحقائق الوجود ، وأفضل ما تسمح به حقائق عالمنا المعاصر هو أن نأمل فيه بتحول الأمل إلى حقيقة واقعية (Terlazzo, 2009, p.12).

ويتكشف لنا اتجاهان رئيسيان في الفكر اليوتوبي عبر العصور: الأول منهما يبحث عن سعادة الجنس البشري من خلال الرفاهية المادية وإذابة فردية الإنسان في المجموع وفي مجد الدولة ، واتجاه آخر يتطلب درجة معينة من المادية لكنه يعتبر السعادة نتيجة التعبير الحر عن شخصية الإنسان ، ويجب ألا يُضَحَّى بها لأجل قانون أخلاقي استبدادي أو لمصالح الدولة مع التصورات المختلفة ، وتتطابق هاتان النزعتان مع التصورات المختلفة للتقدم؛ لأن اليوتوبيات المضادة للنزعة التسلطية تقيس التقدم عن طريق درجة التمايز داخل المجتمع، فإذا كان الفرد وحده في كتلة المجموع فإن حياته لا تكون فظّة وقصيرة فحسب، بل تكون كذلك حياة متبلّدة وآلية (العبودي ، ٢٠١١ ، ص ١٤٢).

ومن الناحية المنهجية والعلمية والتحليل النقدي يمكن التفرقة بين نوعين من اليوتوبيا: أولهما اليوتوبيا الواقعية وهي التي تتسم بإمكانية التطبيق، ولها معقولية في التنفيذ؛ لأن الفلسفة السياسية والاجتماعية يوتوبيا، والأمل فيها كخيط فكري يدفع الفكر الإنساني ويجذبه نحو التحول ، بينما النوع الثاني من اليوتوبيا لا واقعي مفرط في المثالية؛ حيث يقوم على الخيال الكاذب والأفكار غير المعقولة أو محددة المعالم (جمال ، ٢٠١٤ ، ص ص ١٨٧-١٨٨).

بصرف النظر عما يمكن أن تكون عليه اليوتوبيا عند هذا المفكر أو ذاك، وسواء كانت إيقافًا للتاريخ وتجميدا له أو كانت محاولة للعودة بالإنسانية إلى الماضي الذهبي، فإن كل تلك التصورات لليوتوبيا عادة ما تشير إلى أن التفكير اليوتوبي يحتوي على عنصر الخيال والحلم ؛ ولعل هذا ما جعل اليوتوبيا وكأنها الحلم الذي يتعذر تحققه في الواقع؛ حيث إن المفكر يتخذ لنفسه ملجأ يُولِّي إليه في عالم مثالي وخيالي لدرجة يصعب معه ترجمته إلى واقع (أحمد ، ٢٠٠٠ ، ص ص ١٦٩-١٧٠).

ومن خلال هذه المبالغة والمفارقة للواقع يخرج لنا هذا النوع من البناء اليوتوبي ليس على أنه الحل لأزمة المجتمع القائم، بل على أنه مجرد طرح نمط مثالي لما ينبغي أن يكون عليه المجتمع دون أدنى محاولة من جانب مؤلفها لبذل الجهود لترجمتها في الواقع ؛ وبذلك تصبح اليوتوبيا وفقا لذلك التحديد مجرد نوع من الإشباع الوهمي بالأمل في كسر الواقع، فتظهر كنوع من الاغتراب والهروب إلى عالم الأحلام وتبقى مجرد أمل وهمي، لا تمتد إليه الجهود الإرادية لتحقيقه وهذا ما يمكن تسميته باليوتوبيا المثالية في مقابل الأخرى الواقعية التي لم تصبح -أي الأخيرة- مهمتها بالفعل مجرد وضع بناء لنظام اجتماعي متكامل، وإنما تسعى لاكتشاف الوسائل لتحويل هذا البناء لواقع معيش ثم الاتجاه إلى تحقيقه ؛ الأمر الذي قد يستلزم إلى حد ما نوعا من الصراع مع الأوضاع القائمة (أحمد ، ٢٠٠٠ ، ص ١٧٠).

وثمة اقتران ورابطة قوية بين النقد واليوتوبيا من ناحية، وبين النقد والأزمة من ناحية أخرى؛ فليست اليوتوبيا بالتحديد ثورية وعنفوية على الدوام ، فغاندي ومانديلا مثالان ليوتوبيين سياسيين وتحرريين ضد الاستبداد والاحتلال بطريقة اللاعنف ؛ فالواقع اليوتوبي لا يقوم أبدا على مبدأ الكمال الكُلّي ولا يملكه ، وإنما جدلية التغيير والتخطي نحو الأفضل، فمثلا كانت اللاطبقية نهاية الفروقات في نظر مور والماركسية ولكن الجدل كبداية لتحقيق هذه الغاية ما زال ممتدّا ، وفي هذا الإطار فإن سيرورة الواقع وصيرورته تبغي شيئا من التفكير اليوتوبي ، وبما أن فكرة اليوتوبيا تولّدت عن الضرورة أو الأزمة والقحط الفكري والسياسي والاجتماعي، فالتغير ناتج عن تلك الضرورة ، ولكي نعرف مدى ضرورة اليوتوبيا فلا داعي أن ننظر إلى جوهر الفكرة بعينها، وإنما ننظر إلى السيرورة أي التحول والصيرورة أي المآل الذي تُحْدثه في الواقع العملي (جمال ، ٢٠١٤ ، ص ص ١٨٩-١٩٠).

ولا يعني وجود يوتوبيا مثالية وأخرى واقعية أن هناك تعريفين متضادين لمصطلح اليوتوبيا، بل إن هناك تصورات مختلفة تجاه المصطلح يتحكم فيها الوضع التاريخي الذي يقع فيه المفكر والملابسات المحيطة به، ورؤية المفكر ذاته حول دوره داخل المجتمع ، ويمكن أن نلمح أوجها مشتركة بين اليوتوبيا المثالية والأخرى الواقعية، من بينها التوظيف المتجانس للعلاقات الاجتماعية والاتصال الدائم بالآخرين ، وإذا كان من الغريب بل من المدهش ألا تكون المساواة سمة عالمية في تصور المجتمع المثالي، إلا أن ما نجده دائما هو فكرة التوظيف الاجتماعي الذي يقنع كل فرد بأن يقوم بالدور المحدد له، سواء كان توظيف هذه العلاقات الاجتماعية هرميا أو يتسم بالمساواة ، ولا دخل لهذا بالتقسيمات العامة التي قد تحدث بين ما هو قديم وما هو حديث (أحمد ، ٢٠٠٠ ، ص ص ١٩٧-١٩٨).

أما إذا تعرضنا للخلاف بين النسق المثالي والنسق الواقعي لليوتوبيا تبيَّن أن الأول لا يوجد في زمان أو مكان دنيوي ملموس يمكن التوصل أو الوصول إليه ، أما الثاني فيتعامل مع العالم المثالي على أنه قابل للتحقيق عن طريق الوسائل البشرية البحتة ، وبعبارة أخرى فإن النسق المثالي لا يَضَع المجتمع الكامل بشكل ييسّر لأغلبية الأفراد داخل المجتمع الوصول إليه؛ لأنه غالبا ما يكون مفْرِطا في تحديداته المثالية على النحو الذي يجعله غير قابل للتحقيق، بالإضافة إلى افتقاد مضامينه لأي قوة مؤثِّرة ومغيِّرة للواقع المعيش (أحمد ، ٢٠٠٠ ، ص ١٩٨).

ويظل الفكر اليوتوبي والفكر الأيديولوجي قائمَيْن ما دام في المجتمع – أي مجتمع – أناس يستفيدون من تركيبة الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وآخرون لا يستفيدون منها أو يضارون فيها ، وحين تنجم بنية الأوضاع في استقطاب ولاء كل أعضاء المجتمع

وفي الفوز برضا الجميع فيتحقق الاستقرار، وتنتهي المخاوف والمطامع وينتشر الأمن والرخاء ويصبح الكل راضيا – وهذا ضرب من المستحيل – حينذاك يذبُل الفكر اليوتوبي ويموت معه الفكر الأيديولوجي ويتوقف التاريخ، وهذا مستحيل ما دام في الحياة بالمجتمع حياة (مانهايم ، ١٩٨٠ ، ص ٥٣).

وهناك فرق بين الفكر اليوتوبي وعلوم المستقبل القائمة على التخطيط أو الدراسات المستقبلية؛ لأن اليوتوبيين معنيون بخلق أفكار وتصورات للانسجام الاجتماعي، صادرة عن الخيال الأدبي أو التصور الفلسفي وفلسفة التأويل بإيعاز من الواقع الاجتماعي المرير، فأغلب اليوتوبيات جاءت في شكل مشاريع أدبية أو تصورات فلسفية (دوبه ، ٢٠١٨ ، ص ٢٩)، بينما علوم المستقبل أو الدراسات المستقبلية قائمة على فلسفة تفسير المستقبل؛ فهي فكرة تقدُّمِيَّة إنسانية تدور حول رؤية الظواهر والأشياء في حركتها إلى الأمام، والتجرد من الذات الحالية إلى البحث عن حياة الناس مستقبلا في ظل معطيات معينة؛ كي يتم تفادي مشكلات المستقبل ؛ ومن ثم فالدراسات المستقبلية تهتم بالتغير المرغوب أو المحتمل أو المتوقع مستقبلا (Bishop & Hines, 2012, p.1). واستنادا إلى ذلك؛ فإن اليوتوبيا لا تعني فقط رؤية مجتمع المستقبل، بل تعني رؤية صافية بسيطة وقدرة على استخدام مفهوم رحب لرؤية الواقع بكل مُقدَّراته وإمكاناته.

ثانيًا – أصل المصطلح وامتداده، وماهيته في المنظورات العلمية

يركز العنصر الحالي في الدراسة على عرض وتحليل مفهوم اليوتوبيا ، وامتداده عبر الزمن ، ثم التطرق تفصيلا إلى المصطلح من زواياه المتعددة.

(أ) أصل المصطلح:

كلمة يوتوبيا كلمة مترجمة من الإنجليزية ولكنها ذات جذور يونانية، وهي تركيب من مقطعين Ou وتعني no أي لا، و topos وتعني place أي مكان، واللفظة ككل no place أي اللا مكان أو مكان غير موجود (وهبة ، ٢٠٠٧ ، ط٥ ، ص ٦٩٢).

واشتُق مصطلح اليوتوبيا من مصطلحات الإغريقيين القدماء، كمصطلح Ou–topos ومعناه اللا مكان، ومصطلح Eu–topos ومعناه مكان الخير والفضيلة؛ وبذلك تكون اليوتوبيا المكان المغمور بكل ضروب الخير والسعادة والعدالة، لكنه مكان خيالي وعصيّ على الوصف ، ثم تطور المفهوم عبر التاريخ فجرى التفريق بين اليوتوبيا بوصفها مكانا خياليا،

وبينها من حيث هي رغبة ووصف ومحاولة لخلق مجتمع أفضل (هاشم والمسلمي وعريبة وعز الدين ، ٢٠٢٠ ، ص ٤١٣).

والفكرة الأساسية في اليوتوبيا هي اقتراح ما يراه المؤلف أنه النظام الأمثل للحكم، والذي يضمن الحرية والعدالة والمساواة لجميع المواطنين ، ويكْفُل لهم رخاء العيش بأقل مجهود، ويبدأ العرض ببيان ما في الدول والمجتمعات المعاصرة للمؤلف من مفاسد وشرور، ومظالم واستبداد، ثم ينتقل إلى بيان ما يقترحه من علاج للتخلص من هذه الشرور (بدوي ، ١٩٩٦ ، ص ٣٧٤).

واليوتوبيا كمصطلح في اليونانية ما ليس بمكان، أي المكان المتخيل الذي لا وجود له في الواقع ، وعند توماس مور الإنجليزي بمعنى الجنة الأرضية، أو المدينة الفاضلة، أو المثالية ، حيث صور فيه مجتمعا شيوعيا أبيقوريا يقوم على المساواة والعدالة والحرية ويسعى إلى تحصيل السعادة ، ثم أطلق لفظ اليوتوبيا على كل كتاب من بعدُ يصور مدينة فاضلة متخيلة لمجتمع إنساني مثالي (الحفني ، ٢٠٠٠ ، ط٣ ، ص٩٥٧).

ولقد نُشِر كتاب "يوتوبيا" لمور في عام ١٥١٦ إذ وصف فيه صاحبه الدولة المثلى التي يكون كل شيء فيها مثاليا للبشر ، وجميع شرور المجتمع كالفقر والبؤس غير موجودة ، ثم إن شهرة الكتاب جعلت من هذا المصطلح استخداما لوصف الدولة المثلى في كل عصر ومصر بعده، وأصبح للكلمة فيما بعد بُعْدا غير الذي استخدمه صاحبه، وإن كان ذا علاقة به فصارت تطلق على كل إصلاح سياسي أو على أية تصورات خيالية مستقبلية، أو حتى على كتابات الخيال العلمي وعلى تصورات الاحتمالات العلمية والتطبيقات التقنية ، وعبر تاريخ العلوم كُتبت يوتوبيات عديدة حاولت أن تقترب من الأمل الإنساني في الرخاء، لكن التطبيقات الشريرة لبعضها جعلت البشر يتحملون من جديد لأجلها آلاما مضافة (العبودي ، ٢٠١١ ، ص ص ١٣٥-١٣٦) ، وتستخدم الكلمة اليوم للدلالة على مشروع للنهوض الاجتماعي من المستحيل تنفيذه، أو على الأقل من الصعب تحقيقه (حسيبة ، ٢٠٠٩ ، ص٧٠٠).

(ب) امتداد المصطلح:

ظهر مصطلح اليوتوبيا في القرن السادس عشر؛ ليعبر عن منظومة اجتماعية جديدة وحياة مثالية فاضلة ، ويظهر مدى التطور الذي خضعت له حياة الشعوب على مر القرون ، ولقد مر مصطلح اليوتوبيا بطورين : الأول كانت تعني فيه المعنى البعيد الأوَّلي وهو المجتمع المثالي الخيالي لسعادة الإنسان الخالية من النقائص البشرية، فاتخذها "أفلاطون" رمزا لمدينته الفاضلة الخالية من العيوب من وجهة نظره، فهي حركة لا نهائية تجاه هدف لا يمكن إحرازه

مع الواقع الراهن، وهذا يؤكد أن اليوتوبيا كانت فكرة من الصعب تحقيقها ومن المستحيل بناء عالم على المُثُل والفضائل (حسانين ، ٢٠١٨ ، ص ١٩٩).

واليوتوبيا أو المدينة الفاضلة بالإنجليزية Utopia مفهوم فلسفي ابتكر في الكتاب الذي حمل اسم insula Utopia *De optima reipublicae status, deque nova* من تأليف توماس مور، والذي استقى فكرته من كتاب الجمهورية لأفلاطون ، ويدل المفهوم على الحضارة أو المكان المثالي، وبالأخص في الجوانب الاجتماعية والسياسية وغيرها (حسيبة ، ٢٠٠٩ ، ص٧٠٠).

فأول من استعمل هذا اللفظ "توماس مور" في كتابه، وهو يصور مدينة خيالية ذات نظم مثالية تضمن لأفرادها أسباب الخير والسعادة ، ثم أطلِق هذا اللفظ بعد ذلك على كل ما يصور النظام المثالي للمجتمع الإنساني (حسانين ، ٢٠١٨ ، ص ٢٠٠).

ومن هنا بدأ الطور الثاني للمصطلح فأصبح يطلق على ما يمكن تصوره، فتحول من الخيال إلى الواقع، ثم أصبحت الكلمة تستخدم لوصف كل عمل أدبي أو فلسفي يتعلق بالمثالية، فظهرت قصص وروايات لها طابع فلسفي يوتوبي، ولا سيما يوتوبيا الروايات ذات الطابع الاجتماعي (حسانين ، ٢٠١٨ ، ص ٢٠٠).

كان توماس مور أول من صاغ كلمة يوتوبيا أو أوتوبيا في نطقها اليوناني ، واستخدم اللفظ منذ ذلك الحين في جميع اللغات الأوروبية وفي ترجمته العربية أيضا؛ ليعني نموذجا لمجتمع خيالي مثالي، يتحقق فيه الكمال أو يقترب منه ، ويتحرر من الشرور التي تعانيها البشرية (العبودي ، ٢٠١١ ، ص ص ١٣٥-١٣٦)، فلم تكن كلمة اليوتوبيا ذات وجود في القواميس العربية القديمة؛ مما يدل على أنها لفظة دخيلة على اللسان العربي، وإن كان لها في العربية ما يعبر عن محتواها ومقصدها مبنى ومعنى وهي كلمة "طوبى" التي ذكرت في القرآن الكريم في سورة الرعد ، قال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ** ﴿٢٩﴾ ﴾ (الرعد : ٢٩)، وفي الحديث الشريف كُنَّا عِندَ رسولِ اللهِ ﷺ نؤلِّفُ القرآنَ منَ الرقاعِ فقال رسول الله ﷺ " طوبى للشام : قالوا لأي ذلك يا رسول الله؟ قال: لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها " (الجامع الصحيح للترمذي ، باب في فضل الشام واليمن ، الحديث/٣٩٥٤) ، ويقصد بالكلمة في الآية الكريمة " الجنة " وفي الحديث الشريف الثناء بالخير وإبراز الفضل، وتحمل الكلمة معنى الطيب في العيش والسعادة في الحياة وكذلك اليوتوبيا (دوبه ، ٢٠١٨ ، ص ص ١٤-١٥).

والفرق بين طوبى ويوتوبيا أن اليوتوبيا حلم وأمل إنساني في حياة سعيدة ، بينما طوبى هي المعيشة والحياة السعيدة التي أعدها الله لعباده المخلِصين ؛ وهنا تظهر العلاقة بينهما في أن اليوتوبيا تصور إنساني للجنة ، بينما طوبى هي الجنة التي تتصف بأنها مرتع خصب، ومجال رحب، وأفق متمدد مفتوح على الممكنات، ومتجاوز لكل التصورات لقول الرسول عن رب العزة أنه قال ﷻ " أعددتُ لعبادي الصالحينَ ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ، ذخرًا بَلْهَ ما أطلعتُهم عليه ، اقرأوا إن شئتم: فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (صحيح البخاري ، باب قول الله يريدون أن يبدلوا كلام الله ، الحديث/٧٤٩٨).

وتخلص الدراسة إلى أن كلمة اليوتوبيا ليست عربية الأصل، وإن كان لها ما يرادفها في العربية وهي كلمة طوبى، وكلا الكلمتين يدل على أرض السعادة والتي يتحقق فيها الحُلم الإنساني بعد عناء أو شقاء ، وكلاهما ليس له وجود مرئي على أرض الواقع، وإن كانت طوبى: أي الجنة لها وجود حقيقي في الواقع إلا أنها غيب؛ لأنها حق كما قال رسول الله ﷺ " .. والجنة حق "(صحيح البخاري، باب قوله يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم إلى وكيلا، الحديث/٣٤٣٥).

ويرى البغدادي (٢٠١٤) أن اليوتوبيا يقابلها في اللغة العربية الطوبى، وهي من نوادر الجموع لكلمة طيّب، وتعني الغبطة والسعادة والحظ والخير ، ومنها كلمة الطوباوية التي توافق في معناها ولفظها كلمة يوتوبيا (البغدادي ، ٢٠١٤ ، ص ٣٢٢).

ومعظم الكتّاب يستخدمون كلمة يوتوبيا كمقابل للكلمة الإنجليزية Utopia، والفرنسية Utopie عن الأصل اللاتيني Utopia، وإن كان المعجم الفلسفي لجميل صليبا يضع مقابلها بالعربية كلمة طوباوية؛ حيث يرى أن الطوباوية مقابل للفظ الأجنبي، وتطلق على المثالي الذي لا يحصيه مكان على الأرض ، ويطلق وصف الطوباوية على كل أجناس الكتابات التي تصف الأنظمة المثالية التي ينبغي أن يعيشها المجتمع ، كما أنها تحمل معنى الخيالي كمقابل للواقعي أو نقيض للعلمي (صليبا ج٢ ، ١٩٨٢ ، ص ٢٤)، ولكن كلمة الطوباوية لم تحظ بالانتشار مثل لفظة يوتوبيا (المكي ، ٢٠١١ ، ص ٢١٧) فماركس مثلا ليس طوباويا بل علميا؛ لأنه يرسم صورة لنظام اجتماعي لا تستند إلى أفكار غير قابلة للتحقيق، وإنما تستند إلى نظرية علمية للتاريخ من جراء تحليل أسلوب الاقتصاد والإنتاج الرأسمالي في عصره (وهبة ، ٢٠٠٧ ، ط٥ ، ص ٦٩٣).

والطوباوية هي الطريقة القائمة على تمثيل حالة وهمية كأنها متحققة بكيفية ملموسة ، إما للحكم على ما تتضمن من نتائج، وإما في الأغلب لتبيان مدى جدوى أو فائدة هذه

النتائج. لا ريب أن بعض الكتب المسماة طوباوية هي في الواقع نقد محض ومجرَّد لعيوب أو تجاوزات زمانها دون أي مقصد إنشائي بنَّاء، وهي أشبه بالأساطير ، لكن ليس هذا هو المعنى الحقيقي للكلمة (لالاند ، ٢٠٠١ ، ص ١٥١٨).

عند الاسترسال قليلا يمكن القول إن الطوباوية ليست مقتصرة على ما ينتجه الخيال مما ليس له محل في الواقع ، بل قد تعبّر عما يرفض الواقع نفسه الانصياع له بالضرورة، كالمُثل العليا السياسية والاجتماعية، ومن هذه المثل العليا فكرة السلام العالمي العام، وفكرة التقدم المستمر، وفكرة المساواة الطبيعية وغيرها (صليبا ج٢ ، ١٩٨٢ ، ص ٢٤) مثل هذه المُثل وأمثالها عبارة عن طموحات يراها كثيرون مشروعة، بل قد يستغرب بعضهم وصفها بالمثاليات اليوتوبية؛ لكونها من جنس ما يتعايش معه الإنسان بوجه نسبي ضمن مجتمعاته (البغدادي ، ٢٠١٤ ، ص ٣٢٢).

ويعتقد بعض المتخصصين في اليوتوبيا أنها ترجمة غير مناسبة للطوباوية؛ لأن اليوتوبيا هي الأين الذي لا أين له، أو مدينة غير موجودة في أي مكان، أما الطوبى فهي أرض السعادة ويستند إلى وجوب التفرقة بين كلمة يوتوبيا Utopia وإيتوبيا Eutopia (دوبة ، ٢٠١٤ ، ص ١٤).

ومن ناحية أخرى يُطلَق لفظ الطوباوية على المثل العليا السياسية والاجتماعية التي يتعذر تحقيقها؛ لعدم بنائها على الواقع أو لبُعدها عن طبيعة الإنسان وشروط حياته، من هذه المثل العليا فكرة السلام العام، وفكرة التقدم المستمر، وفكرة المساواة الطبيعية، وغيرها مما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين من كل شيء في هذه الحياة، ومع أننا نرى أن كثيرا من رؤى الشعراء والعلماء والفلاسفة والمفكرين تنقلب بعد مدة من الزمن إلى حقائق واقعية (حسانين ، ٢٠١٨ ، ص ٢٠١) (عايب ، ٢٠١٥ ، ص ٨).

واليوتوبيا بمضمون مألوف جدا تعبر عن مثال سياسي أو اجتماعي مُغرٍ، لكنه غير قابل للتحقق، لا يحسب فيه أي حساب للوقائع الحقيقية لطبيعة الإنسان وظروف الحياة ، هكذا جرى الاعتراف رويدا رويدا بجدوى لسان دولي على العموم ؛ لكن لا يزال هناك أشخاص كثيرون لا يتجاسرون على التوقف عند هذه الفكرة؛ لأنهم يعتبرونها بمنزلة طوبى (لالاند ، ٢٠٠١ ، ص ص ١٥١٦-١٥١٧).

ويطلق على اليوتوبيا الحلم الاجتماعي كما يطلق عليها الرغبة في طريقة أفضل للوجود، وفي إطار هذا النطاق العريض للكلمة يكمن ما أُطلق عليه أوجه اليوتوبيا الثلاثة

وهي: الأدب اليوتوبي، والتطبيق العملي لليوتوبيا، والنظرية الاجتماعية اليوتوبية ، وقد غدت الكلمة تحمل معانيَ مختلفة لأشخاص مختلفين (سارجنت ، ٢٠١٦ ، ص ١٣).

واليوم يعد النوع الأدبي الفرعي المسمى "الإيكوتوبيا" أو "اليوتوبيا البيئية" والذي سمي بهذا الاسم على اسم رواية "إرنست كالينباخ" الصادرة عام ١٩٧٥ أقوى تيار يوتوبي ، والكثير من اليوتوبيات البيئية نسوية أيضا ؛ ومن ثم فإن أقوى تيارَيْن في الخمسين عاما الأخيرة كثيرا ما يجتمعان معًا الآن؛ ليضم المنظورين النسوي والبيئي (سارجنت ، ٢٠١٦ ، ص ٣٧).

على مدار قرون حاول الكثير من الأفراد والمجموعات تطبيق رؤاهم على أرض الواقع ؛ فحاول البعض الحصول على السلطة السياسية للقيام بذلك ونجح القليلون منهم ، وأنشأ آخرون حركات اجتماعية محققين نجاحا أكبر في ذلك ، واليوتوبيون الذين حازوا السلطة السياسية خلقوا في الغالب ديستوبيات وليس يوتوبيات، مثل ألمانيا النازية تحت حكم أدولف هتلر وغيرها من الأمثلة والنماذج الجديرة بالملاحظة، لكن الشكل الأكثر شيوعا لتطبيق رؤية بعينها على أرض الواقع هو خلق مجتمع صغير للانعزال عن المجتمع الأكبر؛ لتطبيق معتقدات أعضائه دون تدخل أو تطفل من أحد ، أو لإثبات أن اليوتوبيا التي يؤمنون بها قابلة للتطبيق على المجتمع الأكبر ، بالإضافة إلى أنه ينظر الآن إلى الإجراءات الصغيرة المؤقتة على أنها يوتوبية؛ لأنها توظف بشكل عام صورة يوتوبية في مقابل الديستوبيا التي تعارضها، وتتخذ تلك الإجراءات أشكالا عدة من الأداء الفني إلى الاحتجاج (سارجنت ، ٢٠١٦ ، ص ٣٩).

والنظرية الاجتماعية لليوتوبيا تذهب في أهدافها إلى عيش حياة أفضل مع ربط العلاقات والأنساق الفرعية للنسق الكلي في المجتمع؛ بحيث تظهر الصورة المثلى من التطبيق العملي للنظريات، ويتضح ذلك في خطوات تتسم بالإجرائية والتحديد الدقيق لكل مقومات الحياة المنشودة، وأسسها النظرية التي استندت إليها.

ويعنى نطاق الدراسة وطرحها لقضية اليوتوبيا بالوجه الثالث، وهو النظرية الاجتماعية اليوتوبية؛ حيث يهتم بتفسير العلاقات بين أهداف التربية الإسلامية واليوتوبيا الاجتماعية؛ للكشف عن النظرية الاجتماعية المحددة للمجتمع اليوتوبي في ضوء التربية الإسلامية تبعا للتصور الإسلامي للنسق المجتمعي ، كما أن الدراسة لن تبعد عن الوجه الثاني عندما تتصور مجتمعا بديلا عن الواقع في ضوء أهداف واضحة ومحددة.

(ج) ماهية المصطلح في المنظورات العلمية:

ثمة اختلافات على تعريف اليوتوبيا ، وإحدى المسائل التي تحير الناس دائما تنشأ من عدم التمييز بين اليوتوبيا باعتبارها فكرة عامة والأدب اليوتوبي باعتباره فرعا من فروع الأدب؛ فاليوتوبيا باعتبارها فكرة تشير إلى الأحلام المتعلقة بالسبل التي تنظم بها الجماعات البشرية حياتها ، والتي عادة ما تضع تصورا لمجتمع مختلف كليا عن المجتمع الذي يعيش فيه الحالمون ، واليوتوبيا على العكس من معظم النظريات الاجتماعية تركز على الحياة اليومية، إضافة إلى المشكلات المتعلقة بالأمور الاقتصادية والسياسية والاجتماعية (سارجنت ، ٢٠١٦ ، ص ١٢).

واختلف اللغويون والنقاد في تحديد مدلول كلمة ou topos هل المقصود بها عند مور اللاموجود؟ أم يقصد من خلفها المكان المثالي؟ وانتهى البعض إلى أنه بما أن العالم المثالي يكاد يكون فعلا عديم الوجود فلا بد أن كلمة يوتوبيا إذن تحوي المعنيين معا دون أن يخل أحدهما بالآخر (الصائغ ، ٢٠١٢ ، ص ص ٦٦-٦٧).

وبالنظر إلى التحليل اللغوي لمفهوم اليوتوبيا فإن الكلمة التي تتكون من شطرين Ou–Topos تشير إلى المكان الذي لا يوجد على أرض الواقع ، وإنما هو مكان متخيل ومتصور ، بمعنى آخر تدل الكلمة لغويا على ما ليس حاضر الوجود، وإنما يمكن أن يوجد أو يتواجد في المستقبل؛ لذا فالدلالة اللغوية تشمل ما هو خارج الواقع وفي ذات الوقت مكانا مثاليا ونموذجيا يتوقعه الإنسان ، بالإضافة إلى أن اللفظة يتغمدها طراز أدبي وسياسي وفلسفي وعلمي في آن واحد (جمال ، ٢٠١٤ ، ص ١٧٦).

وتعرف اليوتوبيا عند بول فولكييه foulquie 1978 كما أورد دوبه (٢٠١٨) بأنها مشروع أو حلم بمجتمع أو الحلم بمستقبل خيالي ومرغوب فيه (ص ٢٠).

ويختلف مفهوم "مانهايم" لليوتوبيا عن المفهوم المتداول لدى بعض المفكرين الذين يرون أن اليوتوبيا ما هو غير موجود أو ممكِن التحقيق في الوضع القائم ، وأن الوضع القائم كله شر والخلاص من الشر في اليوتوبيا ، بينما اليوتوبيا عند "مانهايم" ليست مثالية بل هي حالة من حالات التفكير، تحاول من خلال الفعل والعمل المضاد أن تقرِّب الواقع التاريخي إلى مفاهيمها الخاصة، أو أن تُغيِّر مجراه كليا ؛ ولذا فمن الممكن عنده أن تتحول يوتوبيا اليوم إلى حقيقة الغد (مانهايم ، ١٩٨٠ ، ص ١٧).

وفي المعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية (١٩٨٣) تعرف اليوتوبيا بأنها " كلمة يونانية الأصل، وتدل على ما لا يوجد في أي مكان، ويراد بها كل فكرة أو نظرية لا تتصل بالواقع أو لا يمكن تحقيقها" (ص١١٣).

واليوتوبيا فلسفة مثالية تشتمل على أفكار لحياة أفضل؛ لأنها عبارة عن نظرات وتصورات لإيجاد مجتمع جديد ونموذجي من خلال نقد الواقع الراهن ودراسته بإمعان وطرح البديل ، وذلك ضمن مشروع إصلاحي شامل للمجتمع، وأنظمة الحياة والتحضير لمجتمع نموذجي (جمال ، ٢٠١٤ ، ص١٧٧).

ويمكن استخلاص دلالات وأبعاد مختلفة لمفهوم اليوتوبيا في الفلسفة؛ لأن المفهوم يتسم بالشمولية والعمق؛ لذلك إذا أردنا الابتعاد عن التعريف الضيق لليوتوبيا يمكن القول بأنها تستوعب نفي ورفض عدة أمور على المستوى الأنطولوجي والإبستمولوجي والسياسي والتاريخي: (جمال ، ٢٠١٤ ، ص ص١٧٨-١٧٩).

- أنطولوجيا: تعبر اليوتوبيا عن ذهنية الرفض، ونفي ما هو موجود من خلال التفكير والبحث عما هو ليس بموجود أو كائن فعلا.
- إبستمولوجيا: تحتوي اليوتوبيا على رفض ونكران ما نراه ونسمعه ونحس به أو نعرفه كحقيقه؛ هذا لأنه بإمكاننا أن نصل إلى حقائق ومعلومات أخرى لم يتم كشفها؛ لأن الذي نعرفه ليس فقط جديرا بالمعرفة، وإنما الذي لم نتعرف عليه يستحق البحث والمعرفة أيضا، أي توسيع دائرة الفكر والمعرفة.
- سياسيا: تحتوي اليوتوبيا على نظرة سياسية واقعية؛ من أجل الخروج من جبروت الواقع السياسي القائم.
- تاريخيا: تُعنى اليوتوبيا بالخروج عن حتمية الأحداث وسلسلة التاريخ عن طريق البحث عن مستقبل أفضل ، لكن يجب أن نتنبه إلى الزمن كبعد مهم في اليوتوبيا، فلا يعني بالضرورة المستقبل فقط بل الواقع الحالي الموجود محور التفكير والتغيير.

واليوتوبيا كما يرى البغدادي (٢٠١٤) هي الفكرة المثالية الميتافيزيقية التي يمكن إدراك أثرها لا إدراكها هي بذاتها، فإذا كان يمكن تحديد الفكرة اليوتوبية التقليدية بأنها الفكرة التي من حيث المبدأ مستحيلة التحقق؛ ولهذا فهي تقبع هناك في عالم المثال العقلي، فإن الفكرة العلميّة تكون يوتوبية إذا ما بقيت عصية عن الإدراك المباشر وإن أدرك أثرها ؛ فمع التسليم بواقعية الأثر ومع الأخذ في الاعتبار التماسك النظري العلمي لها والاتساق في بنيتها، فإنها تبقى مضمرة نسبيا بحيث لا يمكن التأكد من عدم وجود افتراضات أخرى يمكن أن تحل محلها لتفعل فعلها، فهي – بذلك – مثال أبدعه العقل من أجل الإمساك بتلابيب الواقع، فمهما بدت

عقلانية علمية واقعية بما تتسم به من تفسيرات وتوقعات إلا أن ذلك ليس إلا المظهر، وما تقوم عليه هو عقلانية مثالية يوتوبية مضمرة، تحتمل عدة تصورات أو نماذج نظرية أخرى (البغدادي ، ٢٠١٤ ، ص ص٣٣٣-٣٣٤).

وقد خلص البغدادي (٢٠١٤) إلى أن اليوتوبيا تشير إلى " كل ما لا يماثل الواقع ، وهي مؤشر معرفي يدل على استحالة تحقق فكرة أو نظرية ما أيا كانت قيمتها أو صلتها، إن في الذات أو الموضوع، إن في المعرفة أو الوجود" (ص٣٤١).

واليوتوبيا في معناها العام المعروف لدى أهل الفلسفة والاختصاص تشمل في مجالها المفاهيمي الابتعاد عن الواقع، أو إحلال التصور محل الواقع أو تحويل الرغبة إلى واقع متخيَّل ، واليوتوبيا في علم الاجتماع ما هو نموذجي وكلي، ومحض ونقي، ومثالي ومُتَعالٍ، وصورة ومتخيل (حسن والهاشمي ، ٢٠١٦ ، ص ١٢٥).

واليوتوبيا تصاميم ذهنية مادية ومعنوية لمنشآت وأنظمة نموذجية وقيم حضارية مثالية، غايتها تحقيق الكفاية والعدالة والسلام والسعادة للمخلوقات، يبتكرها الفكر الإنساني ويحيطها بأجواء من الخيال الجامح، والغموض الساحر، والرمز المشوّق موحيا بأن العالم الموصوف هو عالم واقعي موجود فعلا (دوبه ، ٢٠١٨ ، ص ٢٣) (سعد ، ١٩٨٢ ، ص ٧٧).

واليوتوبيا المجتمع الخيالي لسعادة الإنسان الخالية من النقائص البشرية، كما يعيش الأفراد في هذا المجتمع بدون أي صراع أو تنافس بينهم وما إلى ذلك من المساوئ التي تحدث عن التفاعل البشري في كل مجتمع إنساني، سواء في الماضي أو في الحاضر (حسيبة ، ٢٠٠٩ ، ص٦٩٩).

واليوتوبيا اعتقاد بمجتمع يتصف ليس فقط باستبعاد مصادر الشر والصراع والعدوان، وإنما تتحقق فيه مصالحة تامة بين ما هو عليه الإنسان وماذا سيصبح وما يحيط به ، وأننا سنستخدم طريقة في التفكير وفي الفعل المضمون يمكنها أن تقودنا نحو مجتمع خالٍ من النقائص والصراعات وعدم الرضا، وأننا سنعرف ما هو الإنسان بالفعل مقابل ما يعتقد أنه هو (المكي ، ٢٠١١ ، ص ٢١٧).

وتعبّر اليوتوبيا عن اتجاهات فكرية ورغبات وحاجات اجتماعية لم تتحقق ولم تنجز، والتي تمثل حاجات العصر ومطامحه، وتتعارض على الأغلب مع الأهداف والنظام الاجتماعي القائم، فتحاول تحطيم النظام القائم وهدم حدوده؛ مستهدفة تغييره في اتجاه يخدم مستقبل المجتمع وطموحاته ، كما تعني في ذات الوقت التطلع نحو المستقبل؛ أملا في تحقيق

بعض الطموحات الفكرية التي لا توجد في الوضعية القائمة، وتتعارض معها ومع أفكارها (الشمري ، ٢٠١٤ ، ص١٥٧).

واليوتوبيا عبارة عن تصور لمجتمع ما خالٍ من الشرور والصراعات، ويتطبّع بالقيم السامية والخير المطلق (محدادي ، ٢٠١٥ ، ص ١٢).

وفي العلوم السياسية يقصد باليوتوبيا رغبة ليس في الإمكان تحقيقها لا الآن ولا بعد الآن؛ إذ هي رغبة لا تستند إلى قوى اجتماعية ولا تدعمها القوى الاجتماعية والسياسية الصاعدة؛ ومن ثم تفتقر إلى آليات التنفيذ (وهبة ، ٢٠٠٧ ، ط٥ ، ص ٦٩٢) (الأنصاري ، ٢٠٠٠ ، ص ص ٧٢-٧٣).

ونود أن نلفت النظر إلى أن هناك خطأ شائعا ألا وهو أن اليوتوبيا عبارة عن خيال وأفكار غير واقعية وغير صحيحة، لكن هذا المفهوم الشائع لا يتفق مع الحقيقة ؛ أولا- لأن اليوتوبيا لا تنفصل عن الواقع والبيئة السائدة ، وثانيا- لأن الأفكار اليوتوبية ظهرت كنتيجة التفكير في الواقع ومشاكله وبالتالي إيجاد الحلول من خلال التفكير في البديل (جمال ، ٢٠١٤ ، ص ص١٧٧-١٧٨).

ولقد استخدمت كلمة اليوتوبيا لتدل على الكيفية والنوعية التي ينظر بها أو من خلالها العالَم لنفسه، من خلال التطلع إلى دولة نموذجية واقعية وتطور المجتمع ؛ وعليه ؛ فإن مفهوم اليوتوبيا من أهم خصائصه: التضاد مع القيم والأعراف الشائعة ، والتضاد والمواجهة مع الأحكام المسبقة التي توجه الأفكار والنظرات ومواقف الحياة وحب استلام السلطة وهوس القوة (جمال ، ٢٠١٤ ، ص ١٧٧).

وأصبحت "اليوتوبيا الواقعية" مفهومًا شائعًا لالتقاط التنظير عند التقاطع بين الواقعية والمثالية، ومع ذلك لم يتم تصورها بوضوح حتى الآن ، ويتم استخدامها بشكل غير متسق من قبل مختلف النقاد ، وبالنسبة لمعظم الناس فإن جعل اليوتوبيا واقعية يعني جني سماتها الإيجابية، مع تجنب نزعة السلطوية المتأصلة التي طالما شجبها نقاد المدينة الفاضلة ، ومن الأفضل فهم اليوتوبيا الواقعية ليس على أنها مدينة فاضلة محدودة النطاق، ولكن فقط باعتبارها منفصلة عن نزعتها الشمولية التقليدية (Böker, 2017, pp.89-90).

ويبين بوكر (Böker, 2017) أن اليوتوبيا الواقعية تشير إلى الاحتمالية التي يتم بها تطبيق الرؤية اليوتوبية ؛ لهذا يجب على المرء أن يكون واقعيا بشأن القدرات البشرية والتفضيلات الحالية والمؤسسات القائمة وما إلى ذلك (p.91) ، ويقر بأن اليوتوبيا الواقعية في الأدبيات تدور حول: ترويج الفكر اليوتوبي بقوته الإيجابية، ومطالب الكمال والصلاحية

العامة التي يتبناها مع استبعاد خطر العواقب الاستبدادية ، أو الحد من نطاق الرؤية اليوتوبية سواء في الزمن أو المكان أو الأهداف؛ إذ تنطلق في صوغها من مجتمع بيولوجي واقعي بأعرافه وعاداته وتقاليده وقيمه وثقافته ، أو احتمالية تحقيق الأهداف في المستقبل بوضع خارطة طريق تربط الواقع الحالي بالمستقبل في الرؤية اليوتوبية (Böker, 2017, pp.91-92).

واليوتوبيا الواقعية في التصور الإسلامي كما يراها "الفارابي" هي المدينة الفاضلة، التي تتمثل في كل مدينة يقصد بالاجتماع فيها التعاون على نيل السعادة الحقيقية، ويظهر النسق المجتمعي في مفهوم الدولة الذي أكد فيه على أنها كالكائن الحي الذي تعمل أجزاؤه في تناسق وانسجام، بحيث يؤدي كل عضو فيها دوره المحدد له للحفاظ على حياة الكائن وسلامته وصحته واستقراره ، وفي السياق ذاته فإن المدينة الفاضلة إنما تُكوَّن من مربٍّ فاضل، ونظام تراتبي، وروابط مشتركة (الفارابي ، ٢٠١٣ ، ص٧٠).

ويوتوبيا النسق المجتمعي في التصور الإسلامي لا تفصل العلْم المدني أو السياسة المدنيّة وأيديولوجياتها بمباحث مستقلة بعيدة عن النسق العام، بل تؤمن بوحدة الغاية ووحدة الفلسفة والعقل وتفسر جميع الأنساق الفرعية في ضوء النسق المجتمعي العام؛ من أجل الفهم الصحيح لأغراضها وطبيعتها وأبعادها النظرية والعملية (النصافي ، ٢٠٢٠ ، ص٣٣).

ويوضح "الفارابي" كيفية الوصول إلى يوتوبيا النسق المجتمعي وفق التصور الإسلامي من خلال حصول السعادة للجميع تبعا لنظام حكم يحكم طبيعة الاجتماع البشري ، وفي بيئة يسودها النظام والعدل ويتيسر فيها رغد العيش والحياة الكريمة والمثلى في إطار مقتضيات النواميس المدنيّة الفاضلة ، وفي وفاق تام مع القوانين الكونيّة ؛ فتكون بذلك صورة مصغرة ومشابهة للكون الأكبر، أي نظام تراتبي ينال الجميع فيه السعادة التي هي الغاية القصوى لاجتماعهم في المدينة ، والتي يلزم كمقوم من مقومات قيامها أن يكون حاكمها نبيا إماما، وفيلسوفا مثاليا، ومعلما أخلاقيا وهذا هو قمة الكمال الإنساني وأعلى درجات الحضارة (الفارابي ، ٢٠١٣ ، ص٧٣).

وإذا كان الإنسان مدنيا بطبعه فهو بفطرته بحاجة من الناحيتين المادية والمعنوية إلى أشياء كثيرة، ليس في وسعه أن يستقل بأدائها أو ينفرد بالقيام بها ، بل هو بحاجة إلى عمل كل فرد في المجتمع؛ حتى يستطيع تحقيق الغاية القصوى عنده، أو بمعنى آخر الكمال المطلق وهو ما يعبر عنه بالسعادة (محمد ، ٢٠١٧ ، ص١٥٣).

والفرق بين اليوتوبيا الإسلامية واليوتوبيا بالمعنى الفلسفي العام أن الثانية هي تصورات لمجتمعات مثالية وضعها بعض الفلاسفة من باب نقد مجتمعاتهم، أو لتوضيح رؤاهم لما ينبغي أن يكون عليه المجتمع ، أما اليوتوبيا الإسلامية فأصحابها يعتقدون أنها حصلت فعلا في التاريخ على الأرض وأنه يمكن إعادة إنتاجها ، ليس هذا فقط بل إن هناك عهدا إلهيا بتحققها من جديد وتغلبها على العالم أجمع (حسن والهاشمي ، ٢٠١٦ ، ص ١٢٤).

واليوتوبيا ضرورة للإيمان من الناحية الدينية؛ لارتباطها بالغيب الواجب الإيمان به ، وفي اليوتوبيا الدينية لاسيما الإسلامية السلوك في الحياة لا معنى له بذاته ؛ وإنما فقط تبعًا للمعنى الذي يخلعه الدين على العالم (حسن والهاشمي ، ٢٠١٦ ، ص ص١٢٥– ١٢٦).

وما يخص الدراسة الحالية النظر إلى اليوتوبيا على أنها رؤية فلسفية إسلامية لمجتمع فاضل بمدينة فاضلة، مبنية على منطق فكري ومنهج واقعي ؛ فكانت يوتوبيا مثالية وواقعية في آن واحد ؛ لكونها ذات أسس نظرية راسخة موجِّهة للفعل وقابلة للتطبيق وفق مقتضيات العقيدة وفي ضوء تضمينات الأخلاق.

ثالثًا – أبعاد اليوتوبيا وأنواعها

اليوتوبيا هي الاسم الذي يطلق على العالَم الآمن الذي يمكن الوثوق به والتعرف فيه على ماهية الأشياء ومحلها، وهذا المعنى دخل إلينا منذ القرن السادس عشر بفضل "مور"، أي منذ الوقت الذي أخذ فيه روتين الحياة القديم والسرمدي في الانهيار ، والذي بدأت فيه العادات والأعراف في الهَرَم والطقوس في التدهور، والذي بدأ فيه العنف في الانتشار أو هكذا اتجه الناس في تفسيرهم لغزارة المتطلبات والأفعال غير التقليدية التي لم يتعودوا عليها، والتي وجدتها القوى التي آمنوا بها زائدة الجموح أو غير قابلة للسيطرة للدرجة التي لا يمكن بها فرض الرقابة عليها ، وذات قوة وصعوبة مراس، لا يمكن ترويضها بالطرق القديمة المجَرّبة ، وحينما كتب "مور" مخطَّطه لعالم خالٍ من التهديدات غير المتوقعة، فإن الارتجال والتجريب المحفوفَين بالمخاطر والأخطاء كانا قد أصبحا سريعا هما الوضع السائد في ذلك الوقت ، وكان "مور" يعلم جيدا أن مخططه على الرغم من أنه كان مصمما لوضع قواعد الحياة الجيّدة إلا أنه كان مجرد حُلم بعالم مطهّر من عدم الأمان والمخاوف الطافية (بومان ، ٢٠١٣ ، ص ١٢٧).

ولقد كان أتباع "مور" أكثر تصميما لمخطط المدينة الفاضلة؛ حيث عاشوا في عالم يمتاز بالثقة التي جعلتهم يملكون ذكاء لازمًا لتصميم عالم أفضل خالٍ من الخوف ، كما امتلكوا الفطنة المطلوبة لرفع هذا العالم من مستوى الواقع اللا عقلاني إلى مستوى المأمول

الذي يمليه العقل، وأعطتهم هذه الثقة الشجاعة وروح المبادرة اللازمَتيْن؛ ليجربوا كلا البديلين (بومان ، ٢٠١٣ ، ص ١٢٧).

وتبين الدراسة في هذا العنصر أبعاد اليوتوبيا وأنواعها ؛ كي تجلو صورتها على نحو يمكن في ظله أن تتميز عن غيرها من القضايا التي يخالطها حلم في المستقبل أو تضع تصورا له.

(أ) أبعاد اليوتوبيا:

من الواضح أن اليوتوبيات على مدار العصور والأزمان لم تتجه اتجاها محددا ولم تنحُ نحوا معينا أو تعتمد أسلوبا موحدا ، بل كان للفلسفة والمنطق دور، والحوار والرواية دور آخر ، وعولجت في ثناياها القضايا الإنسانية من أجل حياة فاضلة، فاقترح كل صاحب عمل فلسفي وسائل من وجهة نظره لتحقيقها ، حيث أتحفتنا اليوتوبيا بمجموعة من التصاميم الثقافية وصف فيها الكتّاب الفلاسفة تصوراتهم عن الحياة السعيدة واقترحوا الوسائل لتحقيقها ، فأفلاطون اختار حلا سياسيا والفارابي على نفس الغرار ولكن وفق مفاهيم إسلامية ، واختار أوغسطين حلا دينيا ، أما مور فقد اختار حلا اجتماعيا وقانونيا ، وبيكون اختار حلا علميا ، ثم جاء من بعدهم من اتجه إلى الإصلاح الفطري مثل جان جاك روسو في القرن الثامن عشر ، واتجه اليوتوبيون بعد ذلك إلى الحلول الاقتصادية في القرن التاسع عشر ، أما في القرن العشرين فقد تمسك اليوتوبيون بالحلول السلوكية والاجتماعية التي تناقش فيها سلسلة كاملة من الظروف والطوارئ الاجتماعية ، وأكد مفكرو اليسار الجديد على قيمة اليوتوبيا الاجتماعية التي تعكس إرادة التغيير وتنفض الأحلام والأوهام وتفضي إلى الاشتراكية، وتحمل صفة العمل وفق الخط الاشتراكي ؛ وهكذا أكدت النظرات اليوتوبية بزواياها المتعددة والمتنوعة على إدارة التغيير العقلاني إلى الأفضل وفق منهج ما(الصائغ ، ٢٠١٢ ، ص ٦٧-٦٨) (حسانين ، ٢٠١٨ ، ص ص ٢٠٧-٢٠٨).

إن المنظورات اليوتوبية السابقة لا تنبع من تقليد فلسفي أو ثقافي وحيد ، كما أنها لا توحي بتصور لمجتمع يتميز بالتماسك الداخلي في جميع جوانبه ؛ وهنا يُطرَح سؤال: هل ستكون اليوتوبيا عملية حقا؟ فهناك أسباب كثيرة تفسر صعوبة وضع التصميم اليوتوبي موضع التنفيذ ، أي أن المسألة ليست هي الرغبة في تحقيق الحلم اليوتوبي بل في إمكانية تحقيقه (الصائغ ، ٢٠١٢ ، ص ٦٨).

وثمة أبعاد أساسية تميز اليوتوبيا وتحدد ملامحها وهذه الأبعاد هي: (ميثم ، ٢٠١٤ ، ص ص ٣٤٦-٣٤٧)

- البعد الاحتجاجي: ويتمثل في رفض المقررات الاجتماعية السائدة وتخوينها ، وكذلك عدم الإقرار بالعدالة السائدة لزيفها ، والتوجه في صناعة مفاهيم يوتوبية جديدة تقف بوصفها احتجاجا على ما هو سائد.
- البعد الواقعي: فعلى الرغم من أن اليوتوبيا تقوم ببناء افتراضات خيالية إلا أن جزئياتها المكوِّنة هي جزئيات واقعية، بمعنى أن صاحب اليوتوبيا ينطلق من واقعه باتجاه الفردوس المرغوب فيه ، فردوس يحقق مفترضاته التي كان يجب وجودها في الواقع.
- البعد التاريخي: حيث تقوم اليوتوبيا على صراع مكاني؛ لذا فالتاريخ هو أيضا مشمول بهذا الصراع وبشكل مختلف ؛ فالتاريخ اليوتوبي يتسم بعقلانية أكثر من التاريخ الحاضر؛ لأن الحاضر تاريخ متناقضات بينما التاريخ اليوتوبي مُصَفَّف.
- البعد التطهيري: فاليوتوبيا مخرج ومتنفس للإنسان؛ حيث إن تراكمية الأزمات والتزييف والتشويه الواقعي يحتاج دائما إلى تطهير ؛ لذا فاليوتوبيا هي مثال للتطهير من تلك الأمور وتحرير وتنفيذ ما لم يعطه الواقع.
- البعد الإنساني: تعد اليوتوبيا مثالا للعالم النقي الذي يحقق فيه الإنسان خلوده من خلال ما تتسم به اليوتوبيا من سمات إنسانية كالتسامح، والإخاء، وكسر الهَرَميّات التي يفرضها التاريخ ، إنها عالم يمتاز فيه الإنسان بصدقه وولائه للإنسان أي عالم إنساني بامتياز.

إن اليوتوبيا تحمل رؤيا تفاؤلية حيال العالم فبأبعادها وبخطابها المثالي وخيالها المتّسِق حملت قوة دلالية ورمزية قابلة لتفعيل الواقع والتأثير فيه بل وتغييره تغييرا كليا وجذريا مع التوجه نحو السُّموّ (ميثم ، ٢٠١٤ ، ص ٣٤٧).

من أجل ذلك أضافت اليوتوبيا أبعادا أخرى واكتسبت عناصر جديدة ذات صلة وارتباط وثيق بالواقع ، من هذه الأبعاد : (هاشم والمسلمي وعريبة وعز الدين ، ٢٠٢٠ ، ص ٤١٦)

- البعد المثالي: ويعني أنها تسمو دائما فوق الواقع المعيش وتنشد الكمال ؛ فهي تهتم بالتخطيط الجيد والتحرر من قيود الزمان والمكان، ووضع خطط طموحة متكاملة الأجزاء للوصول إلى الكمال.
- البعد المستقبلي: لأنها تمثل قوة مخيلة الإنسان في الإبداع المتجه نحو الغد وكفايته، وتسعى إلى رعاية أبناء المستقبل بأكثر من اتجاه واعتماد الفكر المستقبلي على بنيتها الفكرية.

- البعد الفلسفي: ويقصد به المعنى الضمني الذي تحويه حيث تتضمن خصوبة تنظيرية تقترب أحيانا من العجز عن تنفيذ تلك الأفكار في الوقت الراهن.
- البعد النقدي: من خلال نقد الواقع المعاش وما به من مشكلات وعيوب ومعالجتها وسعيها الدائم للتغيير وجعل العالم أفضل.

ويمكن القول بوجود البُعد الثوري في اليوتوبيا؛ حيث إن اليوتوبيا تحمل خيالا ثوريا أثر بالفعل على مدار التاريخ ؛ ذلك أن اليوتوبيا لا تقترن باللا معقول وليست خيالا عبثيا يناقض العقل، بل إنها تبقى نظريا قابلة للتحقق الفعلي ، وثورية اليوتوبيا تكمن في دعوتها إلى التفكير والتأمل مجددا في مفاهيم وقيم ليست مرتبطة بالتاريخ والواقع أو بمنفعة أو مصلحة فحسب، بل في علاقتها بالإنسان لما تتجلى إنسانيته الحقة ويتحرر من المجتمع المفروض عليه قسرًا، فاليوتوبيا بالتالي وضعت فضاء إبستمولوجيا جديدا (هاشم والمسلمي وعريبة وعز الدين ، ٢٠٢٠ ، ص ٤٢٥).

إن ما يميز الفكر اليوتوبي هو كونه تفكيرا في الإنسان أولا، واعتباره الأساس الأول الذي تتبني عليه كل القيم والتاريخ والواقع والدولة ؛ فليست اليوتوبيا مبنية على المصلحة أو المنفعة الخاصة التي يحققها شخص ما ، بل إن هدفها الأساس هو تحرير الإنسان من قيوده والسير به نحو التحرر، والانعتاق من واقع تتجاذبه قوى تسعى إلى تحقيق ذاتها ومنفعتها على حساب الأفراد ، وغايتها تصور مبادئ وأسس جديدة تُقوّض ما هو كائن وتُؤسس لما ينبغي أن يكون ؛ لأجل ذلك فإن اليوتوبيا تحمل بُعدا ثوريًّا في عمقها ، فهي رفض للسائد والمألوف وتقويض لكل المبادئ المبنية على زيف وأوهام الحكام ، إنها تصور جديد لواقع أجمل يَكون فيه الإنسانُ ذاته بدءا جديدا وإمكانية البدء في إنتاج شيء جديد بعد احتجاج على النظم القائمة وعلى الواقع بعاداته وتقاليده ، وكل الأسس والمبادئ التي من شأنها أن تُعدِم الإنسان تحت ظل عبوديتها وجهلها المقدس (غنوشي ، ٢٠١٨ ، ص ص ٩٢-٩٣).

واليوتوبيا الثورية هي كل إمكانية ونظرية مثلى أرادت العلو بالإنسانية من واقع مرير إلى واقع أفضل، تكون فيه الأنا مركز كل فكر ومنبع كل تفكير ، واليوتوبيا هي بوصلة كل فكر متحرر من قيوده على اعتبارها انبعاث جديد وانطلاقة جديدة نحو تكوين واقع أجمل (غنوشي ، ٢٠١٨ ، ص ٩٣).

هناك نموذج لا سلبي لليوتوبيا وهو الذي منحه البعض صفة الثورية التي تتسامى على الأمر الواقع سياسيا كان أو اجتماعيا أو حتى ثقافيا ، ويتجسّد تساميها في السلوك الواقعي وليس في الخيال حيث اللا مكان ، بل هو حراك عملي يعمد تحطيم النظام القائم جزئيا أو كليا ، واليوتوبيا بهذا الفهم هي نظام معارضة يميل إلى تفجير النظام القائم ليستبدله

بنظام بديل واقعي، يرى فيه أنه الأمثل لتحقيق العدالة والحرية والحياة الكريمة (البغدادي ، ٢٠١٤ ، ص ٣٢٣).

وهنا نلاحظ المثالية الإيجابية التي تنطلق من الواقع ولا تغادره إلى أبعاد ميتافيزيقية ، بل تبقى في أرض الواقع نفسه ، وهذا يقودنا إلى استنتاج أن اليوتوبيا كمفهوم ليس ملازما للميتافيزيقا في الحالات جميعها بوصفه فكرة هي من حيث المبدأ مستحيلة التحقيق بل له نسبة من الواقعية (البغدادي ، ٢٠١٤ ، ص ٣٢٣).

والأمكنة اليوتوبية تجَسّدات فلسفية وأدبية تعبر عن الحالة الفكرية والنفسية لمنتِجها فهي تُمثل البديل للمكان السلبي الواقعي ، كما أنها تختلف بين الفلاسفة والأدباء ؛ فاليوتوبيا الفلسفية منقطعة عن المكان الموضوعي ، فحين يبني الفيلسوف مدينته الفاضلة فإنه يبنيها وفق منطلقات عقلية ومنطقية معبِّرة عن تطلعات اقتصادية واجتماعية تحقق التكامل اليوتوبي ، في حين أن اليوتوبيا الأدبية قد تخرج عن النسق الذي يضعه الفلاسفة؛ لأنها لا تكترث كثيرا بالمنطق فهي تعتمد الرؤية الأدبية الإبداعية التي تمتاز بمقاييس وروابط خاصة (ميثم ، ٢٠١٤ ، ص ص ٣٤٥-٣٤٦).

وبما أن اليوتوبيا تربط بين فكرة التغيير والشروع بتحقيق الفعل المُبتغَى، فإنه يمكن القول بأن اليوتوبيا فعل قابل للتطوير يبدأ من التأسيس في اللا واقع وإزاحة فعل الإنسان وإنتاجاته الواقعية ؛ ومن ثم فإن مستقبله يقْبَع على ضفاف نهر جارف؛ لأن تعايشها مع الواقع يظل بين المعقولية واللا معقولية وقابلية التطبيق أو استحالته ، وبما أن اليوتوبيا تؤسِّس في اللا مكان مقاما لها فإن الزمن فيها هو لا زمان؛ لأنه ينفصل انفصالا غير كلي عن الماضي والراهن متوجها نحو الإشراق ؛ لذا يُعدّ اللا مكان واللا زمان نقطة محورية تشترك فيها اليوتوبيات من حيث التجاوز والتعلق في الفضاء الأثيري (المُفضّل) (ميثم ، ٢٠١٤ ، ص ٣٤٦).

(ب) أنواع اليوتوبيا:

تتعدد أنواع اليوتوبيا تبعا لأهدافها ومحتواها الذي صاغته عند بنائها ، وعلى الرغم من أن الحكم على النتاج البشري اليوتوبي من حيث النوع تبعا لمحتواه وتصنيفها في ضوء ذلك يفتقر أحيانا إلى الدقة؛ نظرا لأن اليوتوبيات تصاغ بصورة تحمل بين ثناياها شيئا من الغموض إلى حد ما ؛ وهذا ربما يكون سر اختلاف التصنيفات التي اجتهد فيها البعض عند التعرض لها.

نظر بدوي (١٩٩٦) إلى اليوتوبيات من حيث أنواعها تبعا للمحتوى وصنفها إلى أربعة اتجاهات: الاتجاه السياسي لوضع أفضل دستور لحكم البلاد ، والاتجاه الاقتصادي الاجتماعي يتعلق بالملكية وتوزيع الثروة وكيفية العمل والإنتاج والأجور ، والاتجاه الديني والأخلاقي الذي يرغب في صبغ المجتمع بصبغة دينية أو أخلاقية معينة ، والاتجاه الفلسفي يهدف إلى تحقيق القيم، ووضع نظام للناس كافة ويهتم خصوصًا بالنزعة الإنسانية العامة (بدوي ، ١٩٩٦ ، ص ٣٧٤).

ويقسِّم زيد (٢٠١٤) اليوتوبيات إلى: (زيد ، ٢٠١٤ ، ص ص ١٣٥-١٣٦)

- اليوتوبيا الفلسفية : وتقوم على الافتراض الفلسفي الذي يستند على حركة الذهن التجريدية في عملية بناء النماذج الافتراضية.
- اليوتوبيا الدينية : وتقوم على الربط بين الوسيلة والغاية، بحيث تكون طاعة الدين هي الوسيلة الإلهية الخالدة ، وتمثل فكرة الجنة اليوتوبيا الدينية التي يسعى إلى الوصول إليها كل المتدينين في هذا العالم.
- اليوتوبيا الأيديولوجية: وتقوم على الربط بين الوسيلة والغاية ولكن بشكل مادي ، ومن أبرزها المجتمع الشيوعي الذي بشرت به الأيديولوجية الماركسية، والمجتمع الرأسمالي الذي بشرت به الأيديولوجية الليبرالية.

وأيا كان الأمر؛ فهناك أنواع لليوتوبيا تكاد تجد اتفاقا عليها في تصنيفها، وهي التي تؤكدها الدراسة في الآتي:

- اليوتوبيا الدينية: وهي الأكثر انتشارا بين الأنواع على الإطلاق ، وتقوم اليوتوبيا الدينية على الربط بين الوسيلة والغاية ، والالتزام الديني هو الوسيلة الإلهية التي يبلغ الإنسان بها الجنة ؛ فتلتزم هذه اليوتوبيا بالشريعة الدينية والسلطان الإلهي الذي من خلاله ينجو الإنسان المتدين ويفوز بالجنان في العالم الآخر، وتضع الديانات السماوية عالم اليوتوبيا في قائمة المطالب والغايات الأخلاقية، وفي قائمة الحوافز والدوافع نحو الالتزام الأخلاقي والشرعي (دوبة ، ٢٠١٤ ، ص ٢٤) ومن أبرز اليوتوبيات الدينية مدينة الله للقديس أوغسطين، والمدينة الفاضلة للفارابي.
- اليوتوبيا العلمية: وتقوم على اتخاذ العلم أساسا لليوتوبيا، وقد شاعت في الفترة المعاصرة قصص الخيال العلمي، وهي بذلك تنسج تصورا مغايرا للواقع الاجتماعي فتعيد تحديد ملامح المجتمع العصري المتطور علميا وتكنولوجيا، ومن أبرز اليوتوبيات العلمية

أطلنطس الجديدة لفرانسيس بيكون، حيث الحلم بتأسيس هيئة علمية عالمية (محدادي ، ٢٠١٥ ، ص ١٢)

وثمة تصنيفان لليوتوبيا العلمية: (ميثم ، ٢٠١٤ ، ص ص ٣٦٣-٣٦٤)

- يوتوبيا علمية متفائلة: وهي التي ترتبط بالعلم والتقدم الآلي ارتباطا وثيقا، حيث تقدم صورة للعالم المثالي كما يتمناه البشر في المستقبل ؛ معتمدة في ذلك على الإمكانيات العلمية المتزايدة ؛ ولهذا فهي تقدم عالما متطورا من الناحية التكنولوجية ، ومثال ذلك رواية العالم الطريف لمؤلفها "هكسلي".
- يوتوبيا علمية متشائمة: وهي التي تفتح باب التنبؤ بمحاذير المستقبل؛ نتيجة الاعتماد الهائل على التقدم العلمي والتكنولوجي ، ومخاوف هذا التقدم وآثاره السلبية ، ومثال ذلك رواية ١٩٨٤ لمؤلفها "جورج أورويل".

ويرى ميثم (٢٠١٤) أن اليوتوبيا العلمية أصبحت في الوقت الراهن ذات نتيجة لا ذات سعي ، وهذه النتيجة يمثلها أدب الخيال العلمي ؛ فاليوتوبيا تُشكِّل المهد الأول للخيال العلمي عامة، تلك النظرة التي تكتب البقاء لليوتوبيا من خلال التلاقح مع كافة توجهات الإنسان والتّدخُّل كرغبة في ماضيه وحاضره ومستقبله (ميثم ، ٢٠١٤ ، ص ٣٦٥)

- ♦ اليوتوبيا المدنيَّة (الاجتماعية): وتبنى على التصحيح الفكري، فأصحاب هذا النوع يعتقدون إلزامية التغير المدني في مشاريعهم السياسية والفلسفية ؛ إذ يرون أن مصدر الفساد المدني يكمن في الخطأ الفكري وفي سيادة الأهواء على ملكة العقل ، فالانحراف الفكري مرجع الإدارة السيئة والمجانبة لقيم الإنسانية ، فكهف الحياة المعيشة بكل حيثياته لا يستطيع الارتقاء إلى رواق الحكمة الفلسفية المتعالية ، واليوتوبيا المدنية تقدم حلولا خارج التاريخ الإنساني ومستقلا كلية عن تاريخ الإنسانية؛ لأن التاريخ هو تاريخ أخطاء (دوبة ، ٢٠١٤ ، ص ٣٤)؛ لذا يلجأ اليوتوبي إلى البحث عن تنظير جديد لمحاولة تغيير الواقع الاجتماعي والسياسي ونقطة البداية هي الفكر ، ومن بين أبرز هذه اليوتوبيات جمهورية أفلاطون؛ حيث إن الدافع الرئيس الذي جعله يكتبها هو سوء الأحوال السياسية والاجتماعية إثر الحرب بين أثينا وإسبرطة (محدادي ، ٢٠١٥ ، ص ١٣).

وكل أشكال اليوتوبيا تسأل في هدفها العام عما إذا كان يمكن تحسين الطريقة التي نحيا بها وتجيب بأنه يمكن ذلك ، ويقارن أغلبها بين الحياة الحالية والحياة في اليوتوبيا ، وتوضح أوجه الخطأ في الطريقة التي نحيا بها الآن ؛ وبذلك تقترح ما ينبغي القيام به لتحسين الأوضاع (سارجنت ، ٢٠١٦ ، ص ١٢).

وأقرب أنواع اليوتوبيات ذات الارتباط بالتطبيق العملي لليوتوبيا هي اليوتوبيا الدينية (سارجنت ، ٢٠١٦ ، ص ٧٨) ، واليوتوبيا الدينية هي الغاية الموعودة التي يبذل الإنسان من أجلها بكل وسائله وبوساطة الطقوس والشعائر والقرابين بغية الحصول عليها ، بحيث يغدو الدين الوسيلة المشروعة لبلوغ اليوتوبيا ، واليوتوبيا الدينية تتمحور حول الماضي وما بعد الواقع (ما بعد الحياة) ، وتنطلق من الواقع لتبني عالما مستقبليا تخيليا ، وتعتمد على فكرة وجود إله ، وتمثل الجنة فكرتها المثالية الخالصة، فهي المكان الذي لا يماثله أي مكان والزمان الذي لا يماثله أي زمان ، وهذا النوع من اليوتوبيا قائم على حياة أخرى بخلاف اليوتوبيات الأرضية؛ إذ تكون هذه الحياة محطة عبور وجزاء لمبدأي الثواب والعقاب ؛ لهذا فإن النصوص الدينية قائمة على لغة الترغيب والترهيب أي الجنة والنار (ميثم ، ٢٠١٤ ، ص ٣٥٤).

فلا يكاد يخلو كتاب مقدّس من أن يقدّم لأتباعه صورة مُثلى للحياة الدنيا، وتنظيما مثاليا لما يجب أن تكون عليه حياة الناس في حقبة معينة من الزمن ، فضلا عن أن يزود أتباعه برؤية مثالية للحياة الأبدية بعد الموت والتي تَعِد الإنسان بالأمن والهدوء والسكينة وتحاشي كل أنواع الكدّ والعمل للتفرغ والاستمتاع بالحياة داخل الجنة ، وهنا تأخذ اليوتوبيا بُعدا قدسيّا يقوم على ارتباطات ومواثيق يبرمها الإنسان مع التوجه الديني؛ وذلك لأنها تقوم على خطاب معين يخترق الحاجز الحسي من أجل إقامة جسر مع اللا محدود فيكون العبور إلى اليوتوبيا عبورا مؤمّنا ، والجنة التي تَعِد الكتب المقدسة بها أتباعها وفق فكرة الثواب جزاء لعمل الإنسان تحمل أوصافا لا يمكن وجودها في الواقع، بل تتحقق في عالم الميتافيزيقا (ميثم ، ٢٠١٤ ، ص ص ٣٥٤-٣٥٥).

والجَنة كفكرة هي واحدة في جميع الديانات السماوية والوعد واحد لجميع أتْباع تلك الديانات، حتى وإن اختلف منهج الاتّباع وممارسات التطبيق لتعاليم كل دين ، واليوتوبيا الدينية ليست حكرا على اليهودية أو المسيحية أو الإسلام أي الديانات السماوية فقط، فهناك كثير من الكتب التي حملت بين ثناياها يوتوبيا دينية تستند إلى ديانات وضعية مثل البوذية بالهند، والزرادشتية بفارس، والكونفوشيوسية بالصين وغيرها (زيد ، ٢٠١٤ ، ص ١٣٦).

فالديانة الهندوسية الأولى آمنت بوجود حياة أخرى يخلد فيها الإنسان بعد الشقاء الذي عاشه، كما أن هذه الديانة خضعت لمبدأي الثواب والعقاب، فالهندوسيون الأوائل آمنوا بوجود جنة في عالم آخر أُعدّت للأرواح الطيبة، أما الأرواح الشريرة فينتظرها العذاب ، ويتخذ وصف الجنة في تلك الديانة الوضعية من اللا مكان مقرا له ولا يصله من البشر إلا من كان مؤمنا ومتَّبعا ومنفذا لوصايا الإله (ميثم ، ٢٠١٤ ، ص ص ٣٥٥-٣٥٦).

والفكر الهندي يفترض مقدما وجود عدالة أخلاقية كلية ؛ فالعالَم يُنظَر إليه على أنه مسرح أخلاقي كبير تديره العدالة ، وكل شيء خيّر أو شرير أو محايد يُكتسَب ويستحقه من يصل إليه ، ومن شأن هذا الموقف أن يُلقِي بالمسؤولية على كاهل الموجودات البشرية ذاتها، فنحن مسؤولون عما نحن فيه وعما نؤول إليه وقد قررنا بأنفسنا ماضينا وسوف نقرر مستقبلنا (المرزوقي ، ٢٠٠١ ، ص ٢١٦).

واعتقد "زرادشت" أن العقل البشري يمر بأربع مراحل: تبدأ بالفطرة الخيّرة التي تقود العقل البشري ، ثم مرحلة شريعة الغاب التي تطغى فيها الغريزة ، بعد ذلك ينتقل العقل إلى مرحلة صراع الخير والشر ، وتنتهي المراحل بانتصار الخير ليخرج الإنسان من النسبية إلى الكمال بامتلاكه النقاء ، ويكون التشريع بالإيمان المعرفي، ويصبح الإنسان غاية الوجود وينتهي التكوين ، وأسس "زرادشت" مدينته الفاضلة على مفهوم محاسبة النفس وإصلاح الذات بالسيطرة على الغريزة والعاطفة، وتطوير العقل واستئصال الشر وعدم الاستسلام للقدر، مصنفا مجتمعه في ثلاثة مستويات: سادة، وعبيد، وقطعان ، ودعا لفعل الخير دون انتظار الثواب وإحلال حياة السلم ، ووضع عشر وصايا يدعو فيها إلى الرأفة بالحيوان واحترام الناس، وعدم الاعتداء على الآخرين والرأفة بالضعيف، واحترام العلاقات بين القبائل والأقوام المجاورة (عابدين ونانو ، ٢٠١٢ ، ص ١٥٩).

لقد أدرك "زرادشت" بثاقب بصيرته أن خيار الناس لا ينالون عادة ما يستحقون من حسن الجزاء في هذه الدنيا، فتحدث عما سيلقونه من مصير حسن في الحياة الأخرى؛ تعويضا لهم عما فاتهم في حياتهم الدنيا من لذة وهناء، فهو يؤمن بمبدأي الثواب والعقاب في الآخرة، كما يؤمن بأن هذا العالم الدنيوي متصل بالعالم الآخر بجسر يسمى جسر الانفصال، والذي يمر عليه الأشرار فيرتجفون من الفزع والخوف مما سيلاقونه من عذاب في جهنم مأوى الأشرار والكاذبين ، بينما يمر عليه الأبرار الصالحون المؤمنون وهم مطمئنون إلى مصيرهم الحسن الذي ينتظرهم، حيث يستقبلهم الإله ويستمتعون في كنفه بالسعادة الأبدية بعد أن يمروا في وسط العمل الصالح والقول الخيّر والأفكار الطيبة (النشار ، ١٩٩٨ ، ص ص ٥٧-٥٨).

وفي إطار هذه الرؤية الدينية الفلسفية للمصير الإنساني يؤمن "زرادشت" وأتباعه بضرورة أن يحيا الناس حياة اجتماعية مرحلية معتدلة، يتسق فيها القول مع الفعل، والفكر مع العمل، فالعمل هو مِلْحُ الحياة لكن خلق الشخصية لا يعبر عنه فقط فيما يفعل المرء أو يقوله رجلا كان أو امرأة بل بأفكارهما ، ولا بد للناس أن يقهروا الرغبات السيئة، فيقهروا الجشع

بالرضا، والغضب بالصفاء، والسكينة والحسد بالإحسان والصدقات والحاجة باليقظة والنزاع بالسلام والكذب بالصدق (النشار ، ١٩٩٨ ، ص ٥٨).

واعتقد "كونفوشيوس" بفطرية توافر القاعدة الأخلاقية بعدم انفصالها عن الإنسان، فالإنسان لا يفعل الشر عن علم بل عن جهل، ولكنه لو عرف الخير لاتجه إليه، فالجهل شر والخير علم ، ويؤكد أن الجمال يمكن أن يتوافر في كل شيء، ولكن رؤيته لا تتوافر لدى الناس جميعا ، وربط ذلك بالقيم الإدراكية والسلوكية للفرد والمجتمع ، ولَقّب الرجل الذي يعي الجمال بالفاضل ، ويرى أن للفن وظيفتين مهمتين: الأولى تربوية أخلاقية، والثانية معرفية تسهم في رفْد الوعي الثقافي والاجتماعي فربطه بالفضيلة ، كما اعتقد أن الفضيلة لا توجد إلا عندما تجد من يُطبّقها ، واستند في بناء مدينته الفاضلة على أربع ركائز تتشعب عنها القيم الأخلاقية كلها هي: الإنسانية ، والاستقامة ، والطاعة ، والطقوس والشعائر مستهدفا بذلك تحقيق التماسك الاجتماعي في المدينة ، ورفض مبدأ القوة في إصلاح الأمور، وجعل الأفراد أساسا في تكوين المدينة ، ونصّب عليهم الرجل النبيل حاكما مثاليا، واجبه توفير السعادة للأفراد، ووصف طبيعة العلاقة بينهما بالأبوّة القائمة على الطاعة من العامة والعطف والإخلاص من جانب الحاكم (عابدين ونانو ، ٢٠١٢ ، ص ص ١٥٩-١٦٠).

لقد كثر حديث "كونفوشيوس" عما أسماه (جين) Jen أي الطبيعة الإنسانية للإنسان، وهو لفظ يتضمن في طياته المبدأ الأخلاقي الأسمى الذي ينبغي أن يحكم سلوك الإنسان في علاقته مع الآخرين وعصب عملية الضبط الاجتماعي، وجين معناها أن تحب الإنسان وفوق ذلك تحب كل إنسان بغض النظر عن أي شيء آخر، وبهذا يعود المجتمع إلى آداب اللياقة والاحتشام ؛ وعلى ذلك فقد آمن كونفوشيوس بأن الرجل الفاضل هو من يدرك ذلك القانون الأخلاقي الكائن في إدراك الوسط بين الإفراط والتفريط، ويلزم هذا الوسط في سلوكه فلا يعلو عليه فيخرج من دائرة البشر، ولا يتصرف تصرفات بهيمية شهوانية فيصبح إنسانا لا أخلاقيا (النشار ، ١٩٩٨ ، ص ص ٤٠-٤١).

أما الفضائل التي على الحكيم الكونفوشيوسي أن يتحلى بها ويعيش وفقا لها فهي أن يُجمل نفسه بالعلم ليلا ونهارا، ويقدس الأمانة ويفضل الموت على الذلة والمهانة ، وأن يعيش حياة بسيطة يمقت فيها الجشع والترف ، وأن يعيش مع المحدثين وفي ذات الوقت يدرس التراث القديم، وإن عاش في خطر واضطراب فإن روحه تظل في أمن واطمئنان ، ولا ينسى إخوته في الإنسانية الذين يقاسون الآلام وفي ذلك يكون شعوره بالمسؤولية الاجتماعية ، ولقد كان كونفوشيوس مؤمنا بأن الأخلاق القويمة هي المبدأ الأساس لأي نظام سياسي مستقر؛ إذ

لا يستطيع أي حاكم أن يقيم نظاما اجتماعيا كاملا إلا إذا عمل على الارتقاء بأخلاق الأفراد (النشار ، ١٩٩٨ ، ص ٤١).

وكان نسق "كونفوشيوس" الأخلاقي ذا جانبين : الجانب النظري: ويتضمن ماهية الفرد الذي هو الأساس والنواة للأسرة والمجتمع ، ويشرع خلال هذا الجانب بأن يعيد الفرد إلى جوهره الحق وإلى فطرته الإنسانية الحقة، وهذا الرجوع إلى الطبيعة الأصلية يؤهله لتهذيب ذاته، والجانب العملي: وهو يمثل القيم الأخلاقية والاجتماعية التي يجد الفرد لزاما عليه اقتناءها طبقا لماهيته التي تم إدراكها في المرحلة الأولى، وينطلق إلى تطبيقها في علاقاته مع الآخرين داخل علاقات الفرد المختلفة؛ من أجل الوصول إلى الإنسان الفاضل الذي يعد محور فلسفته السياسية (أحمد ، ٢٠٠٠ ، ص ٥٩).

إن العصر الذي عاش فيه "كونفوشيوس" اتسم بالتفكك السياسي والاجتماعي والتردّي واسع النطاق للأخلاق ، وقد كان من الطبيعي في ضوء تلك الأوضاع أن يتجه الحكيم إلى إصلاح المجتمع ، وتركزت إشكاليته في كيفية تحقيق الخير والسعادة للإنسان ؛ ومن ثم رفاهية المجتمع ، تلك النزعة الإنسانية التي جعلت الفلسفة إنسانية اجتماعية تدور حول البشر ومجتمعهم، مشيرا فيها إلى مبادئ الفعل التي يتم العثور عليها في الإنسانية ذاتها ، ومصدر تلك المبادئ هو ما يجعل من البشر مخلوقات إنسانية (المرزوقي ، ٢٠٠١ ، ص٢٤٨).

وعلى الرغم من انتقاد "كونفوشيوس" لكثير من أوجه الحياة السياسية والاجتماعية للمجتمع الصيني، فإنه كان حريصا على التقاط الأشياء التي يمكن أن يتم التعامل معها داخل بنيته الجديدة ، ففي التجديد الذي طالما سعى إليه وحرص عليه "كونفوشيوس" لم ينسَ على الإطلاق الحفاظ على التراث ، ولعل هذا ما جعله أبعد ما يكون عن عنصر الخيال والحلم مؤكدا على واقعيته ، وعدم إفراطه في المثالية لم يجعله بالطبع مضطرا للاصطدام بتراث أمّته؛ فلم يتخذ كخطوة للتطوير والتغيير هدم الواقع ورفضه تصريحًا (أحمد ، ٢٠٠٠ ، ص ص ١٩٧-١٩٨).

بإيجاز بالغ يمكن القول إن فلسفة "كونفوشيوس" تتمحور في ثلاثة أسس رئيسية: الجانب الأخلاقي والذي يعد البنية الأساسية لفلسفته كلها، وعصب الضبط الاجتماعي الذي يسعى لتحقيقه عن طريق اقتناء الفرد لمجموعة من القيم التي تنظم علاقاته مع الآخرين، والجانب السياسي ويشغل أهمية وجود الحكومة الصالحة، وطبيعة الدور المنوط بها تجاه الأفراد، وقد تبين أنه لا وجود له مثاليا بمعزل عن الجانب الأخلاقي، فالسياسة عند "كونفوشيوس" مبنيَّة على الأخلاق ، والجانب التربوي وتعد التربية حلقة الوصل بين المحورين: الأول، والثاني؛ حيث يسعى "كونفوشيوس" من خلالها إلى التهذيب الأخلاقي

والتثقيف الذهني؛ فالتربية الأخلاقية تشكِّل إرادة الفرد على نحو يجعله صالحا للمشاركة في المجتمع ، كما أن التربية من أهم الآليات التي تقود حركة التغيير إذا أُريد تحقيق مجتمع فاضل (أحمد ، ٢٠٠٠ ، ص ٢٠٤).

إن البؤس الواقعي يُولّد لدى المؤمنين بأية عقيدة دينية – سماوية كانت أو وضعية – أثرا دافعا في تشكيل ظاهرة الانتظار، وربط المستقبل التفاؤلي بشخص محرر لهذا الواقع، يتمثل في المخلّص أو المُنقِذ أو المنتظَر ، جاعلا من هذا المستقبل مكانا مثاليا يتوفر فيه العدل والحرية والمساواة التي يتمناها البشر (ميثم ، ٢٠١٤ ، ص ٣٥٧).

وعند الحديث عن اليوتوبيا في الإسلام نجد تاريخيا أن للإسلام تقليدا يوتوبيًّا يضم فكرتين أساسيتين: الجنة، والمجتمع المسلم المبكر بالمدينة المنورة ؛ ففترة السلام بالمدينة المنورة قبل العودة إلى مكة وضرورة القتال من أجل الدفاع عن الدين تمثل العصر الذهبي للإسلام (سارجنت ، ٢٠١٦ ، ص ٧٨).

يذكر الفكر الإسلامي العديد من الأفكار التي تتشابه في مضامينها الأساسية مع فكرة اليوتوبيا التي أسس دعائمها التفكير البشري على مر العصور، سواء قبل مجيء الإسلام كديانة أو بعد مجيئه ، وفي مقدمة هذه الأفكار تأتي فكرة "الجنة" وما ينتظر المؤمنين فيها من نعيم ورغد وهناء وسعادة أبدية، فإذا ما سلَّمنا جدلا بأن اليوتوبيا غير موجودة على أرض الواقع الإنساني أو مرئية فيه ، فإن الجنة بهذا المعنى تعد يوتوبيا، ولكن ثمة ملاحظات أساسية لا يجب بحال من الأحوال إغفالها تجاه تلك القضية من أهمها: (الأنصاري ، ٢٠٠٠ ، ص ص ٨٩-٩٠)

- أن الجنة الموعودة في الفكر الإسلامي ترتبط بالواقع الدنيوي الذي نعيشه، فمن عمل صالحا في الدنيا فاز بالجنة ، ومن عمل غير ذلك فمصيره النار ؛ ومن ثم فهي ترتبط بمنهج دنيوي حركي.
- أن الجنة في الفكر الإسلامي حقيقة وليست وهما كما تزعم الماركسية، فهي واقعة حتما لا محالة، وإلا انتفت علة وجودنا كبشر؛ إذ ما قيمة الحياة أصلا لو لم تكن هناك عاقبة.
- أن كل اليوتوبيات التقليدية كانت فكرا بشريا خالصا، أما الجنة فهي الجزاء الذي أعده الله خالق الوجود بكل ما فيه للصالحين والمؤمنين من عباده، كما جاء في مصدري التشريع: الكتاب، والسنة.

- أن الجنة في الفكر الإسلامي لا تتبع أيديولوجيا بعينها، بل هي يوتوبيا خالصة ذات أيديولوجيا معيارية خالصة لا تكرّس لمصلحة فئة معينة كأيديولوجيا البشر، بل هي عقيدة راسخة ذات منطلقات إيمانية وتطبيقات عملية، تصون الحقوق وتحدد الواجبات، وتسوي بين الناس جميعا في الاعتبار البشري ومعيار التمايز هو التقوى والعمل الصالح.

بعد هذا العرض المفصل لجذور الفكر اليوتوبي ومسارات تطوره وأصل المصطلح وامتداده وماهيته في المنظورات العلمية والتعرف على أبعاد اليوتوبيا وأنواعها يتبين لنا أن فكرة اليوتوبيا لم تظهر بغتة بين عشية وضحاها ؛ وإنما ترتبط بحياة الكائن البشري وستمتد بوجوده فيها ، كما أن المفهوم قد اكتسب في تطوره عبر التاريخ خصائص أضفت عليه سمة الواقعية عن قصد حتى وإن لم يتم الإفصاح عنها لدى المفكرين أنفسهم وذلك من خلال تفسيرات تم الاصطلاح عليها بين أهل علم أو منظورات تخصص معين.

المحور الثاني– أهداف اليوتوبيا وعلاقتها بالواقع الاجتماعي

يتناول المحور الحالي أهداف اليوتوبيا وعلاقتها بالواقع الاجتماعي مبينا مدى اقتراب تلك الأهداف من الواقع المعيش أو ابتعادها عنه ؛ لتوضيح الجانب الواقعي في اليوتوبيا وإبراز تضميناته.

لقد كان الإنسان ولا يزال عبر التاريخ يناصر العدل ويبغض الظالمين، ويقاوم الظلم إما بطريقة سلمية وإما من خلال الرفض والممانعة الإيجابية ، وفي كل الحضارات تقريبا نزوع إنساني فطري إلى الجمال وإلى السلام والأمان (عايب ، ٢٠١٥ ، ص ٣١).

وتكشف كل صور المدينة الفاضلة عن التمسك بمجموعة من القيم العليا التي يلتقي عندها الأفراد والجماعات في مجتمع واحد، ثم تلتقي عندها كافة الأمم، وتتمثل في الحرية والكرامة والعدالة ونحو ذلك، وهي ما يعرف بالمشترك الإنساني أو المؤتَلَف الإنساني (إسماعيل ، ٢٠٢٠ ، ص ٧٢).

وحُلْم الإنسان بالمدينة الفاضلة حلمٌ قديمٌ منذ نشأ اعتقاده في جنة بعد حياته الأرضية؛ مكافأة له على صلاحه في الدنيا وتعويضا له عما حُرِمه من لذّات؛ بسبب تقواه أحيانا، أو بسبب وضعه الطبقي المتواضع أحيانا أخرى ، وبالمقابل نشأت اليوتوبيا الضد (الديستوبيا) في شكل الجحيم؛ مصيرا للشرير الذي انحرف عن تعاليم المجتمع أثناء حياته الأرضية (الشاروني ، ٢٠٠٠ ، ص ١٨٦).

ومهما يبلغ الإنسان من تطور فلا بد من بقاء الصراع بين الشر الواقعي، والمثالية غير المتناهية التي يطلق عليها الخلود أو الطوباوية، أو الانبعاث المتجدد أو اليوتوبيا ؛ حتى يبلغ الإنسان مرحلة يعتبر الحصول على الفضيلة فيها جزءا ضروريا ، والعيوب والمسالب فريضة واقعية متفاوتة لا بد من التخلص منها ، فاليوتوبيا حقيقةً يتضاءل وجودها الخارجي، وهي حلم راود الإنسان منذ قدم الأزمان من أجل تحقيق الحرية والعدالة، والسعادة والسلام، والمساواة والإنسانية، وهي مستقبل دورات أزمانها محدودة الأمد، يتخللها نظرة يصعب معها تحقيق كافة خصائصها ؛ فالدعوة إلى الحرية، ودفع الجوع ورد الظلم، ومحاربة الفقر ومعاونة المحتاجين، وطلب المساواة ومقاومة الانهيار الاجتماعي، والقمع السياسي أو الشمولية تلك الفيروسات التي أمرضت المجتمع وأضعفت مناعته، وغيرها من الصفات التي دعت إلى معالجتها اليوتوبيا في مدينتها الفاضلة كانت من أهم أهداف أصحابها الذين رفضوا الواقع، وأحدثوا تمردًا عليه في صورة مدينة مثالية (حسانين ، ٢٠١٨ ، ص ١٩٧).

كل ذلك يحمل مدى إقبال النفس البشرية على الخير، واستحسانها له وقضاء حوائج الناس وسد الفقر والفاقة ، واليوتوبيا ليست بالضرورة أن يكون المقصود منها الهروب من الواقع نحو أفكار مثالية حالمة غير موجودة أو غير واقعية، بل يجب أن تكون بمنتهى الواقعية لتغيير واقع ما، وتدعو لتحقيقه على أرض الواقع (حسانين ، ٢٠١٨ ، ص ١٩٨).

ويحفل التاريخ بالأمثلة والنماذج لانحدارات متكررة للحضارة والمدنِيّة، وهي غالبا انحدارات ناجمة عن نمط الحياة التجاري والعسكري، وطبيعة الصراعات الداخلية والخارجية التي يشكل فيها واقع الإنسان ودوره في العملية الحضارية مكانة خاصة ، فقد قامت ومنذ فجر التاريخ حضارات عريقة هائلة، شملت مناطق عديدة في العالم وانتقلت من مكان إلى آخر، ولا تزال إلى الآن ماثلة للعيان حضارات كوادي الرافدين، ووادي النيل، واليونان والهند إلا أن تلك الحضارات قامت وكانت تنفيذا لرغبات الملوك والقياصرة والأمراء ولإشباع غرورهم ورغباتهم الخاصة ورفاهيتهم، وتخصصت أكثر فيما تخصصت فيه بالبناء والفن الذي لم ينتفع منه إلا أفراد الطبقة الحاكمة الغنية والمسيطرة (الصائغ ، ٢٠١٢ ، ص ص ٦٤-٦٥).

إن البحث والتفكير في حياة يملؤها الأمان، ويشيع فيها الأمن والسلم وتحقيق السعادة والرفاهية، والعيش مع الآخرين في مجتمع مثالي ثابت ثبات القيم الإنسانية بين الأفراد كان الشغل الشاغل الذي أرَّق المجتمعات الشرقية عبر تعاقب الحضارات، سواء في الهند أو الصين أو مصر الفرعونية ، ومن خلالها تجلت أشكال عديدة للتنظير السياسي على أيدي الحكماء ، وعلى الرغم من بساطتها فهي تطمح لبلوغ العدالة، وبتحقيقها يملأ كل فرد قلبه بالمودة، وذاك خير له من أن يكتنز الذهب والفضة، وهذا ما كان يسير عليه الفكر الإنساني

السياسي الطوباوي الفاضل، وينادي به حكماء تلك العصور إذ كان لإرهاصات المدينة الفاضلة أثر حيث استلهمت العديد من المفكرين (عايب ، ٢٠١٥ ، ص ٢٧).

ويتسم العمل اليوتوبي بسعة الخيال؛ فاليوتوبيا تتميز بالاتساق والنظام والتراتبية؛ لذا نجد أن اليوتوبي يتحدث عن جُل ما يتعلق بالدولة ومؤسساتها، سواء سياسيا أو اقتصاديا، أو اجتماعيا أو عسكريا أو أخلاقيا ، ولم يكن الخيال اليوتوبي سوى استجابات مختلفة لمجتمعات نشأت فيها ؛ فكانت تعبيرا عن الرغبة في تغيير الواقع القائم وتجاوزه، والحلم بحياة ومجتمع أفضل وأكثر عدلا ؛ لذا لا يمكن فهم التفكير اليوتوبي قديمه وحديثه إلا إذا وضع في سياق تطوره التاريخي والاجتماعي ؛ لأنه كان تعبيرا عن الرغبة في الإصلاح والتغيير، أو كان على الأقل بمثابة احتجاج على الأوضاع المعيشية والظروف الاجتماعية التي خيم عليها الظلم والفساد (محدادي ، ٢٠١٥ ، ص ص ١٤-١٥) (أبو السعود ، ٢٠٢١ ، ص ٣٥٢).

ثمة قضية مركزية في مسألة اليوتوبيا وهي هل النظام الاجتماعي الأفضل هو ما يتيح للناس أن يصبحوا أفضل أم أن الأشخاص الأفاضل هم من يخلقون نظاما اجتماعيا أفضل؟ كلا جانِبَي القضية يطرحان مسألة كيفية البدء ؛ فيطرح الأول سؤالين: من أين يأتي النظام الاجتماعي الأفضل؟ وهل يمكن خلقه من جانب الأشخاص المتمثلين فينا الآن؟ والثاني يطرح سؤالا واحدا: من أين يأتي الأشخاص الأفاضل؟ (سارجنت ، ٢٠١٦ ، ص ١١١).

يفسر هذه الأسئلة "سارجنت" فيرى أن النظام الاجتماعي الأفضل الذي يتيح ظهور أشخاص أفضل هو النظام اليوتوبي الكلاسيكي، وفي هذا النهج يُكتَب عمل يوتوبي بقصد استخدامه – أو بدون قصد ذلك – نموذجا لتحقيق مستقبل أفضل ؛ وهنا تجتذب اليوتوبيا أتباعا لها وتنشأ الحركات الاجتماعية والسياسية؛ لمحاولة وضع بعض أجزاء اليوتوبيا على الأقل موضع التنفيذ ، وأحيانا تتأسس مجتمعات مقصودة للغرض نفسه، على أمل أن إقامة نموذج ناجح سيقنع الآخرين بأهمية اليوتوبيا (سارجنت ، ٢٠١٦ ، ص ١١٢).

ورأى معظم اليوتوبيين أن مثل هذه المجتمعات لا بد وأن يكون في جزر بعيدة نائية، وربما تكون خارج التاريخ ؛ مما يؤكد أن مجتمعاتهم القائمة بالفعل لا تصلح أن تكون مجتمعات نموذجية أو يوتوبية ؛ ومن ثم بحثوا عن أماكن جديدة لم تطأها قدم إنسان من قبل ، أو ربما تكون غير موجودة على خريطة الواقع بل من صنع خيالاتهم ، وحقيقة الأمر أن مثل هذه اليوتوبيات – التي تبدو للوهلة الأولى غير تاريخية وخارج المكان والزمان – لم تبتعد عن واقع مجتمعاتها بخطوات كبيرة ؛ بل من الممكن وضع لوحة زمنية لها تلقي الضوء على

علاقتها الوثيقة بعصرها ، وتبين أنها نشأت من تناقضاته، كما استشرفت العصر التالي له الذي ستحل فيه هذه التناقضات (أبو السعود ، ٢٠٢١ ، ص ٣٣١).

والاستياء هو بداية اليوتوبيا، واليوتوبيا في النهاية تدور حول تغيير الحياة اليومية ، وتواجه اليوتوبيا حقيقة أن الحياة هي كل متكامل، وأن الأطفال والعائلات والزواج والتربية والاقتصاد والسياسة والموت وغير ذلك مرتبطة بها كليا ، والمجتمعات المقصودة راديكالية بوجه خاص من منطلق أن أعضاءها لا يمانعون في تغيير حياتهم، ويكون على جميع أعضاء تلك المجتمعات التعامل مع هذا التغيير كل يوم (سارجنت ، ٢٠١٦ ، ص ص ٥٣-٥٤).

وتنطلق اليوتوبيا من الواقع المحدود، فالأمر الذي لا يتحقق واقعيا يتحقق يوتوبيا، ويرجع هذا إلى أن الفعل اليوتوبي يتغذى على الواقع المحدود محاولا تجاوزه، والسبب في هذه المفارقة راجع للإنسان الذي يميل ويرغب في امتلاك الأشياء التي ليس بإمكانه الحصول عليها، أو تلك غير الملازمة لوجوده ، أو التي يفتقر لها فهي إذن استجابة للمجتمع ، وكل فترة في التاريخ تحتوي على أفكار تسمو على النظام، ومن هذا المنطق يمكن اعتبار اليوتوبيا ملاصقة لتاريخ الأمم والشعوب، فهي تختلف من مجتمع إلى آخر ومن زمن إلى آخر حسب احتياجات ومتطلبات الإنسان في ذلك العصر(محدادي ، ٢٠١٥ ، ص ٢٦) ، ولا ينتهي التاريخ بظهور اليوتوبيا؛ فالتغيير قد يكون أبطأ لكن التغيير – ومن ثم المستقبل – سيحدث (سارجنت ، ٢٠١٦ ، ص ١٠٥).

هكذا كانت يوتوبيا "توماس مور" متطابقة في أقسامها غير الشيوعية مع الشكل البرلماني للسياسة الداخلية الإنجليزية ، كما أن يوتوبيا "كامبانيلا" تتماشى مع النظام المؤيد للاستبداد الذي ساد أوروبا في ذلك الحين ، مثل هذه الملاحظات تكشف عن أن الحلم الذي يميز كل يوتوبيا يتضمن اتجاه العصر ويتجاوزه إلى عصر آخر ، أضف إلى ذلك أن الإمكانات التي تعبر عنها تلك اليوتوبيات هي إمكانات تاريخية، وحتى الجديد الذي تستشرفه هو أيضا تاريخي، فالجديد في جمهورية "أفلاطون" يختلف عن الجديد في يوتوبيا "مور" الليبرالية وهكذا، والقاسم المشترك بين جميع اليوتوبيات هو العنصر اليوتوبي الذي يميز كل يوتوبيا على حدة ، وإذا كان هذا العنصر الثابت يتغير تاريخيا واجتماعيا فإنه ليس ساكنا، بل ينطوي على إمكانات تتحرك في التاريخ وتتطور تطورا اجتماعيا ، وحتى إذا كانت هذه الإمكانات لا تظهر بشكل عيني إلا أنها تظل تجليات للأمل وللأماني الإنسانية ، ويظل الأمل هو الهدف من عرض هذه اليوتوبيات في مراحلها المختلفة من قديمة ووسيطة وحديثة (أبو السعود ، ٢٠٢١ ، ص ص ٣٣١-٣٣٢).

في ضوء ما سبق يمكن استخلاص أهداف اليوتوبيا ذات الارتباط بالواقع الاجتماعي في الآتي:

- مناصرة العدل وبغض الظالمين، ومقاومة الظلم إما بطريقة سلمية وإما من خلال الرفض والممانعة الإيجابية.
- التمسك بمجموعة من القيم العليا التي يلتقي عندها الأفراد والجماعات في مجتمع واحد، ثم تلتقي عندها كافة الأمم.
- الحُلم والدعوة بتجديد الأمل لدى الناس في تحقيق الحرية والعدالة، والسعادة والسلام، والمساواة والإنسانية، ودفع الجوع ورد الظلم، ومحاربة الفقر ومعاونة المحتاجين، وطلب المساواة ومقاومة الانهيار الاجتماعي، والقمع السياسي أو الشمولية.
- الاحتجاج على الأوضاع المعيشية والظروف الاجتماعية التي خيم عليها الظلم والفساد.
- الرغبة والإصرار في حياة أفضل والتخطيط للمستقبل ؛ فاليوتوبيا مرآة الأمل والطموح البشري.

لقد كانت فكرة المدينة الفاضلة وما زالت الحُلم الأعظم للناس في كل مكان ، فالجميع يريد أن يحيا في مدينة فاضلة، تكفل له الحياة التي يتمناها والسعادة التي يرجوها ، وإذا كان ذلك كذلك لعامة الناس، فإن هذا الحُلم بالنسبة للفلاسفة له مكانة خاصة حتى غدت تلك الفكرة همَّ الفلاسفة الأول ، ومحور بحثهم المضني على مدار العصور؛ من أجل تحوّل الحلم إلى حقيقة حتى وإن بدا الأمر غاية في الصعوبة ، وقد ارتبطت عملية البحث عن تلك المدينة الفاضلة والاجتهاد في رسم معالمها بالفلاسفة الذين اجتهدوا في وضع تصورات تستطيع من وجهة نظرهم أن تنتشل الإنسان مما يعانيه من ظلم وتخلف واستبداد؛ لترتفع به إلى قمة الحرية والازدهار (المنياوي ،٢٠١٠ ، ص٩).

والفلاسفة هم الذين استوعبوا الازدهار الثقافي في المجتمعات من حولهم والبلاد المحيطة بهم ، وتلقوا معطيات الحضارة الإنسانية، ثم فكروا بإنقاذ ما يمكن إنقاذه في مجتمعاتهم مما يرون أمامهم من تخلف وتفكك، وانحطاط واستبداد؛ ليقدموا ما تجود به أنفسهم من رسوم واقتراحات تحت اسم المدينة الفاضلة؛ فأفلاطون أعدموا أستاذه "سقراط" وبات هو مهددا في حياته ، و"الفارابي" يلاحظ تدهور الحالة السياسية وبوادر أفول الدولة العباسية وتمزق الدولة إلى ولايات ، و"روسو" يحيا في ظل أسرة ملكية مستبدة قاهرة ، و"هيجل" عاش في زمن تباعد المدن الألمانية وغزو الجيوش الفرنسية لبلاده ، و"مور" عاش في ظل ملك متعجرف علق جثته بعد إعدامه له على جسر لندن (المنياوي ،٢٠١٠ ، ص٣٩).

واعتقد الفلاسفة اليونان من دعاة البدائية الحضارية أن أسباب هبوط الإنسان من العصر الذهبي البطولي، وسقوطه في عالم مليء بالشقاء والبؤس وانحطاط دويلات المدن خاصة اليونانية بالإغراق في متارف المدنيّة ومباذخها؛ فارتبط معنى الانحطاط بالمدنية والترف والكماليات، واضطرهم ذلك إلى الاعتقاد بأن في الماضي التليد صورة مثلى كاملة للحياة التي يجب أن يعيشها الإنسان؛ فاتخذوا منه هدفا يتغنون به وبأمجاده، ورسموا المدن الفاضلة على الذكريات الراسبة في التراث الحضاري ، وامتد هذا الاعتقاد عبر التاريخ، حيث جاءت فكرة المدينة الفاضلة متجولة بين الأزمان ومتنقلة بين الأماكن (الصائغ ، ٢٠١٢ ، ص ٦٥).

وتصطبغ كل صورة من صور المدينة الفاضلة بصبغة العصر الذي ظهرت فيه، فإذا كانت ظروف العصر حربا وصراعا كان طموح الفيلسوف عدالة؛ من أجل الاستقرار السياسي كما عند "أفلاطون" ، وإذا كانت سمة العصر غلبة القيم الدينية كان الطموح في كمال الأخلاق لدى الحاكم والسعادة في الدنيا والآخرة كما عند "الفارابي" ، وإذا كانت ظروف العصر بزوغ معرفة جديدة كان طموح الفيلسوف هو بناء مؤسسة علمية ، هدفها معرفة قوانين الكون ؛ من أجل خدمة الإنسان وتقدمه كما وجد لدى "فرانسيس بيكون" ، وإذا كانت طبيعة العصر استبدادا سياسيا واستحواذا طبقيا لثروات الأمم والشعوب كانت الدعوة إلى المساواة، وإلغاء الملكيّة الخاصة هو الشغل الشاغل للفيلسوف كما هو عند "مور" وهكذا في جميع اليوتوبيات ؛ ومن ثم يمكن القول إن اليوتوبيا بنت المجتمع ونتاج العصر (إسماعيل ، ٢٠٢٠ ، ص ص ٧١-٧٢).

لقد صب كثير من الفلاسفة عصارة أفكارهم في كتب تهدف إلى بناء مجتمع فاضل، من هؤلاء أفلاطون، وأوغسطين، وكامبانيلا، ومور، والفارابي وغيرهم ، ولا شك أن جمهورية "أفلاطون" كانت ولا تزال معينا لا ينضِب، يستقي منه كل الفلاسفة بعده أفكارا تثري نظرتهم ، وتبني آراءهم وينهلون منه قواعد تصوراتهم (المنياوي ،٢٠١٠ ، ص١٠).

هكذا أجاد "أفلاطون" في جمهوريته، تلك الجمهورية الخالدة التي جعلت موضوعات العدل والجمال والحب محورها الأساسي ، وتناولت المحاورات في هذه الجمهورية جميع القضايا التي تهم البشرية سابقا والآن وإلى الأبد، كأممية البشر، والأخوة الإنسانية، والعدل والاشتراكية، وتحسين النسل والحب، والتربية وتنظيم الدولة على أساس العدل ، وحفلت جمهورية "أفلاطون" بنظم التدريس؛ لتخريج الفئات من الطلبة الذين يتسلمون أعمالهم ووظائفهم تبعا لاجتيازهم مراحل الاختبار ، ويمتزج العلم بالموسيقى والرياضة والهندسة في تشكيل عالم أفلاطون الخيالي الذي لا يزال ملهما للمفكرين في سعيهم نحو العدالة والإخاء ،

والحق أن الوضع المضطرب الذي آلت إليه أثينا في القرن الرابع قبل الميلاد هو الذي دفع أفلاطون لكتابة الجمهورية (الصائغ ، ٢٠١٢ ، ص ٦٦).

وعبرت يوتوبيا عصر النهضة عن محاولات شخصية لأصحابها في حل مشكلات يواجهها المجتمع، أو الرغبة في استحداث نظم سياسية تصير بديلا عن نظم سياسية قائمة؛ فاتجه أصحاب اليوتوبيا إلى التنفيس عما يجول بخاطرهم من أفكار؛ ليكتبوه في أعمالهم ومدوناتهم إن لم يستطيعوا أن يجعلوه واقعا في حياتهم أو ممارسات في مجتمعاتهم.

وتأثرت يوتوبيا عصر النهضة بتطور الحركة العلمية والفنية الهائلة وبالاكتشافات الجغرافية، والتعرف على جزر جديدة وسواحل نائية، وما ترتب على ذلك من ازدياد النشاط التجاري، وما صاحبه من نمو اقتصادي للعديد من المدن الأوروبية، وظهور النزعات القومية وميل مجتمع النهضة إلى تأكيد النزعة الفردية للإنسان، وتطور ملكاته النقدية واتساع معرفته (أبو السعود ، ٢٠٢١ ، ص ٣٥٢). وينطبق ذلك على جميع أصحاب اليوتوبيا في ذلك العصر – عصر النهضة –؛ لتأثرهم بالتقدم العلمي (برنيري ، ١٩٩٧ ، ص٩٨).

وفي العصر الحديث جربت الإنسانية الأمل وبقيت لمدى عقود وهي تحلُم، ووصلت تلك الأحلام ببعض المجتمعات إلى حد التمسك الغريب ببقاء توازن الرعب النووي بين دول الشرق والغرب كضمان لعدم المغامرة في حرب عالمية ثالثة، تستعمل فيها أسلحة الدمار الشامل ، وفي جميع الحالات تظل اليوتوبيا تصورا فلسفيا ينشد انسجام الإنسان مع نفسه ومع الآخرين، ومع مجتمعه والعالم المحيط به (العبودي ، ٢٠١١ ، ص ١٣٦).

ولقد كان الكتّاب اليوتوبيون ثوريين في معظم الأحيان؛ حيث دافعوا عن مشاعية السلع في زمن كانت تعد فيه الملكية الخاصة مقدسة ، وعن حق كل فرد في الحصول على لقمة العيش في وقت كان يُشنق فيه الشحاذون ، وكانوا ثوريين عندما دافعوا عن المساواة بين الرجل والمرأة في عصور كانت تعد فيه المرأة أفضل قليلا من العبيد ، كما دافعوا عن كرامة العمل اليدوي الذي كان يُنظر إليه على أنه عمل مهين أو مخزٍ ومنحط ، وعن حق كل طفل في طفولة سعيدة وتعليم جيد بعد أن كان ذلك الحق مقصورا على أبناء النبلاء والأغنياء ، بيد أن هذا الحلم كانت له جوانبه المظلمة؛ فقد كان هناك عبيد في جمهورية "أفلاطون"، وفي يوتوبيا "مور"، وجرائم قتل جماعية للعبيد في أسبرطة "ليكورجوس"، وحروب وإجراءات ونظم صارمة وتعصب ديني جنبا إلى جنب مع المؤسسات التنويرية إلى حد كبير(العبودي ، ٢٠١١ ، ص ١٣٩) (عيسى ، ٢٠١٩ ، ص ١١٠).

ويحاول الحلم اليوتوبي أن يخترق المواقف التي تميل إلى القبول بالوضع الراهن ، ويمكن أن يكون هذا تجربة قاسية؛ لأنها تشير إلى أن واقعنا الحالي خطأ (سارجنت ، ٢٠١٦ ، ص ١١٢).

وإذا سعينا إلى تأويل الكتابات اليوتوبية اعتمادا على الفهمية والقصْدية وبعيدا عن النّصّية الضيقة ، واستنادا إلى التأويل الذي يسعى إلى استخراج المعنى الباطني فسنصل إلى نتيجة مفادها أن اليوتوبيا تعبر في عمقها عن إيمان قوي بقدرة الإنسانية على تحقيق الخير والسعادة ، وأن اختفاء اليوتوبيا سيؤدي إلى حالة من الثبات والجمود، كما أن التخلي عنها يعني أن الإنسان سيفقد إرادته في تشكيل التاريخ؛ ومن ثم قدرته على فهمه (هاشم والمسلمي وعريبة وعز الدين ، ٢٠٢٠ ، ص ٤٢٥).

كل مشروع يوتوبي إن كان فكريا فلسفيا أو علميا هو بمثابة الدعوة الجديدة إلى التغيير والتنوع، ودعوة إلى الكونية والخروج من بوتقة التصدع والخجل والصمت ، والتفكير اليوتوبي الثوري في كل عصر ومنذ نشأته يؤسس للمستقبل؛ باعتبار أن هذا المفهوم في حد ذاته تكوين للذات وتفكير في كينونتها، وأنه فلسفة يجب التفكير فيها أولا لنسجها وحياكتها من جديد (غنوشي ، ٢٠١٨ ، ص ٩٧).

قد ينظر الكثير إلى مثل هذه الأفكار اليوتوبية بمنظور طوباوي وغريب وغير واقعي، وربما يرفض كثيرون أيضا من الساسة المحليين والعالميين البراجماتيين الأفكار البعيدة عن الوئام الإنساني؛ انطلاقا من رؤية الواقع النفعي المعيش عالميا ، فعندما سقط القطب الاشتراكي كليا في العام (١٩٩١) ظن البعض في مجتمعات الغرب أن في ذلك خيرا ، وكأن الطريق لمن ادّعوا مسار الحرية والدفاع عن حقوق الإنسان والديمقراطية قد وصل إلى الشمعة الوحيدة الباقية في نهاية النفق الإنساني الأخير في نهاية القرن العشرين ، وقد منحتهم السماء من حيث لم يفكر بذلك أحد بمن فيهم أكثر اليوتوبيين تفاؤلا فرصة قيام دولة عالمية، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية والغرب لكن هذا القطب الديمقراطي الغربي ممثلا في الولايات المتحدة نسي التزاماته ومسمياته وشعاراته الأخلاقية ، وكشّر عن أنياب أسلحته وأخرج كامل مخالبه التقليدية والنووية معا، وبدأ حروبه عن طريق الإمبراطوريات البائدة؛ لسحق الخصوم أو من يظنه كذلك، حتى وإن كان ضعيفا؛ زعما منه أنه يشكل شرا عليه أو على غيره، أو يعترض طريق أطماعه (العبودي ، ٢٠١١ ، ص ١٣٦).

ويختلف استقبال العقل لليوتوبيات باختلاف الظروف الحضارية، فالشعوب التي قطعت شوطا كبيرا في طريق العلم لا تجد شيئا جذابا في أطلنطس الجديدة، ولا تجد السعادة

في التقدم العلمي ، وما هكذا الحال مع شعوب وأمم أخرى لا تزال تستهلك التكنولوجيا، ولا تسهم في العلم الأساسي أو إنتاج التكنولوجيا بنصيب (إسماعيل ، ٢٠٢٠ ، ص ٧٢).

وجدير بالذكر أن الأفكار اليوتوبية قد أصبحت ممكنة الحدوث والتطبيق لمقتضياتها بفضل التكنولوجيا الحديثة ، والفكر اليوتوبي لديه من المرونة بحيث يجد لنفسه مكانا في الثقافة المعاصرة ، كما أن اليوتوبيا قد تصنع التاريخ مجددا؛ فهي تقوم باستشراف مجالات أو روافد إبداعية ملهمة، يمكن أن تشكّل حقبة أو حقبات جديدة قادمة ومتوالية في مجالات الحياة، وهذا هو جوهر المهمة التي تؤديها اليوتوبيا ، ويلزم التنويه إلى أن جاذبية اليوتوبيا يمكن أن تكون بمثابة نتيجة ثانوية للحالة الراهنة، وذلك مع المشكلات والأزمات المعاصرة، وتغير المناخ العالمي الذي يؤدي إلى ارتفاع مستويات البحار، وتدمير بيئي غير مسبوق وأزمات في الطاقة ومشكلة في الزيادة السكانية وقضايا أخرى كثيرة ، والرغبة في إيجاد طريقة أفضل للمعيشة في مجتمعنا المعاصر(هاشم والمسلمي وعريبة وعز الدين ، ٢٠٢٠ ، ص ٤١١).

خلاصة القول: لم يتوقف الفكر الإنساني عن محاولاته الجريئة الباحثة عن عوالم مثالية، تتجسد فيها الصورة الحسنة لأكمل ما يمكن أن يكون عليه الوجود الإنساني ، ولن يتوقف، فهذه الأحلام لا زالت تواصل سريانها مع ما يشهده الوضع المعرفي الحالي من تضخم وانفجار(زيد الخير ومحمدي ، ٢٠١٨ ، ص ١٠١).

وكثيرا ما لاقت اليوتوبيا فشلا؛ حيث إن أغلب اليوتوبيات لم تطبق على أرض الواقع؛ نظرا لاتسامها بالمثالية المفرطة البعيدة عن الواقع البشري المليء بالصراعات والحروب والأنانية ، وعلى ثنائيات متعددة كالخير والشر والقوة، والضعف والعلم والجهل، إضافة إلى الطبيعة البشرية متقلبة المزاج ، وغلبة جانب الشر لدى كثير من أصحابها والتي من شأنها أن تعيق الأحلام اليوتوبية الخيرة، وتقف حائلا أمام إمكانية تحقيقها ووجودها، ولا يعني ذلك أن جميع اليوتوبيات توصف بذلك؛ فهناك بعض المشاريع اليوتوبية التي تتحقق على أرض الواقع إما كليا أو جزئيا ؛ وعلى هذا الأساس يجب التمييز بين يوتوبيا واقعية وأخرى غير واقعية ، وهذا ما أكده الفيلسوف الأمريكي "جون رولز" John rawls الذي يرى أن اليوتوبيا الواقعية لها معقولية للتنفيذ؛ لأن الفلسفة السياسية والاجتماعية يوتوبيا أصلا (محدادي ، ٢٠١٥ ، ص ١٥).

وبناء على ذلك ؛ فإن الخيال اليوتوبي أحيانا ما يدفع الإنسان إلى التغيير وتحويل بعض الأوضاع من حياته، ومثال ذلك فكرة "أطلنطس الجديدة" كمدينة علمية، فالواقع أن التنظير لهذه الفكرة لم يبقَ حبيس الكتب، فأصبحت فكرة المدينة العلمية موجودة حقا، ومثال

ذلك وكالة "ناسا" في الولايات المتحدة الأمريكية ، أيضا نظرة "كانط" إلى فكرة السلام الدائم بين الشعوب والتعاون الدولي بين الدول بعضها بعضا، والتي طبقت بعد وفاته بنحو قرن وربع قرن من الزمان في صورة عصبة الأمم الحديثة عام ١٩٢٠، ثم هيئة الأمم المتحدة ١٩٤٥ والتي تحدث عنها "كانط" كحلم في مصطلح ألماني Volker bund، والذي يعني بالعربية عصبة الأمم (محدادي ، ٢٠١٥ ، ص ص ١٥-١٦).

ولا تزال طائفة من المفكرين تؤيد بقوة وجود اليوتوبيا فكرةً وتحليلاً في ظل واقع معيش بكل خصائصه، وتحدياته وحياة راهنة بكل عناصرها ونظمها ، وعلى خلاف ذلك ؛ هناك من يُعارض اليوتوبيا بشدة؛ ظنا منه – إن لم يكن تيقنا – أن الواقع الآنِيّ بطبيعته يناهضها ويُنحِّيها جانبا ؛ ولكلٍّ وجهة هو موليها بحجته ، والخلاف بين الطائفتين سِجَال ؛ الأمر الذي يؤثر بشدة على النتاج اليوتوبي ويتحكم في مصيره.

ويبقى التساؤل المطروح قديما والمتجدد حديثا والذي ما فتئ يبحث عن إجابة ؛ هل توقف السعي نحو المدينة الفاضلة؟ الواقع والمحتم أن المدينة الفاضلة كانت وستظل دوما وأبدًا أفق المرتجَى الوجودي للإنسانية ومقصِد توجهاتها ؛ لتحصيل السعادة والمحبة والصحة والكفاية والسلام (سعد ، ١٩٨٢ ، ص ١٢٢) (دوبه ، ٢٠١٨ ، ص ٢٣) ، وحينما لم يجد التساؤلُ في صندوق العقل البشري ما يجيبه ويُلبِّي نداءه أو يحقق رجاءه؛ فهو يدعو ضمنيا إلى التفكير في نموذج خارج الصندوق.

المحور الثالث– النسق المجتمعي في التصور الإسلامي.. دعائمه وخصائصه

يعرض المحور الحالي بشيء من التحليل دعائم النسق المجتمعي في التصور الإسلامي، أو المرتكزات التي يستند إليها في بنائه وتكوينه واتجاهات تأصيله ، وكذا خصائصه التي يتميز بها عن غيره من المجتمعات الأخرى ؛ ليتبين من خلال ذلك أن المجتمع الإسلامي نموذج فاضل؛ لما يتمتع به من سمات على أوسع نطاق جمعت في ثناياها بين المثالية والواقعية، وأكدت على الأصالة والمعاصرة.

أولا– دعائم المجتمع الإسلامي

يعرف المجتمع الإسلامي بأنه المجتمع القائم على أساس الإسلام بأفكاره ونظمه وسلوكه وأعرافه (الموسوي ، ١٩٩٢ ، ص ٣٩) ، ولقد بُني المجتمع المسلم على خمسة أسس هي: الإنسان ، والروابط الفطرية والمكتسبة ، والمصالح والأهداف المشتركة ، والأرض ، واعتماد الإسلام عقيدة ومنهج حياة (الجوابي ، ٢٠٠٠ ، ص ص ١٤-١٥).

ويقوم المجتمع في الإسلام على أساس معنوي، أي أن العلاقات الاجتماعية فيه تبنى على الروابط الأدبيّة من توادّ وتراحم، لا على أساس من العلاقات المادية فقط ، ولا شك أن العلاقات المعنوية هي التي يقوم عليها بُنْيان الجماعات الإنسانية ، وهي الروابط التي تربط آحاد الناس ببعضهم ، وهذا المجتمع المعنوي تربطه علاقات روحية بين أجزائه ، وهو متماسك غير قابل لأن تتداعى لبناته؛ لأنه مترابط الأجزاء بما لا يقبل الانقطاع ما دام يغذى بالروح والدين ؛ ولذا فإن الأساس لكل نظام فرعي وضعه الإسلام أن يقوم على التوجيه الديني الذي يغذي نفوس الآحاد لتجتمع، ونفوس الجماعات لتأتلف، ونفوس الحكام ليعدلوا في دولتهم، وليعدلوا مع غيرهم وليعاملوهم بالمثل في دائرة التقوى والفضيلة، وليكونوا في كل تصرفاتهم ملاحظين المعاني الإنسانية مع كل إنسان من غير نظر إلى اختلاف الأجناس والشعوب والقبائل والألوان (أبو زهرة ، ١٩٨١ ، ص ص ١٢١-١٢٢).

وثمة مجموعة من الدعائم يقوم عليها المجتمع الإسلامي ككيان اجتماعي منها: (التركي ، ٢٠١٩ ، ص ٢٢١)

- أنه مجتمع قائم على وحدة الإيمان بالله.
- أنه مجتمع يقوم على العدل ، العدل الذي يكون في جميع شؤونه، والعدل أيضا مع غير المسلمين.
- أنه مجتمع يقوم على المساواة؛ حيث قام الإسلام بإبطال جميع الفروقات بين الناس.
- أنه مجتمع يدعو للحرية كحرية الاعتقاد وحرية العبادة، وحرية العمل وأيضا حرية الاختيار في كافة شؤون الحياة والتي هي أساس العدل.
- أنه مجتمع يحارب الجهل فكانت أول دعوة في الإسلام هي (اقرأ) ، ويدعو إلى العلم الذي يسهم إسهاما إيجابيا في بناء المجتمع وتطويره.
- أنه مجتمع يحث على المعاملة الحسنة والطيبة.

إن من أبرز الأسس التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي والتي ثبتها القرآن الكريم، وطبّقها رسول الله على أرض الواقع في مجتمع المدينة المنورة ما يلي: (الموسوي ، ١٩٩٢ ، ص ص ٤٠-٤٥)

- احترام شخصية الإنسان وتكريمه، فشخصية الإنسان وإنسانيته محترمة وكرامته مصونة ؛ وعلى هذا الأساس تبنى العلاقة بين أفراد المجتمع الإسلامي ، ويتعامل القانون والسلطة والمجتمع مع الإنسان.
- أن الروابط التي تربط أفراد المجتمع الإسلامي هي الروابط العقدية، وما يتفرع عنها من نظام وعواطف.

- المساواة ابتداء بين أفراد المجتمع الإسلامي ، وعدم التفريق بينهم بسبب جنس أو لغة أو دين أو ثروة أو سلطة.
- أن مقياس التفاضل بينهم هو التقوى والعمل الصالح، فإذا كان لكل مجتمع معيار ومقياس للتفاضل –حيث إن بعض المجتمعات تعتبر معيار التفاضل النسب أو القومية، أو اللون أو السلطة، أو الطبقة الاجتماعية أو المال– فإن الإسلام قد اعتبر التقوى والعمل الصالح هما مقياس التفاضل والتكريم.
- أن المجتمع الإسلامي مجتمع أخلاقي يتميز باحترام الأخلاق الفاضلة والتمسك بها، كالعطف والرحمة واحترام الصغير والكبير، وإلقاء التحية وحسن الجوار وصلة الرحم، والتعاون على البر والتقوى واستنكار الظلم والقسوة والعدوان.
- أن المجتمع الإسلامي مجتمع تعاوني تكون الحياة فيه حياة تعاونية في مجالاتها: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والإصلاحية.
- التوازن في الحقوق والواجبات بين الفرد والجماعة ؛ فللفرد في المجتمع الإسلامي مصالحه، وحقوقه التي يجب أن يوفرها المجتمع ويحفظها له، كحق الضمان والكفاية المعيشية عند العجز، واحترام شخصيته والدفاع عن حقوقه ومصالحه، وملكيته الخاصة والتمتع بحرياته الفردية في حدود احترام حقوق الآخرين وحرياتهم ، وللمجتمع أيضا حقوق على الفرد، فعلى الفرد أن يفكر في مصالح المجتمع ويتخلى عن الأنانية وحب الذات، ويقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ويحب للآخرين ما يحب لنفسه، ويتحمل مسؤوليته في إصلاح المجتمع، ويهتم بشؤونه الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية.
- اعتبار الأسرة هي القاعدة الأساس في البناء الاجتماعي ؛ فالأسرة مؤسسة اجتماعية مقدسة في نظر الإسلام، يرتبط أفرادها بروابط الزوجية والقربى ، وقد أوضح الإسلام الأسس الكفيلة ببناء الأسرة وتحديد الروابط بين أفرادها جميعا؛ ليعيش الفرد سعيدا في أسرته ، والأسرة أساس البناء المجتمعي، وما المجتمع الإسلامي سوى مجموعة من الأسر التي تربطها روابط القربى والجوار والعقيدة الإسلامية والمصالح الاجتماعية.

وعلى المستوى الإجرائي، وبالنظر إلى الروابط الاجتماعية في المجتمع الإسلامي فإن ثمة روابط تربط أفراد المجتمع الإسلامي بعضهم بعضا منها: (الموسوي ، ١٩٩٢ ، ص ص ٤٦-٥١)

- العقيدة الإسلامية: فالمجتمع الإسلامي مجتمع التوحيد، يقوم على أساس الإيمان بالله الواحد وتصديق رسله وتطبيق شريعته ، وبغض النظر عن أفراده هل جميعا مسلمون

أم لا ؟ فالعبرة بتبني النظام الإسلامي في العلاقات والأخلاق، والسلوك والمعاملات والالتزام بذلك في جميع الأحوال.

- الرابطة التاريخية: والتي بها يرتبط حاضر الأمة بمستقبلها وماضيها ، وقد أثنى القرآن على تلك الرابطة، فقال – تعالى– : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (الحشر: ١٠) ، ويشكل الحب لشخص النبي ﷺ وأقاربه من المؤمنين رابطا من الروابط الأساس، التي تعمل على تماسك المجتمع وشد أواصره، قال – تعالى– : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الشورى : ٢٣).

- العبادات ونظام الحياة: حيث تشكل العبادات الجماعية والنظام الحياتي بمظاهره الموحدة رابطة تُقَوّي البنية الاجتماعية للمجتمع المسلم ؛ فالشريعة الإسلامية قد حددت المحرمات والواجبات ، والمسلم الحقيقي هو الذي يبذل قصارى جهده من أجل الالتزام بأحكام الشريعة، وهذا يحقق التوحد السلوكي لأفراد المجتمع إلا ما ندر، ويزيل حالة التناقض والاختلاف بينهم.
- القرآن الكريم: يمثل القرآن الكريم حبل الله المتين الذي أمرنا بالتمسك والاعتصام به دون تفرقة؛ كي يربط الأمة كلها من مشرقها إلى مغربها بربها –جل جلاله– ربطا موحدا، فقال –تعالى– : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾(آل عمران : ١٠٣).
- المصالح المادية: إن الفرد المسلم في المجتمع الإسلامي يشعر بأنه عضو فعال، وعليه واجبات وله حقوق وحاجات، كالحاجات الاقتصادية والأمنية، والخدمات الصحية والسكنية والتعليمية وغيرها ؛ وهذا الشعور يجعله متماسكا ومترابطا مع بقية أفراد المجتمع؛ من أجل تلك المصالح مع الحفاظ على المصالح العامة ؛ وهذا أساس التفاعل ولُبّ الفعالية في المجتمع.

- الثقافة الموحدة: تعد الثقافة الإسلامية رابطة فكرية ونفسية قوية بين أفراد المجتمع الإسلامي كافة ؛ ذلك لأن المسلمين جميعا يجب أن يبنوا ثقافتهم ومعارفهم، كالثقافة العقائدية والأخلاقية، والاجتماعية والاقتصادية والأدبية والفنية، وغيرها على أساس عقيدة التوحيد والأحكام والأخلاق الإسلامية ؛ فثقافة المسلمين العقائدية والفقهية والسياسية مثلا هي ثقافة واحدة، وآدابهم وفنونهم كلها ملتزمة بالقيم والموازين الإسلامية وتعطي ثقافة موحدة ، وبالإضافة إلى ذلك فإنهم يستعملون مصطلحات ومفردات لغوية موحدة في فروع العلم، كالفقه والحديث، والتفسير والسيرة، والعقيدة والسياسة والاقتصاد وغيرها ، وهذا التوحد الفكري يبني وحدة اجتماعية متماسكة ، وجدير بالذكر أن الأساس في بناء المجتمع الإسلامي والشخصية الإسلامية هو البناء الفكري والثقافي؛ مما يعطي هذه الرابطة قيمة كبرى ودورا أساسيا في توحيد المجتمع الإسلامي.

وإذا كانت الحقيقة الكاملة للملتزمين بتعاليم الدين في المجتمع المسلم أن ينقاد إليه أتباعه انقيادا كاملا ؛ فإن إقامة حكومة عامة للمسلمين أصل من أصول التشريع الإسلامي، ثبت ذلك بدلائل كثيرة من الكتاب والسنة، بلغت حد التواتر المعنوي ؛ مما دعا الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ إلى الإسراع بالتجمّع والتفاوض لإقامة خلف عن الرسول ﷺ ، في رعاية الأمة الإسلامية وكان أول خليفة للنبي ﷺ ألا وهو الصدِّيق ﷺ (عاشور ، ٢٠٠٥ ، ص ص ١٩٤-١٩٥).

ولقد قامت الحكومة الإسلامية الفاضلة بعد رسول الله ﷺ على أجمل وجوهها بيّنَة صريحة وإن افترى المفترون ؛ فكانت حكومة أمَّتها أمة الإسلام كلها، لا تحدد بمكان ولا بنسب، ولا قبيلة ولا موطن ولا مدينة ؛ إنما حدودها ما يبلغ إليه الاعتقاد الإسلامي حيثما كان؛ لأن حدود الدِّين معانٍ عقليةٌ روحية وغيرها من الحدود حدود مادية ، والجانب العقلي أرفع جانب في حقيقة الإنسان؛ حيث امتاز به عن الحيوان الأعجم، فإن الحيوان يألف المَوَاطِن ولا يفْقَه المعاني، وقديما قيل: " أنت بالعقل لا بالجسم إنسان" (عاشور ، ٢٠٠٥ ، ص ١٩٦).

ولكي يتم التمكين لتربية أخلاقية قائمة على عقيدة التوحيد في مؤسسات التربية؛ فإنه لا بد من توافر بيئة إسلامية مواتية، تمثل وسطية الإسلام وتبعد عن التشدد والمغالاة والتطرف والإقصاء ؛ وذلك بإعادة النظر في التصور الفكري العام للمجتمع، أي الأسس الفلسفية للتربية في المجتمع المسلم ؛ وعليه فإنه من الضروري أن تكون للتربية في بلاد المسلمين فلسفة، أو تصور فكري واضح تدعو إلى وضْعِه الحكوماتُ المسلمة على أن يُجمَع

لوضعها أهل العلم والنظر والدين؛ ليحددوا عناصر تلك الفلسفة، آخذين في الاعتبار الجوانب التالية: (الغنام ، ٢٠١١ ، ص ص ٦٤٤-٦٤٦)

- مراعاة الوحدة المركبة والمعقدة للطبيعة الإنسانية؛ حيث إن الإنسان كائن خلقي وفيزيائي، وبيولوجي واجتماعي، ونفسي وروحي، وتاريخي وثقافي.
- تحقيق الوفاق بين المتناقضات الكامنة في منظومة التعليم بين العالمي والمحلي ، والذاتي والموضوعي ، والتقليدي والحديث ، والمادي والروحي ، والشمولي والتخصصي ، وبين أهداف المدى القصير وغايات المدى البعيد، وغير ذلك بما لا يتعارض مع متطلبات العقيدة ومقتضياتها.
- التوازن بين العناصر التربوية (العلمي والتكنولوجي، والأخلاقي والثقافي ، والاقتصادي والاجتماعي) بدلا من تعارض التوجهات.
- التصدي لظاهرة انفجار المعرفة بما فيها المعرفة الإسلامية، والتعامل معها من خلال المواءمة بين ضخامة المنتج المعرفي، وقدرة الإنسان المسلم على استيعابه.
- التغلب على آفة التلقي السلبي للمتعلم ، وضرورة إكساب عملية التعليم الطابع الأخلاقي ؛ وذلك بجعل السلوكات الفاضلة أفعالا وممارسات.
- إزالة الأمية بأنواعها وتداعياتها؛ حتى لا يقع المجتمع المسلم في براثن التبعية للآخرين، وتذوب هويته نتيجة الأزمات.
- تدريب المتربين على التسامي الأخلاقي بالتمسك بتعاليم الدين في كل زمان ومكان؛ لتحقيق الحركة الصحيحة نحو الرقي والتقدم والإنجاز الحضاري.
- تطوير منظومة التعليم بحيث تشمل العملية جميع عناصرها ومكوناتها بدءًا بالأهداف، وانتهاء بالممارسة العملية من المخرج التعليمي.
- تبلور العلاقات وتضمينها في المنظومة التربوية بما يحقق إيجابية الحركة الإنسانية نحو مرضات الله ﷻ.

ثانيًا- خصائص المجتمع الإسلامي

استطاع الإسلام أن يَمُدَّ جناح الحب والرحمة والطمأنينة على طول البلاد التي دخلت فيه، واستظلت بظله طالما حافظت على هديه واستمسكت بمبادئه ؛ فأثَّر في المجتمع الإنساني وأقام مجتمعا أثبت فيه أنه بإمكان الإنسان أن يذوق السعادة، ويشعر بمعنى الحياة إذا اتبع المنهج الرباني أو عاش في كنفه ، والإسلام في بنائه لمجتمعه يهدف إلى إقامة الحياة المتوازنة التي تتجلى فيها خصائص الفطرة ، ويقِيم مجتمعه على أساس نظرته للإنسان

وإدراكه لرسالته وخصائصه؛ فيرى أنه كائن متميز له كرامته، فاهتم به من جوانبه الروحية والمادية دون طغيان، وهو بهذا يتميز عن سائر المجتمعات القديمة والحديثة (أبو عجوة ، ٢٠٠٠ ، ص ٣٣).

ويستمد المجتمع المسلم خصائصه من مضمون الدين الإسلامي الحنيف، وهذه الخصائص هي: (الجوابي ، ٢٠٠٠ ، ص ص ٨٨-٨٩)

- التزام المجتمع بعقيدة التوحيد ، وعبادته الله –تعالى– وحده.
- الجهر بالعبادات دون تحرج أو تضييق عند القيام بها.
- تطبيق الشريعة الإسلامية.
- العمل للدنيا والآخرة.
- الترابط العائلي كعبادة مثل بر الوالدين وصلة الرحم، والنفقة على الأقارب.
- الترابط الاجتماعي كسلوك مثل حقوق الجار، وتحابب الناس وتعاونهم وتضامنهم، ومشاركة بعضهم بعضا في المناسبات والوفاء بحقوق الفرد والمجتمع.
- التسامح في كل المجالات مع الحفاظ على الأحكام في حدود الشرع.
- طلب العلم ونشره.

ومن الخصائص التي تُميِّز المجتمع الإسلامي عن سائر المجتمعات أنه: (أبو عجوة ، ٢٠٠٠ ، ص ص ٣٣-٣٤)

- مجتمع رباني: انبثق من العقيدة والعلاقات الاجتماعية التي تربط أفراده، والقائمة على أساس العقيدة الإسلامية وتضميناتها ومقتضياتها ، والمتتبِّع لمنهج التربية الإسلامية الذي جاء به رسول الله ﷺ يرى أنه قد بدأ بغرس العقيدة، وعندما استقرت في نفوس أفراد المجتمع كانت الأوامر والنواهي؛ لتنظيم شؤون الحياة.
- مجتمع عالمي: فهو مجتمع لا يقوم على العنصرية والقومية التي تزول بزوال المؤثرات عليها ، والمجتمع الإسلامي مفتوح بابه لكل البشر، دون وضع للاعتبارات العارضة أو الجانبية، كالجنس أو اللون أو اللغة ، ويؤمن بأن دعوته عالمية جاءت للناس كافة.
- مجتمع متكافل ومتعاون: حيث يقوم على أساس أن أفراده وحدة واحدة، متعاونون ومتحابون، يساند بعضهم بعضا على مصاعب الحياة، ويتآزرون في مواجهة الأزمات.

- مجتمع متناصح: فكل فرد فيه يؤمن تمام الإيمان أو ينبغي عليه أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وأن المسلم مرآة أخيه ، وأن من صفات المؤمن التناصح والتعاضد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إن أعظم فرق بين المجتمع الإسلامي ومجتمعات الأرض الأخرى أن المجتمع الإسلامي يستمد تصوره ومنهجه من السماء عن طريق الوحي الذي نزل على رسول الله ﷺ ؛ فإذا ما اتضح لنا هذا الأمر؛ تبيَّن الفرق الهائل بينه وبين مجتمعات الأرض الأخرى، التي تستمد تصورها للكون والحياة وقوانينها التي تحكم أمور حياتها من العقل البشري الضعيف، الذي لا يعرف ما يدور حوله من عالم الغيب، وما يحويه عالم الشهادة من أسرار تجهلها تلك العقول القاصرة عن تحقيق نفع لأصحابها (كنعان ، ٢٠١٤ ، ص ص ٣٨٨-٣٨٩).

ولقد تميزت الأمة المسلمة عبر العصور بموقفٍ عام، وهو العرفان بالجميل للوحي وللشريعة الإلهية، والمتمثل بالتقيد بالأقوال والأعمال النموذجية للرسول ﷺ ناقل الوحي، وكذلك الالتزام بسيرة الرسول ﷺ والصحابة الكرام، واعتبار ذلك الصراط المستقيم الذي ينبغي على الأمة المحافظة عليه، والاقتداء به والعودة إليه دوما (مهدي ، ٢٠٠٩ ، ص ٣٦).

ويتسم المجتمع المسلم بجملة من السمات التي تظهر في ثقافته، وتُضفي عليها رونقا لا نظير له ، متبنّيًا لها دون انحراف، وملتزما بها دون فكاك ؛ ومن أبرز السمات الثقافية للمجتمع الإسلامي ما يلي: (كنعان ، ٢٠١٤ ، ص ص ٣٨٩-٣٩٥)

- عقيدة التوحيد: يمتاز الفرد في المجتمع المسلم بكونه يدرك حقيقة الكون والحياة التي ينتسب إليها وحقيقة نفسه وذاته ، ويكيّف سلوكه ومعاملاته على هذا الأساس ، والمجتمع الذي تنظمه عقيدة صالحة وأفكار سليمة هو مجتمع يضمن لشخصيته التماسك والوحدة، ويسوده العدل والنظام، وتتكافل جماعته وأفراده، وتحكمه الطمأنينة والسلام ؛ ومن هنا يدرك الفرد في هذا المجتمع الدين الذي يوجِّه الحياة.
- الأخوة الإنسانية: للأخوة في المجتمع الإسلامي مرتبة عالية؛ لما لها من أثر بالغ في بناء العلاقات الوثيقة والإيجابية بين أفراده ، وتعمل الشريعة السمحة على ربط الأفراد بالإيمان الممزوج بالأخوة الراقية في أعلى معانيها، قال – تعالى– : ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴿١٠﴾ ﴾ (الحجرات: ١٠)؛ لأن المجتمع الذي يفقد الأخوة يبدأ بالانهيار والتفكك؛ لأنه يفقد المحبة، ويفقد التسامح، ويبدأ عندها الاستغلال والأثرة.

- النسق الاجتماعي المتكامل (الأسرة): حيث تأتي الأسرة في مقدمة البناء الاجتماعي للمجتمع الإسلامي؛ فتنشأ على أساس متين، هو عقيدة الإيمان بالله والصلاح والتقوى ، وتقوم على المودة والرحمة ، ويحكمها نظام دقيق هو شريعة الله ، وتمتلك أهدافا ومشروعا للحياة ؛ وعلى قدر التزام الأسرة المسلمة بخواصها التي تؤهلها للنجاح ستفلح في أدوارها للريادة، وإنشاء الأجيال الصالحة، فالأسرة البنيان الأساس لقيام ونهضة الأمم.
- العدالة في التعامل: استقت الشرائع الوضعية القديمة مبادئ العدالة من العقل أو الشعور النفسي، ولكن هذا المصدر اتخذ صورا مختلفة تبعا لاختلاف الشعوب ؛ فكان مصدر العدالة مثلا عند الرومان قانون الشعوب ، وعند اليونان قانون الطبيعة ، وعند الإنجليز ضمير الملك ، أما مصدر العدالة في المجتمع المسلم هو الشريعة الغرَّاء ، والعدل في الإسلام لا يتأثر بحب أو بُغْض، ولا بحسب أو نسب، ولا جاه أو مال ، كما أنه لا يفرق بين مسلم وغير مسلم، بل يتمتع به جميع المقيمين على أرضه من المسلمين وغير المسلمين مهما كان بين هؤلاء وأولئك من مودة أو شنآن ؛ فالعدل في الإسلام ميزان الله على أرضه، به يُؤخَذ للضعيف حقه، ويُنصَف المظلوم ممن ظَلَمَه ، ولقد دعا الإسلام إلى عدالة اجتماعية شاملة؛ ترسيخا لفكرة العدل كمبدأ وتنمية لها كسلوك؛ لأن العدل هو أهم الدعائم التي يقوم عليها كل مجتمع صالح.
- التكافل الاجتماعي: والتكافل الاجتماعي في الإسلام ليس مقصورا على النفع المادي، وإن كان ذلك أساسا فيه، بل يتجاوزه إلى جميع حاجات المجتمع أفرادا وجماعات، مادية كانت أو معنوية أو فكرية على أوسع مدى لهذه المفاهيم، فهي بذلك تتضمن جميع الحقوق الأساسية للأفراد والجماعات داخل الأمة.
- تكامل الأنساق: جاء التكامل في الأنساق داخل المجتمع المسلم؛ ليؤكد الانفتاح بكل موضوعية وحكمة باتجاه ممارسة الأدوار، واحترام الوظائف لكل نسق ، وتكامل الأنساق وشموليتها في المجتمع المسلم تأتي من خلال التحليل الدقيق للمقومات الثلاثة: (كرامة الإنسان ، ووطنيته ، وحضارته) والتي يقوم عليها المنهج الحضاري الإسلامي.
- التعايش مع الآخر: امتاز المجتمع الإسلامي بخصوصية التعايش مع الآخر؛ حيث الأوامر الربانية والتعاليم النبوية التي تعطي كل ذي حق حقه، فأمر أفراده بواجبات منوطة بالتقوى، مثل : (حسن الجوار، وحسن الخلق، وحسن المعاملة لغير المسلمين وأهل الذمة ، والرحمة والشفقة، واللين وحسن الكلام، وعيادة مريضهم وإجابة دعوتهم، والتعزية في مصابهم ، والتعاون معهم في غير مضرة، والتحية والسلام عليهم ، وحرمة

الدم والمال والعرض لهم كحرمة المسلمين)، وهذا يدل بوضوح على المنظومة القِيَميَّة العالية للمبادئ التي اختص بها المجتمع الإسلامي في مسألة التعايش وقبول الآخر ضمن هذا المجتمع.

بناء على ما سبق، وفي ضوء سمات الإسلام وخصائص مكوناته أو عناصره وحضارته؛ فإن الدراسة ترى أنه يجب التأكد من شيوع خصائص بعينها في المجتمع، وانتشارها كثقافة على مستوى الفرد والمجتمع – مع التأكيد وعدم التغاضي عن بقية السمات – ؛ من أجل الحكم عليه بأنه مجتمع فاضل، يمتلك أرضا خصبة ونبتًا طيبا ينمو إذا روعي حق رعايته ، وتمتد ثمراته فيُطْعَم منها ويستظِلُّ بظِلِّ خيراتها كلُّ إنسان. ومن تلك الخصائص وأهمها في المجتمع المسلم الفاضل: عالمية الإسلام التي تحوي غيرها وتستوعب الجميع دون أن تتلاشى هي أو تتناثر مكوناتها ، والتوازن بين المسؤولية الذاتية والمسؤولية الاجتماعية ؛ ذلك التوازن الذي به تستقر به حياة الفرد وتصلح أحواله باعتباره فردا له ذاتيته ، وعضوا في المجتمع الذي يعيش فيه.

فالإسلام دين يتميز بالعالمية، والعالمية تعني عالمية الهدف والغاية والوسيلة؛ لذلك فإن التعرف على المقصود بمفهوم العالمية في الفكر الإسلامي لا يكون إلا من خلال الإسلام ؛ ففي الخطاب القرآني نجد أنه يرتكز على توجيه رسالة عالمية للناس جميعا؛ فلتأمل قوله – تعالى– : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ (الفرقان: ١) ، وفي السنة المطهرة نجد أن الرسول ﷺ قد أرسل السفراء إلى جميع الزعماء والملوك ، وقد قال ﷺ " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي المغانم ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة وأعطيت الشفاعة " (صحيح البخاري ، باب قول النبي جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، الحديث/٤٣٨) ، إن عالمية الإسلام تنبع من ذاتيته، وتفرده في تفسير شؤون الكون والحياة والمجتمع، من خلال نظرته المتكاملة واقعية ومثالية معا (شعيشع ، ٢٠١٦ ، ص ص ٣٢٩-٣٣٠).

ومفهوم العالمية في الإسلام ينطلق من الأسس التالية: (شعيشع ، ٢٠١٦ ، ص ص ٣٣٠-٣٣١)

- الإرادة الحرة : فالإنسان المستخلف في الأرض صاحب إرادة حرة، هي مناط المسؤولية دون إكراه في الدين لأحد ، وفكرة الاستخلاف في التصور الإسلامي ترى أن الخليفة سيد في الكون، أما سيد الكون فهو الله، وهنا تبرز قاعدة الإرادة الحرة.
- التكامل: حيث يقوم الإسلام على التكامل بين المادي والمعنوي ؛ ومن هنا فالفرد والمجتمع لا يتصارعان، والفكر والمادة يتكاملان، ولا يتقدم أحدهما على الآخر.
- أخلاقية الحياة : فالإسلام يربط بين القول والفعل والقيمة والسلوك.
- الوحدة : والوحدة في الإسلام قائمة على الفكر والثقافة. وليست وحدة عناصر ودماء.
- التقدم المادي والمعنوي: فلا يتنافى الدين مع التقدم، وليست العبرة بالتقدم التكنولوجي فقط، بل بإقامة الفكرة؛ فالتقدم في الإسلام معنوي ومادي، ولا عبرة بتقدم مادي يقضي على مقومات الإيمان أو الأخلاق.

وعالمية الإسلام ترتكز على نوعين من القيم: قيم عامة تخص المجتمع البشري، وهي العدل بسبب وحدة الأصل ، والسلام لما للجميع من حق في الحياة ، والحرية حيث الكرامة الإنسانية تستلزم ذلك ، أما القيم الخاصة التي يلتزم بها المجتمع الإسلامي فهي وحدة الإله المعبود، ووحدة الدين والأمة التابعة له ، والأخوة الإسلامية، وتتمثل صورتها الاقتصادية في التكافل الاجتماعي، وصورتها السياسية في الشورى (شعيشع ، ٢٠١٦ ، ص ٣٣١).

والمجتمع الإسلامي من خلال القيم السائدة فيه، والتي تشرَّبها تُوجِّه سلوكه الجمعي، فيوازن أفراده بين المسؤولية الذاتية والمسؤولية الاجتماعية بتناغم سَلِس، لا إفراط في تضخيم الذات ولا تفريط في إذابة تلك المسؤولية؛ فالمسؤولية الذاتية تجعله لا يتكئ على المجتمع ويتنصل من مسؤوليته ؛ وشواهد ذلك كثيرة منها: تحميل الفرد في المجتمع كافة سلوكه وتصرفاته، وعدم طرح السلوك خارج إطاره الشخصي؛ ولذا نجد القرآن يضع السلوك الذي صدر من ابن آدم تجاه أخيه في هذا الإطار، قال –تعالى– : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (المائدة : ٣٠) (المطوع ، ٢٠١٤ ، ص ٩٢).

كما أوجب الإسلام على الفرد مسؤولية اجتماعية باعتباره عضوا في المجتمع، تتلخص في مسؤولية الإصلاح الاجتماعي، أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال – تعالى– : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (آل عمران : ١٠٤) ، ومسؤولية التضامن والاهتمام الاجتماعي، قال – تعالى– : ﴿ .. وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ

وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ (المائدة :٢)، ومسؤولية أداء الخدمات الاجتماعية، وتوفير حاجات المجتمع المادية والعلمية والاجتماعية والثقافية ، ومسؤولية الدفاع عن مصالح الأمة والوطن الإسلامي ومصيره (الموسوي ، ١٩٩٢ ، ص ص ٥٢-٥٩).

ومن ثم ؛ فإن من أهم مظاهر المسؤولية الاجتماعية في الفكر الإسلامي، والتي لها دور في بناء وضبط المجتمع الفاضل ما يلي: (التركي ، ٢٠١٩ ، ص ٢١٨)

- احترام القوانين والمحافظة على النظام، وإتقان العمل والإخلاص فيه ، مع الحرص على المواعيد والمحافظة عليها.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأمانة والمشاركة الاجتماعية في العبادات والأعياد والمناسبات الاجتماعية.
- تنمية المجتمع وتطويره، والاهتمام بمشكلاته والعمل على حلها.
- المحافظة على سمعة الجماعة والدفاع عنها، مع الحفاظ على الممتلكات العامة.
- الفرد مسؤول عن آرائه وسلوكه الفردي والاجتماعي.

المحور الرابع- أهداف التربية الإسلامية كما يعكسها التصور الإسلامي للنسق المجتمعي.

يتناول المحور الحالي أهداف التربية الإسلامية كما يعكسها التصور الإسلامي للنسق المجتمعي، مبينا التطور فيها في ضوء ما تطرق إليه الأدب التربوي ، ومؤكدا بأنها وحدة مترابطة العناصر، لا تستقيم إلا إذا اتّسقت مع بعضها البعض، وتكاملَت من أجل بناء الشخصية الإنسانية وبعثتها من مرقدها الذي آلت إليه.

فتعرف أهداف التربية بأنها: ما يريده المجتمع لنفسه، ولهذا فهي تضم في طياتها صورة المجتمع، ونوعية الفرد ومستوى الحياة في المجتمع كله (العايش ، ٢٠١٥ ، ص٨٧).

ويقصد بالأهداف التربوية: الأغراض أو الغايات التي تسعى العملية التربوية إلى تحقيقها، والوصول إليها قريبة كانت أو بعيدة، وتحديد الأهداف لأي عمل من الأعمال التربوية أمر أساس قبل الشروع في هذا العمل وتنفيذه؛ لأن هذا التحديد يؤثر تأثيرا كبيرا في تحريك السلوك والتوجه نحوها؛ لذا كان لزاما على دارسي التربية الإسلامية أن يحددوا أهدافها أولا؛ حتى يستطيعوا أن يحددوا الطرق والوسائل والأساليب التي يمكن أن تحقق لهم أهدافهم، وتحركهم تجاه تلك الأهداف بقوة وفاعلية (الشحود ، ٢٠٠٩ ، ص١٢).

وتشير الأهداف في العملية التربوية عموما إلى: التغيرات التي يراد حصولها في سلوك الإنسان الفرد، وفي ممارسات واتجاهات المجتمع المحلي أو المجتمعات الإنسانية، ولقد حرصت التربية الإسلامية على ربط أهدافها بفلسفة الإسلام، ورؤيته للوجود والكرامة الإنسانية التي رسمت معالمها نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية؛ ولهذا ساوت التربية الإسلامية بين جميع الأفراد في الحقوق والكرامة الإنسانية (العايش ، ٢٠١٥ ، ص٨٦).

وتتسم الأهداف التربوية بمجموعة من الخصائص منها: أن تكون متفقة مع الطبيعة الإنسانية، مراعية لحاجاتها، قابلة لإطلاق قدراتها الإبداعية، وأنها تحدد العلاقة بين الفرد والمجتمع، وبينه وبين التراث الاجتماعي من عقائد وقيم وتقاليد ومشكلات، وقابليتها للتغيير حسب ما يتطلبه التطور الجاري والمعارف المتجددة، وتوجيه العاملين في التربية إلى ما يجب أن يتعلموه، وتحديد الطرق اللازمة في التربية والتعليم، والأدوات اللازمة لقياس نتائج العملية التربوية وتقويمها (العايش ، ٢٠١٥ ، ص٨٧).

ولقد نشأ الإسلام في بلاد لا تعرف عن الحضارة المادية شيئا حتى اسمها، ولكنه بعث المدنيّة بعثا متدفقا، كأنما هي سيل ينحدر من ارتفاع شاهق؛ فيملأ بقاع الدنيا، فإذا بالحضارة تنشط في كل مَيْدان من ميادين النشاط البشري في العلم والعمل، والثقافة والتربية، والسياسة والاقتصاد والمجتمع، ولكن هذا التقدم المادي الذي تحقق في ظل الإسلام لم يخرج بهم عن إنسانيتهم، بل حرص كل الحرص على ربط القلب دائما بالله وتوجيه العقل إلى حكمة الله (النوري ، ١٩٩١ ، ص ٢٠٣).

وسعت التربية الإسلامية إلى وضع أهداف تميز المسلم عن غيره، وتسعى هذه الأهداف إلى بنائه بناء تربويا إسلاميا، يقوده بإذن الله –تعالى– إلى السعادة في الدارين. وتتعدد الآراء في تحديد أهداف التربية الإسلامية وفقا للمفهوم لدى الباحثين؛ حيث جعل البعض أهداف التربية الإسلامية خطوطا عريضة، ومبادئ عامة ينطلق المسلم منها، في حين قسم آخرون الأهداف إلى هدف عام أو ما سمي بالهدف الغائي، وأهداف خاصة فرعية، واتفق هؤلاء على الغاية وهي عبادة الله – تعالى– وإفراده بالعبادة وحده، ثم يختلفون في الأهداف الخاصة؛ إذ إنها تتأثر بالجوانب والمجالات الأخرى: جغرافيا واقتصاديا، وسياسيا وتربويا، واجتماعيا وثقافيا، وقد ترك باب الاجتهاد على مصرعيه مفتوحا أمامها؛ لتحديدها طبقا لظروف العصر، ولكن معيار الصلاحية لها هو مدى قربها أو بُعدها من المثل الأعلى أو الهدف العام. وأما الفئة الثالثة من الباحثين فجعلت أهداف التربية الإسلامية تنشئة وتكوين إنسان متكامل في جميع جوانبه؛ ليصبح إنسانا صالحًا (القرني ، ٢٠١٧ ، ص ص ٤٨٧–٤٨٨).

إن التربية الإسلامية شاملة لجوانب الشخصية الإنسانية التي تتمثل في: البناء العلمي والعَقَدِي، والتعبدي والخُلُقي، والاجتماعي والمهني، والنفسي والجسمي ؛ وهذا ما يميزها عن غيرها، ويجعل لها خاصية الشمول والتكامل والتوازن ، وتسعى أهداف التربية الإسلامية إلى تحقيق قيم سامية، مصدرها التشريع الإسلامي ومقاصد دنيوية وأخروية، مرتكزها خيرية الإنسان ومراعاة فطرته البشرية، وصلاحه في كل أحواله وبلوغه درجة الكمال الإنساني (البقمي ، ٢٠٢١ ، ص ٢٩٩).

ويتم اشتقاق أهداف التربية الإسلامية من مصادر عدة، منها مصادر أساسية لاشتقاق الأهداف وهي: الوحي الإلهي من خلال ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ومصادر التشريع الثانوية كالقياس والاجتهاد، والعرف والعادات، والمصالح المرسلة والاستحسان، والتراث التربوي الإسلامي، كما يتم اشتقاق الأهداف من حاجات المجتمع المسلم وظروفه القائمة والمنتظرة، وحاجات المتعلمين أو الأفراد وقدراتهم وميولهم ورغباتهم، وطبيعة العملية التعليمية التعلمية، والإنجازات العلمية في مجال العلوم المختلفة من تربية واجتماع وعلم نفس وغيرها؛ حتى يتم وضع الأهداف بما يُناسب ذلك (العنزي ، ٢٠١٩ ، ص ٤٧٠) (الشباطات ، ٢٠٠٩ ، ص١٦).

وفي ضوء مصادر اشتقاق أهداف التربية الإسلامية يمكن تقسيم الأهداف إلى نوعين: أهداف غايات: ويقصد بها الهدف العام الذي هو غاية التربية الإسلامية، وأهداف وسائل: وهي الأهداف الفرعية التي تصل من خلالها إلى الغاية، ومع تطور العصر وتقدم التقنية، وانشغال الناس في غمرة الحياة ومعتركها فإن تلك الأهداف تتسم بالمرونة التي تؤهلها إلى حالة من الدينامية، التي تتطلبها معطيات العصر مع الحفاظ على مقاصد الشريعة والتمسك بمبادئ الإسلام (الشريف ومصطفى ،٢٠٢٠ ، ص٩٠).

يتمثل الهدف العام للتربية الإسلامية في تحقيق معنى العبودية لله، انطلاقا من قوله – تعالى–: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الذاريات: ٥٦)، فالهدف الأساسي لوجود الإنسان في الكون هو عبادة الله والخضوع له، وتعمير الكون بوصفه – أي الإنسان – خليفة الله في أرضه، والعبودية لله لا تقتصر على مجرد شعائر ومناسك معينة، كالصلاة والصيام والزكاة والحج مثلا، وإنما هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة (الشريف ومصطفى ،٢٠٢٠ ، ص٩٠) (الشحود ، ٢٠٠٩ ، ص ص١٣-١٤).

أما الأهداف الفرعية للتربية الإسلامية فيمكن إيجازها في تربية الفرد الصالح في ذاته، وتربية المواطن الصالح في الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم، وتربية الإنسان الصالح للمجتمع الإنساني الكبير؛ أي أن التربية الإسلامية تُعنَى ببناء الشخصية المسلمة المتكاملة (السيد ، ١٩٩٩ ، ص ٢١).

ولخص الجمالي (١٩٦٦) أهداف التربية التي جاء بها القرآن الكريم في أربعة أهداف: (ص ١٣)

- تعريف الإنسان (الفرد) بمكانته بين الخليقة وبمسؤولياته الفردية في هذه الحياة.
- تعريف الإنسان بعلاقاته الاجتماعي ومسؤولياته ضمن نظام اجتماعي إنساني.
- تعريف الإنسان بالطبيعة وحمله على إدراك حكمة الخالق في إبداعها، وتمكين الإنسان من استثمارها.
- تعريف الإنسان بخالق الطبيعة وعبادته له.

ومع أن هذه الأهداف مترابطة مع بعضها، إلا أننا نعتبر الثلاثة الأولى منها تؤدي إلى الهدف الرابع؛ فهي واسطة لبلوغ الهدف الرابع الذي هو معرفة الله وتقواه، والتربية الإسلامية تعمل على تنشئة الإنسان على ذلك، ومتى أدركنا أن قوانين الطبيعة التي يسير بموجبها الكون والقوانين الأخلاقية التي جاء القرآن الكريم داعيًا إليها تقود الإنسان إلى نَيْل الخيْر والحق والسعادة، وأنها كلها تمثل إرادة الله تعالى؛ علما بأن الإنسان المؤمن هو الذي يسير في الصراط المستقيم الذي خَطَّه خالق الكون، ويخضع للنواميس الإلهية (الجمالي ، ١٩٦٦ ، ص ص ١٣-١٤).

وتصاغ أهداف التربية الإسلامية إجرائيا في نقاط هي: (السيد، ١٩٩٩ ، ص ص ٢١-٢٢)

- بلوغ الكمال الإنساني، وتحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.
- تنشئة الإنسان الذي يعبد الله ويخشاه.
- تقوية الروابط الإسلامية بين المسلمين، ودعم تضامنهم الإسلامي وخدمة قضاياهم.
- تربية الإنسان لبلوغ الفضيلة وكمال النفس عن طريق العلم بالله ﷻ.
- تربية فطرة المسلم على الإيمان الصحيح وخشية الله وعبادته.
- إيجاد الفرد المسلم سليم العقيدة، المؤمن بربه، الممارس لعبادته.
- تربية المواطن الصالح، المتفاعل مع بيئته الاجتماعية الذي يقدر المسؤولية.
- تنمية الفرد من جميع جوانبه: جسميا وروحيا، وانفعاليا واجتماعيا.

- غرس القيم الإنسانية التي يربيها الإسلام في نفوس أبنائه؛ لاحترام الإنسان كإنسان، والتعامل معه كبشر بغض النظر عن لون أو جنس أو دين.

ويرى الحمد (٢٠٠٣) أن الأهداف التربوية في ظل الإسلام تتمثل في: تحقيق الخلافة للإنسان على الأرض، وبناء الإنسان المتكامل الذي ينفع نفسه وينفع مجتمعه، وبناء أمة مؤمنة هي خير أمة أخرجت للناس، وبناء حضارة إنسانية إسلامية (الحمد ، ٢٠٠٣ ، ص ٣٥).

وعليه ؛ فإن أهداف التربية الإسلامية متشعبة وتدور حول أربعة مستويات: (الشحود ، ٢٠٠٩ ، ص ص ١٢-١٣)

١. مستوى العبودية لله، أو إخلاص العبودية لله.
٢. بناء شخصية إسلامية ذات مثل أعلى يتصل بالله -تعالى-.
٣. بناء المجتمع الإسلامي، أو بناء الأمة المؤمنة.
٤. تحقيق المنافع الدينية والدنيوية.

ويؤكد البعض على أن أهداف التربية الإسلامية متشعبة وذات جوانب متعددة، منها: تنمية الجانب الروحي، والجانب العقلي، والجانب الجسمي، والجانب الأخلاقي، والجانب الاجتماعي، وهناك من قسمها إلى هدف ديني، وهدف أخلاقي، وهدف تثقيفي، وهدف اجتماعي، وهدف دنيوي، والهدف الأخير يُعنَى بالتدريب الميداني والتنمية المهنية، انطلاقا من قوله -تعالى- : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ (الملك: ١٥) (العقل ، ٢٠٢٠ ، ص ١١٢).

وتتسق الأهداف الفرعية للتربية الإسلامية مع الهدف العام، وفي ظل الغاية الكبرى وهي تحقيق العبودية لله – تعالى- في حياة الإنسان الفردية والجماعية ؛ فتُشْتَق من تلك الغاية مجموعة من الأهداف التي تُظهِر بوضوح مدى تأثير الهدف العام على الأهداف الفرعية وتضمُّنه فيها ؛ ويتجلى ذلك في الأهداف التالية: (عطار، ١٩٧١ ، ص ص ٣٧-٣٨) ، (الشحود ، ٢٠٠٩ ، ص ص١٤-١٥) ، (البقمي ، ٢٠٢١ ، ص ٣٠٠)

- التنشئة العقدية الصحيحة لأبناء المجتمع المسلم؛ لإعداد الإنسان الصالح الذي يعبد الله ﷻ على هدى وبصيرة.
- التكامل في إعداد الإنسان المسلم بإعداده جسميا وعقليا، وروحيا واقتصاديا، وسياسيا واجتماعيا للالتزام بتحقيق منهج الله الكامل في واقع الحياة البشرية.

- الإدراك والفهم للتصور الإسلامي الصحيح عن الكون والإنسان والحياة والدنيا والآخرة، وتعريف الإنسان بمهمة الخلافة في الأرض ووسائل تحقيق ذلك.
- الالتزام بالمنهج الأخلاقي والاجتماعي والجهادي؛ لتوطيد دعائم المجتمع الإسلامي بالتطبيق العملي الجاد ، وذلك بأن يتخلق الفرد في المجتمع المسلم بالأخلاق الحميدة: من صدق وأمانة وإخلاص، مقتديا في ذلك برسول الله ﷺ .
- تنمية الشعور الجماعي لأفراد المجتمع المسلم؛ بحيث يرسخ لدى الفرد الشعور بالانتماء لمجتمعه؛ فيهتم بقضاياه وهمومه، ويرتبط بإخوانه عملا بقوله – تعالى– : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الحجرات:١٠). وبذلك تتأكد روابط الأخوة الإيمانية الصادقة بين أبناء الأمة المسلمة.
- تكوين الفرد الصحيح بدنيا، والمتزن نفسيا وعاطفيا، وذلك بحسن التوجيه وحسن الحوار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لتكوين شخص فاعل وعضو نافع لمجتمعه.
- فرضية العلم والتعليم لكل من الرجل والمرأة بما يحقق لكل منهما تأدية رسالته في حدود الشرع، وفي حدود تكوينه الطبيعي الذي خلق من أجله، وصياغة المناهج الخاصة بكل منهما على حدة.
- الاستفادة من جميع المعارف الإنسانية النافعة، على أن تحلل تحت مظلة الإسلام، وفي ميزانه العادل للمحافظة على روح الدين.
- إطلاق الطاقات وتوجيه القدرات وتشجيع الميول للإبداع والابتكار، والتجديد بما يتناسب ومبادئ الإسلام الحنيف وبما فيه خير البشرية جمعاء ، وصقل مواهب النشء ورعايتها؛ لتكوين الفرد المبدع الذي يتمتع بالمَلَكَات التي باتت ضرورة مُلِحَّة لتقدُّم المجتمعات في الوقت الحاضر.
- استخدام الوسائل والأساليب التربوية الإسلامية للوصول إلى الهدف المنشود.

ولقد تأثرت الأهداف التربوية (الأهداف الوسائل) في الإسلام أيضا بالاتجاهات والمدارس الفكرية التي سادت المجتمعات الإسلامية عبر العصور، على الرغم من وحدة الفلسفة التربوية للإسلام القائمة على أساس إدراك حقائق الوجود، والقيام بأمانة الخلافة والعبودية لله ﷻ ، وإحياء الفطرة وتوجيه سائر الأعمال لرضا الله ﷻ، عن طريق الالتزام بأوامر الشريعة ونواهيها (الشريف ومصطفى ، ٢٠٢٠ ، ص٩٠).

ومع تطور الفكر وتعدد المعارف وتنوعها تظهر الأهداف الفكرية بوضوح في أهداف التربية الإسلامية؛ كي تُكوِّن لدى الفرد سياجا يُمكِّنه من القدرة على التمييز، وتُكسِب المجتمع

مقومات للحفاظ على هويته. فتُصنَّف أهداف التربية الإسلامية إلى: أهداف تعبدية: تتضمن توثيق الصلة بالله –تعالى– وكل ما يتعلق بالعقيدة والشعائر التعبدية، وأهداف فكرية: كتزويد المسلم بالثقافة الإسلامية وغرس الخصال الحميدة التي تنمي مهارات التفكير لديه، وأهداف اجتماعية: منها تنمية روح التعاضد والتضامن عند الفرد، وتنمية الشعور بالمسؤولية وبواجباته الاجتماعية (العقل ، ٢٠٢٠ ، ص ١١٢).

وفي ظل تطور المجتمعات وانفتاحها وكثرة الصراعات وانتشارها ؛ تبرز أهداف التربية الإسلامية في العصر الحالي في: (الشريف ومصطفى ،٢٠٢٠ ، ص٩١)

١. بناء إنسان مسلم متكامل الجوانب الشخصية، فإذا كان كل فرد يُعد لبِنَة في البناء الاجتماعي؛ فإننا إذا ربينا كل فرد تربية إسلامية كاملة نكون عندئذ قد كَوّنّا لبنات المجتمع تكوينا سليما، وتكوين ذلك المسلم يتطلب أولا– تحقيق الهدف الخاص ببناء الشخصية الإسلامية ويتطلب ثانيا– تحقيق كل الأهداف الجزئية الداخلة في نطاق الشخصية الإسلامية، وهي: جوانب النمو العقلي، وتحقيق النمو الأخلاقي، وتحقيق النمو الصحي، وتحقيق النمو الإبداعي، وتحقيق النمو الإرادي.

٢. بناء خير أمة أخرجت للناس؛ حيث إنه من الأهمية بمكان إقامة مجتمع قوي البنيان، مترابط الأطراف مستقر وهادئ، تسود بين أفراده المودة والرحمة والعدالة، ثم لا تكون فيهم صراعات وتناقضات، ويمكن أن نعبر عن هذا المجتمع في ظل التربية الإسلامية بأنه مجتمع خيّر، وذلك عن طريق تكوين أفراد أخيار؛ لأنه عندما يسعى كل فرد لتحقيق الخير لغيره كما يسعى لنفسه، ويحب غيره كما يحب نفسه، ويكُف شرَّه عن غيره؛ فإن المجتمع حينئذ يتحول إلى مجتمع خيّر، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بالتربية الإسلامية السليمة.

إن من أعظم أهداف التربية الإسلامية تحقيق غاية وجود الإنسان، والتحلي بالأخلاق الفاضلة وممارسة السلوك الإيجابي؛ مما يعني التزام الإنسان بجملة من الأخلاقيات والقيم الفاضلة، التي تحقق الغاية من وجوده كالإيمان الصادق وتقوى الله في السر والعلن، والانضباط في أداء المهام وتحقيق الفضيلة في الواجبات والقناعة، وحسن المعاشرة والتواضع ولين الجانب، والصبر والمصابرة والأمل والتفاؤل، والتوكل على الله – تعالى– وبذل العطاء وحب العلم وطلبه، وغيرها من الآداب والفضائل الخُلُقية الحميدة (البقمي ، ٢٠٢١ ، ص ٣٠٠).

بناء على ما سبق وبمراجعة الأدبيات في هذا المجال (عطار ١٩٧١، النوري ١٩٩١ ، السيد ١٩٩٩ ، الحازمي ٢٠٠٠ ، القرني ٢٠١٧ ، الشريف ومصطفى ٢٠٢٠) ترى الدراسة الحالية أنه يمكن التوافق على مجموعة من أهداف التربية الإسلامية التي تُدلِّل بقوة على شمولية الإسلام، وتكامليَّته في تربيته لأفراده ومجتمعه تبعًا لفلسفته المنبثقة من الكتاب والسنة، وتتمثل أهداف التربية الإسلامية على ضوء ذلك في:

(أ) الجانب العقدي والإيماني:

تكمن العبودية التامة من البشر لله ﷻ في توحيده ﷻ والعلم بما شرع ، تلك العبودية التي تحرر الإنسان من كل عبودية أخرى كالمال أو المتعة، أو الهوى أو السلطان، وفي هذا تبرؤ من كل شك أو شرك ، وتوجه تام إلى عبادة الله الواحد القهار بما يملأ النفس البشرية من طمأنينة واستقرار وسعادة ، ودافع دائم إلى مرضاة الله –سبحانه وتعالى– فتستقيم حال الفرد والمجتمع، وتحفظ كرامته بما يتفق مع إنسانيته ، ويتحرر من عبودية غير الله ومن كل سلطان غير سلطانه ، وتصان حرمة نفسه وماله وعرضه وعقله؛ وبهذا ترسى أصول الحرية وقواعدها، وتصان بالتشريعات التي سنّها رب العالمين لعباده (الخطيب ، ١٩٩٧ ، ص ٩٢١).

وتحت هذا الهدف الرئيس تتضافر بقية الأهداف التربوية التي تنمي قدرات الإنسان البدنية والعقلية، والتعبيرية والجمالية، والاجتماعية والإنسانية، وتسمو صلته بالآخرين على اختلاف عقائدهم ومللهم وأزمانهم وأماكنهم، بل إن تربية الإنسان على العبودية لله – وحده– تكسبه حسن الاتصال والانتفاع بكل ما في الكون من نبات وحيوان وجماد، وغيره لما في صالح خلق الله، وما أسمى هدف التربية، وما أبعد آثارها النفسية والسلوكية! هذا إلى جانب التربية الأخلاقية والتربية الدينية التي تمده بمعرفة أحكام الله ﷻ وآداب شرعه، وكل هذه الفروع التربوية يعاصر بعضها بعضا؛ لتحقيق العبودية لله وحده، وهي ذروة الحرية للإنسان المنظمة والمنضبطة بنظام الإسلام وشرائعه (الخطيب ، ١٩٩٧ ، ص ٩٢١).

والمجتمع الإسلامي مبني على أساس العقيدة السليمة والمبادئ السمحة، ويهدف إلى إقامة الحياة المتوازنة التي تتجلى فيها خصائص الفطرة، وتتسق مع دور الإنسان في الحياة، وتحقيق الحق والعدل والمساواة والتكافل (عطار، ١٩٧١ ، ص ٤٨).

والبناء العقدي هدف أصيل من أهداف التربية الإسلامية في المجتمع المسلم، ويقصد به تربية الإنسان على أركان الإيمان الستة؛ لما لها من آثار تربوية على حياته وسلوكه، تلك الآثار التي تختلف من شخص إلى آخر حسب القوة الإيمانية التي يحملها بين جوانحه،

ويمكن ذكر بعض آثار البناء العقدي على الشخصية المسلمة فيما يلي: (الحازمي، ٢٠٠٠، ص ص ١٠٥-١١١)

- ضبط القلق النفسي: والذي قد يصيب الإنسان ويؤرقه إذا خلا قلبه من الإيمان أو ضعف، ويضبط الإيمان حالات القلق النفسي من خلال معرفة أهمية الصبر عند المصائب، الذي هو للإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، والنهي عن كلمة " لو" وما بعدها وتسليم الأمر كله لله، والعلم بأنه ليس كل شيء محبب إلى النفس هو خير، كما أنه ليس كل شيء مكروه إليها هو شر لها، والتمسك بالدعاء في جميع الأحوال.
- ضبط الدوافع النفسية: والتي قد توقع الإنسان في المعاصي الطلبية الناجمة عن دوافع خبيثة، ويضبط الإيمان ذلك من خلال الخوف من الله وخشيته، وتقواه التي تجعله يتحكم في تصرفاته وفق مبدأ التقوى ذاته.
- الثبات على المبدأ: فالإنسان يتعرض في حياته الدنيا لكثير من الصعاب والمشكلات، والمؤمن قوي الإيمان يثبت أمام تلك الأمور، ويصمد صمود الجبال الرواسي؛ فيذعن للحق ويرجع إلى العدل ويصدق الحديث، ويصبر على الطاعة مثل صبره على المعصية.
- تحقيق التآخي الاجتماعي: فالعقيدة الإسلامية تحقق التآخي والتآلف بين أفراد المجتمع، وكلما كان المجتمع سليم العقيدة؛ حصل له الانسجام والاستقرار؛ لأن المصدر واحد والباعث واحد والهدف واحد، وكلما ضعف هذا الجانب؛ أدى ذلك إلى تسليط الأهواء وإبراز النزعات وظهور العنصريات.

ويترجَم هدف التربية الإيمانية في وحدات إجرائية لتحقيقه، والتي يُتعرف من خلالها على مدى تحقيق نمط التربية الذي يمثل ذلك الهدف ؛ فيحتوى على الفئات الآتية: (القرني ، ٢٠١٧ ، ص ٤٩٢)

- تنمية العقيدة الإسلامية.
- عبادة الله ﷻ وطاعته.
- اتباع الرسول ﷺ وطاعته.
- إظهار مميزات الدين الإسلامي وعظمته ، والدعوة إليه.
- تقويم آراء وسلوكات الناس في ضوء القرآن والسنة.
- تحقيق مبدأ الوسطية الإسلامية.
- التوبة إلى الله ﷻ.

(ب) الجانب التعبدي والروحي:

اهتم الإسلام بالبناء التعبدي، فجعل رب العزة ﷻ العبادات ركائز يقوم عليها الإسلام، ثم عضَّدَها ببعض الأخلاقيات، والمستجدات التي إن قام بها الفرد أتت التنشئة الإسلامية أُكُلها، وذلك من خلال توسيع دائرة الفهم السليم لمفهوم العبادة، دون اقتصار على فرائض الإسلام فقط، ففتح باب البر على مصراعيه شاملا كل قول أو فعل، أو عمل يُحبه الله ويرضاه سواء كان ظاهرا أو باطنا.

وللبناء التعبدي أهمية في حياة الفرد والمجتمع على السواء؛ حيث إن العلاقة بين العبادة والسلوك علاقة طردية، إذا تمسك المسلم بها وحافظ عليها استقام سلوكه، وإن أهمل فيها وضيعها انحرف سلوكه عن الطريق المستقيم.

فللعبادات آثار تربوية عظيمة، تنعكس على سلوك الفرد، فأكثر الناس التزاما بأداء العبادات على الوجه المشروع أقربهم للسمو الخُلُقي مع أنفسهم ومع الآخرين، ويمكن إبراز أهم الآثار التربوية للعبادات في النقاط التالية: (الحازمي ، ٢٠٠٠ ، ص ص١١٩-١٢٨)

- المجاهدة وقوة الإرادة: فالعبادات لها تأثير قوي في تكوين الإرادة الجازمة، التي تجعله يقف عند حدود الله –تعالى–، ويصمد مع الحق أمام الباطل ومع الفضيلة أمام الرذيلة؛ لأنها تذكره بالله –تعالى– وبمسؤولياته أمامه وبلذة الحياة الآخرة وفناء لذة الدنيا ؛ وأنه ما خلق إلا لأجل ذلك.
- التربية على التعاون والترابط: حيث تثبت الروح الإسلامية المبنية على التآلف والترابط، والتعاون والتآزر لدى الفرد من خلال كثرة اللقاءات الجماعية أثناء أداء العبادات، وتكرار المشاهدة والإحساس بالآخرين.
- التربية على الفضيلة: فجميع العبادات تدعو إلى الفضيلة التي على إثرها ينشرح الصدر، وتبتهج الروح، ويطمئن القلب، وتزكو النفس؛ فيستمد الإنسان من مناجاته لربه القوة والمدد على إيراده الخير ومكارم الأخلاق.
- الوقاية من الانحراف: عندما يتربى الإنسان على الفضائل الخلقية يصعب – مع وجود مغريات الحياة ومفاتنها – أن ينحرف عنها، وينجرف إلى نقيضها ؛ لما لذلك من مردود على نفسيته التي ترجو رحمة الله، وتخاف عذابه وتتقلب بين الخوف والرجاء.

والجانب الروحي في الإنسان يمثل القاعدة والركيزة الأساسية، التي بمقتضاها يتجه إلى عمل الخير أو الشر، وكلما ارتقى الإنسان عن شهواته الأرضية التي تشبع دوافعه – إلا

ما كان منها في حدود الشريعة – ارتقى، ووصل إلى الكمال البشري المطلوب، وقد اعتمد الإسلام في تربيته الروحية للإنسان على أهم عضو فيه ألا وهو القلب، وعليه يتوقف صلاحه أو فساده. فكانت مهمة العقيدة الربانية في قاعدتها البنائية (الشهادتين) تصحيح الفطرة إلى مسارها الطبيعي، بتوجيهها إلى خالقها ودوام الصلة اليقظة (عطار، ١٩٧١ ، ص ١٧).

(ج) الجانب الأخلاقي:

جعل الإسلام الأخلاق الحميدة ركيزة لضمان سير الحياة الاجتماعية العادلة فيها، والتي تتسم بالقيم والفضائل والمعايير الثابتة نسبيا، والتي تؤدي إلى استقرار المجتمع وتأمينه عن الانحراف، وتستهدف التربية الأخلاقية بناء إنسان على خلق عظيم، وبناء مجتمع تسوده مجموعة من القيم والمثل العليا، التي تتفق مع خصائص الطبيعة البشرية الفردية والاجتماعية، وفي حدود طاقتها وإمكانية تجسيدها في شخصية المسلم؛ فهي تحرص على تنشئة إنسان يسلك الفعل في إطار مجموعة من القيم التي شملها هذا الدين بحيث يكون سلوكا متَّسما بالعدل، والمساواة الاجتماعية، والحرية في حدود المسؤولية (عطار، ١٩٧١ ، ص ٣٢).

والتربية الخُلُقية هي روح التربية الإسلامية، والوصول إلى الخلق الكامل هو الغرض الحقيقي من التربية، دون تقليل من الأغراض الأخرى وباقي الجوانب، وقد اتفق علماء التربية الإسلامية أن الغرض من التربية والتعليم هو تهذيب الأخلاق، وتربية الأرواح وبث الفضيلة، وتعويد النشء الآداب السامية والإعداد لحياة، بل والعيش في حياة كلها إخلاص وطهارة؛ فالغرض الأسمى من التربية الإسلامية تهذيب الخلق وتربية الروح، والأخلاق الدينية هي الأخلاق المثالية الكاملة، والخلق النبيل عماد التربية في الإسلام، ويمكن إيجاز الغرض الأساس من التربية الإسلامية في كلمة واحدة هي الفضيلة (الإبراشي ، د.ت ، ص ٢٢).

وتقوم عملية التربية الخلقية على أسس هي: (الحازمي ، ٢٠٠٠ ، ص ص١٦٧-١٦٨)

- تحليل الفضائل الخلقية ببيان ثوابها وفوائدها على الفرد والمجتمع.
- تحليل الرذائل الخلقية ببيان عقابها ومضارها الوخيمة على الفرد والمجتمع.
- دعم تلك التوجيهات بالحجج والبراهين الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية، والآثار الواردة عن الصحابة والتابعين وعلماء الأمة.
- ربط تلك التوجيهات بما يشاهد ويسمع من تدنٍّ في سلوك المجتمعات التي لا تعطي اهتماما للجانب الأخلاقي.

إن مراعاة هذه الخطوات في العملية التربوية تُحدِث أثرًا بالغا في نفس المتربي؛ لأنها اشتملت على بيان وتحليل ودعم الأقوال بالحجج والبراهين، مع ربط ذلك بالواقع المشاهد أو المسموع عنه؛ وبهذا تتضح أهمية هذا الأصل العظيم، الذي يترجم طوية الإنسان وما تحمله من صفات، وقد اهتم الإسلام بهذا الأصل اهتماما عظيما؛ فكان هدفا من أهداف البعثة النبوية التي جاءت لإتمام مكارم الأخلاق (الحازمي ، ٢٠٠٠ ، ص١٦٨).

كما أن البناء الأخلاقي يعلمنا أن الحكم الخلقي مُعْتَبَر في سِيَر الناس، وفي معاملاتهم من حيث التقارب أو التباعد، والتباغض أو التآلف، والترابط أو التنافر، فإذا كان السلوك الخلقي يتسم بالاستمرارية التي تجعله جزءًا من الشخصية الإنسانية ذاتها؛ فإن ذلك يَستبعِد كلَّ تصرف طارئ، ليس سجية طبع بها الإنسان أو فطر عليها، فمن اعتاد الناس منه البخل؛ لا يستحق أن يطلق عليه كريم عندما يظهر كرمًا فجأة؛ لأجل مصلحة أو هدف ما؛ لأن الفضيلة لديه تزول بزوال الباعث على فعلها، ومن كان من عادته الكرم، وافتقدت تلك الصفة منه في أحد المواقف؛ فالحكم عليه بالبخل ظلم وعدوان، وقد جاء في حديث النبي ﷺ عن ناقته القصواء " ما خَلأت القصواء وما ذاك لها بخلُق" (صحيح البخاري، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط مع الناس بالقول ، الحديث/٢٧٣١). وفيه جواز الحكم على الشيء بما عرف من عادته وإن طرأ عليه غيره؛ وبهذا فلا يوصف الإنسان بما يطرأ على تصرفاته من سلوك، وإنما ما أصبح له من سجية وطبعًا عُرِف به، وأما ما يتعلق بالعقوبات الشرعية والأحكام فتأخذ مجراها وفق شريعة الله – تعالى–، وهذا ما قام به سيد الخلق مع من أخطأ في حق نفسه فارتكب شيئا يعاقب عليه (الحازمي ، ٢٠٠٠ ، ص ١٦٧).

ويصاغ هدف التربية الأخلاقية بصورة إجرائية فتُدرَج تحته البنود التالية: (القرني ، ٢٠١٧ ، ص ٤٩٣)

- الإسهام في نشر الفضائل الأخلاقية.
- ممارسة الفضائل الأخلاقية والدعوة إليها.
- التحصين من الرذائل والفساد الأخلاقي.
- إبراز القدوات الحسنة في المجتمع.
- تنمية الإرادة والطموح نحو المعالي.

(د) الجانب الاجتماعي والسياسي:

يرتبط الجانب الاجتماعي في الشخصية المسلمة بالجانب الخلقي فيها؛ لما بينهما من صلة وثيقة؛ إذ إن كلا منهما يؤدي إلى طمأنينة الفرد وضمان حقوقه، كما يؤدي إلى استقرار المجتمع وتكافله، والإسلام بشموليته واتساع قاعدته لم يغفل الجانب الاجتماعي، فوضع التشريعات لجميع مناحي الحياة دون تفريط أو إفراط، فقد شرع لنظام الحكم والسياسة والاقتصاد وللأسرة والنظام الاجتماعي العام. كما أطّر لقيم العمل والإنتاج في ظل علاقات إنسانية؛ بحيث يصبح العائد محققا لخير المجموع، فلا يكون وسيلة للاستغلال أو حكرا على فئة بعينها، مستهدفا بناء كيان اجتماعي متكافل، تتحقق فيه الرفاهية على أعلى مستوى بضوابطها التي لا تركن إلى الإسراف، ولا تنجرف نحو التقتير(عطار، ١٩٧١ ، ص ص ٣٣-٣٤).

وفي الناحية الاجتماعية بنى الإسلام العلاقات فيها على أصول تعجز أمامها التشريعات الوضعية، وشرع للأسرة كل ما تحتاجه من زواج أو طلاق، أو ميراث أو قوامة، أو نسبة الأطفال أو تربية النشء، أو الملكية أو المساواة بين الجنسين، وغير ذلك من قضايا وأحكام؛ حيث نظر إلى الطبيعة البشرية في حالتها الاجتماعية دون إغفال أو نسيان (عطار، ١٩٧١ ، ص ٣٤).

وهدف التربية الاجتماعية كفرع من أهداف التربية الإسلامية يشتمل إجرائيا على الآتي: (القرني ، ٢٠١٧ ، ص ٤٩٤)

- الوعي بوحدة الأمة الإسلامية.
- إشاعة القيم الاجتماعية الإسلامية.
- الوعي بالتآلف الإنساني وتقبل الآخر.
- الشعور بمشاعر المسلمين في أي مكان وزمان.
- اتباع اللوائح والأنظمة المنظمة للحياة الاجتماعية.
- تكوين روح الجهاد والكفاح.
- إقامة علاقات اجتماعية منضبطة.

وفي ظل التصور الإسلامي للمجتمع فإن الناحية السياسية في الدولة تتركز سلطتها في الحكومة المسلمة، التي افترض القرآن فيها أن تقضي على الشرك، وتمكّن للإسلام، وتقيم الصلاة، وتجمع الزكاة، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتتخلق بأخلاق هذا الدين وتتمسك بمبادئه، وتنفذ أحكامه وتسوس أمور الناس في حدود ما أنزل الله ، بالإضافة إلى

رسم الإطار العام للسياسة الداخلية والخارجية للبلاد، وتحديد العلاقات بين الدول بعضها بعضا سواء كانت مثلها أو مخالفة لها في الدين، وذلك كله ضمن حدود الشرع (عطار، ١٩٧١ ، ص ص ٥٦-٥٧).

(هـ) الجانب الاقتصادي:

عُنِي الإسلام بالناحية الاقتصادية، فوضع نظاما دقيقا وشاملا لاكتساب الأموال وتصريفها فيما ينفع الناس، وهذا ما يمكن تفسيره في تربية النفس البشرية على القناعة، والرضا بما قسم الله، وحب الخير للناس أجمعين، واحترام حقوق الآخرين وملكياتهم الخاصة، فضلا عن احترام الملكية العامة وحرمة المال العام، وترويض النفس على البذل والعطاء بدلا من الحرص والشُّحّ ، وأهم من ذلك كله عدم الدعة والكسل، بل العمل والإنتاج لعمارة الدنيا(عطار، ١٩٧١ ، ص ٥٧).

والتربية الإسلامية لم تكن كلها دينية وخلقية وروحية، ولكن بها جانب نفعي قد اعتنت به، على الرغم من أن أساسها لم يكن ماديا، بل كانت المادة وكسب الرزق أمرا عرضيا في الحياة، ولم يقصد الكسب لذاته بل كان أمرا ثانويا في التعليم (الإبراشي ، د.ت، ص ص ٢٣-٢٤).

ويشتمل هدف التربية الاقتصادية كفرع من أهداف التربية الإسلامية بالمجتمع المسلم على عناصر إجرائية، تعبر بعمق على وجوده منها: (القرني ، ٢٠١٧ ، ص ٤٩٦)

- التربية على الالتزام بالعهود والمواثيق.
- احترام العمل والعمال.
- التدريب على القيام بالواجبات المهنية.
- إتقان العمل والمثابرة من أجل جودة العمل.

(و) الجانب العقلي:

يعد العقل البشري من أكبر الطاقات المُدرِكة والمُميِّزة للأشياء، والمُوجِّهة لمعرفة الحق والباطل والقادرة على استنباط الفوائد؛ إذ إن الإنسان قد خُلق مزودا بالأدوات المعرفية التي تساعده على الكشف عما غمض عليه، ولقد وضع الإسلام أسسا تقوم عليها التربية العقلية، من أهمها: تحرير العقل من سائر القيود والأغلال، إلا الضوابط المنطقية وما كان خارج حدود إدراكه، وإثارة الحواس والوجدان؛ لأنها أبواب التفكر والتأمل، والتزود من العلوم المختلفة التي تربي العقل، وترفع من مستوى وعيه (عطار ، ١٩٧١ ، ص ١٩).

ويبدأ الإسلام التربية العقلية بتحديد مجال النظر العقلي، فيصون الطاقة العقلية أن تتبدد وراء الغيبيات التي لا سبيل للعقل البشري أن يحكم فيها، ثم يبدأ بعد ذلك في تدريب الطاقة العقلية على طريق الاستدلال المثمر والتعرف على الحقيقة، فيتخذ إلى ذلك وسيلتين: الأولى- وضع المنهج الصحيح للنظر العقلي، والتي يمكن الوصول إليها بطائفة من التوجيهات والتدريبات التربوية، والثانية- تدبر نواميس الكون وتأمل ما فيها من دقة وارتباط، وكيف أنها تجري في دقة عجيبة، وتأمل حكمة الله والتدبر في مقاصد تشريعه (النوري ، ١٩٩١ ، ص ص ٢٠١-٢٠٢).

وتهدف التربية الإسلامية إلى تنمية قدرة الفرد على التأمل والتفكير بالنظر في الكون، وتدبره وتأمل النفس واستبطانها(السيد ، ١٩٩٩ ، ص ٢١) ، وقد دعانا القرآن الكريم إلى التأمل في الكون لبناء أي مشروع حضاري، لا التأمل في المُكَوِّن إلا بالقدْر الذي يكون له تأثير عملي على صعيد الواقع (زهري ، ٢٠١٧ ، ص ٨١).

كما يوجه الإسلام الطاقة العقلية لضمان سير الأمور في المجتمع على منهج صحيح، وأنه لا بد للمجتمع من سياسة في مضمونها تحمل المسؤولية، وهذا التكامل في المجتمع والرقابة على سير الأمور فيه يقتضيان وعيا كافيا، ويستلزمان عقولا ناضجة، ولا بد من توجيه الطاقة العقلية للعمل في هذا الميدان؛ فهذا هو الضمان لحسن سير الأمور، فضلا عن أنه يوجه إلى النظر في سنن الله في الأرض، وأحوال الأمم والشعوب على مدار التاريخ؛ لأخذ العبرة واكتساب الخبرة (النوري ، ١٩٩١ ، ص ٢٠٢).

العلاقة الدائمة بين العبد والرب في الإسلام هي علاقة المودة والحب، والتطلع إلى الأفضل والرجاء، والعلاقة بين العقل والروح قائمة أبدا لا تنفصم في منهج الإسلام؛ ومن ثم لا يضل العقل – وهو يتعلم – ولا ينحرف عن طريق الخير، ولا يستخدم معلوماته في سبيل الشر، والعلاقة بين الروح والمادة قائمة فلا يستعبد الإنسان المادة، ولا يقع فريسة للآلة تستعبده وتسيطر عليه، إنه حافظ لكيانه المتكامل مستمد قوته من اليقين بالله؛ ومن ثم يظل هو المسيطر على المادة، وهو العنصر الإيجابي الفعّال في الحياة، وتلك طريقة الإسلام في تربية العقل (النوري ، ١٩٩١ ، ص ٢٠٣).

ويتضمن هدف التربية العقلية في المجتمع المسلم وحدات إجرائية، تدل بقوة على توفره، منها ما يلي: (القرني ، ٢٠١٧ ، ص ٤٩٥)

- تنمية القدرات العقلية الإنسانية.
- تعلم العلم والإبداع والابتكار.

- حل المشكلات الفردية والجماعية.
- الحكمة في التعامل مع المواقف.
- الاستفادة من الحضارات الإنسانية فيما لا يتعارض مع الدين الإسلامي.

(ز) الجانب العلمي والمهني:

حث الإسلام على البناء العلمي؛ لما للعلم وطلبه من أهمية، فهو أفضل ما يسعى إليه الإنسان ، وإنه لجدير بكل مسلم أن يأخذ حظه من العلم الذي يقربه إلى الله –تعالى– ، وأنه لا بأس أن يشتغل الإنسان بالعلوم العامة النافعة للأمة، ولكن لا ينسى حظه من علم الفقه في الدين (الحازمي ، ٢٠٠٠، ص ٧٩) ؛ ولكي تصبح العملية التربوية مثمرة في هذا الجانب لا بد وأن تتضمن: (الحازمي ، ٢٠٠٠، ص ٨٥)

- إزالة الانحرافات العقدية والتعبدية والسلوكية والإدراكات والتصورات الخطأ.
- غرس العقيدة والعبادات والآداب الإسلامية وكل ما ينفع الإنسان.
- المحافظة على تلك الجوانب الصحيحة من الانحراف.
- تنمية جميع جوانب الشخصية نحو صلاحها.

والتربية الإسلامية مثالية في طلب العلم لذاته، ولما فيه من لذة روحية للوصول إلى الحقائق العلمية والأخلاق النبيلة، وليس من أجل تحصيل الرزق في الحياة الدنيا، دون إهمال لمسألة الرزق والسعي في طلبه ، وقد كان من رأي الفارابي وبعض الفلاسفة المسلمين أن الكمال الإنساني لا يتحقق إلا بالتوفيق بين الدين والعلم ، وأكدت العملية التربوية في ظل الإسلام على أهمية غرض التعليم المهني والفني والصناعي لكسب الرزق ، وهذا الغرض يعضِّد فكرة عدم إهمال طلب الرزق والسعي له (الإبراشي ، د.ت، ص ٢٤).

لقد تناول الإسلام الشؤون الدنيوية لمنسوبيه، ومنها البناء المهني لهم، كما تناول الشؤون الأخروية؛ إذ حددت الشريعة الغراء المهن والأعمال الحلال ونقيضها، ونظمت العلاقات بين أرباب المهن وبين العاملين تنظيما يكفل لهما علاقة أخلاقية تبادلية كريمة ، وأضفت إلى ذلك أخلاقيات تجعل الفرد المؤمن يعمل في مهنته، وهو يشعر بمسؤوليته تجاه ربه عن حقوق العمل الذي يمتهنه أو يقوم به (الحازمي، ٢٠٠٠، ص١٧١).

ويقع على كاهل التربية الإسلامية أن تبرز جانب البناء المهني، وتبيّنه للناس وتؤكده وفق الشريعة ، وتبرز أهمية العمل وفضله في ظلها، ومن تلك الأهمية: (الحازمي ، ٢٠٠٠ ، ص ص ١٧٤–١٧٦)

- ثناء الشريعة على العمل باليد، أي الجهد الذاتي واحتراف مهنة: حيث أثنى رسول الله ﷺ على المتكسبين بأيديهم، فقال: " ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده " (صحيح البخاري).
- اليد العليا خير من اليد السفلى: فالفضل والمجد ونيل الثواب للمنفِق أو المتعفِّف ، والإنفاق والتعفف في ظل التربية الإسلامية يرتبط بممارسة مهنة من المهن المشروعة، ولا يتأتى ذلك لعاطل عن العمل.
- الاشتغال بالأمر المباح عن البطالة: وهذا البند يرتبط بما قبله، فمن فضل العمل باليد أن يشتغل الإنسان بالأمر المباح عن البطالة واللهو، والتعفف عن ذلة السؤال والحاجة للغير الذي ربما يعطيه أو يمنعه.
- فضل النفقة على العيال: يأتي فضل العمل من باب فضل النفقة على النفس وعلى العيال ، وإثم من ضيّع من يعول أو حبس نفقتهم عنهم ، أو ألقى بنفسه إلى التهلكة، أو فرط في مقاصد الشريعة وهي التي تعرف بالضرورات الخمس، وهي: (الدين– المال– النفس – العرض– العقل).

وعليه، فإن ذلك كله يؤكد أهمية العمل بصفة عامة، والعمل المهني والفني بصفة خاصة، والتربية على ذلك لسد حاجة الأمة والمجتمع الإنساني ومطالبه المتعددة من أجل التنمية، فتكون الأمة المسلمة رائدة في هداية الأمم وفي سائر الجوانب الأخرى؛ فتغتني بنفسها عن غيرها ولا تفتقر إلا إلى ربها، ويغدو ذلك قوة في اقتصادها؛ لأن دائرة العمل في ضوء التربية الإسلامية تتسع لكل علم وعمل نافع للأمة، حتى العلوم العصرية وأعمالها والمخترعات النافعة للناس في أمور دينهم ودنياهم تقع تحت مظلة الإسلام وفي حدود دائرته (الحازمي ، ٢٠٠٠ ، ص ١٧٨).

فلم يكن أُفُق الإسلام ضيقا في النظر إلى أغراض التربية، فلم يقتصر على التربية الدينية أو التربية الدنيوية فقط، بل اعتنى بكل منهما وجمع بينهما دون طغيان لأحدهما على الآخر(الإبراشي ، د.ت، ص ٢٣).

من أجل ذلك تهدف التربية الإسلامية إلى تقويم سلوك الإنسان في شؤون دينه ودنياه ، وتركز على جانبي العلم والعمل، وتحث على الجد والعمل وتحفز على النشاط والمثابرة ، وتتدرج مع قدرة الإنسان في مناهجها ، وترسم له طرق المحافظة على سلامته الجسمية وصحته العقلية، مبيّنة له طريق السعادة والاطمئنان ، وزوَّدَته بنظام كامل لمجالات حياته في حالتي الشدة والرخاء ، ونظَّمت له مواقف الحياة المختلفة (البقمي ، ٢٠٢١ ، ص ٣٠٠).

(ح) الجانب الجهادي:

تتعلق الأهداف الجهادية في التربية الإسلامية بالأساليب والمقاصد من إعداد وتزويد المسلم بالمعارف ذات الارتباط بالوسائل الجهادية والحربية المتقدمة؛ لإقامة حضارة فريدة ، وتربيته على العزة والكرامة والثبات والبذل، والتضحية والعطاء ليس من أجل الدنيا وإنما ابتغاء رضوان الله، وطمعا في جنته وما فيها من نعيم خالد. وفي الإعداد التربوي لتنمية تلك الاتجاهات الجهادية ينبغي أن تُعطى للنشء على جرعات متتالية، وبمقادير مناسبة حسب الأعمار الزمنية والعقلية ومراحل النمو والمدارك الحسية، والميول والاستعدادات والحاجات والقدرات، وأن يكون ذلك بأساليب حديثة مبتكَرة تُشجّع النشء على التقبُّل والتدريب والانخراط (عطار، ١٩٧١ ، ص ٣٦).

(ط) الجانب الصحي والجسمي:

اهتم الإسلام بالجانب الجسمي الذي يتعلق بجسد الإنسان، كما اهتم بتربية الروح والعقل؛ لأنهم ثلاث طاقات حيوية لا تكتمل الشخصية السوية إلا إذا ترابطت فيما بينها، وتمازجت مع بعضها وتربى الإنسان في جميعها، فأكد على نشاط البدن وحيويته ووقايته من الأمراض قدر الإمكان، وإباحة الأفعال وتوجيه الطاقات الجسدية وإشباعها وفق قواعد منضبطة لا تؤدي به إلى الهاوية، كما أكد على قوة الأخذ بنصيب الإنسان من الحياة والاستمتاع به، فالجسد الهزيل المريض لا يأخذ نصيبه الحق من المتاع، فوق أنه لا يوصل معنى الحياة إلى النفس توصيلا صحيحا، تقوم عن طريقه بمهمتها المفروضة عليها(عطار، ١٩٧١ ، ص ص ٢٨-٣٠).

ويراعي الإسلام في تربيته للجسم والطاقة الحيوية أمرين معًا: الأول- مراعاة الجسم من حيث تكوينه ليصل منه إلى الغاية النفسية المرتبطة به، فقد أوضح الإسلام أن للبدن حقا من طعام وراحة وتنظيف وتقويم، فهو يدعو إلى العناية الشاملة بالجسم كله؛ ليأخذ الإنسان بنصيب من المتاع الحسي الطيب الحلال الذي أمر الله به في توجيهاته الكثيرة، والأمر الثاني- مراعاة الطاقة الحيوية اللازمة وتوفيرها لتحقيق أهداف الحياة، وهي أهداف تشمل كل كيان الإنسان، وتوجيهات الإسلام في هذا المجال كبيرة، فالرياضة البدنية من رماية وفروسية يقصد بها تقوية الجسم ورياضته على احتمال المشاق وبذل الجهد، والإسلام صريح غاية الصراحة في معالجة الأمور الجسدية في الغسل والوضوء، كما هو صريح في معالجة الأمور الجنسية (النوري ، ١٩٩١ ، ص ١٩٨).

ويحرص الإسلام على المظاهر الجسمية والنفسية في مجال الجنس؛ إنه يجب أن يكون الرجل واضح الرجولة، والأنثى واضحة الأنوثة؛ فيكره التخنث والميوعة، ويكره المتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال؛ لأنه يحترم الطاقة الجنسية على فطرتها السليمة، ولا يترك الإسلام الطاقة الجسمية على حالها، ولا يطلق العنان لها، ولكن ينظمها ويضبط منصرفاتها؛ لأنها هكذا طبيعتها إذا تركت وشأنها لا تقف عند حدّ، وتدمر الكيان كله (النوري ، ١٩٩١ ، ص ١٩٨).

ومن الناحية الترفيهية يمكن القول إن الإسلام قد نأى بالنفس البشرية عن التبذل والانحطاط في الشهوات الحيوانية، ووضع ضوابط لما أباحه من اللهو البريء والرياضة الهادفة من خلال الترويح عن القلوب والنفوس، بما لا يتنافى مع جوهر الدين (عطار، ١٩٧١ ، ص ٥٨).

إن المتفطن لما سبق يعلم أن بساط البناء الجسمي يتسع في ظل التربية الإسلامية ليشمل التربية الرياضية، والجانب العلاجي، والجانب الوقائي للبدن من كل ما يلحق به ضررا، كما يقوم بدوره على أكمل وجه ممكن، ويمكن صوغ أهداف التربية الجسمية في ظل الإسلام فيما يلي: (الحازمي ، ٢٠٠٠ ، ص ص١٩٦-٢٠٥)

- أداء الواجبات والتكاليف: فالاحتياج إلى صحة البدن أمر ضروري للتَّقَوّي على أداء العبادة وعمارة الكون والعمل المشروع، وليس لانتهاك محارم الله؛ لأن تربية الجسم وسيلة لغاية وتحسن الوسائل إذا كانت مشروعة بحُسن الهدف المشروع.
- مقاومة الأمراض: فالجسم الضعيف يكون أكثر عُرضة للأمراض التي تفتِك به، وتفسد صحته؛ فتثبط هِمّته وتخور قواه.
- الحيوية والنشاط عند أداء العمل: فكلما كان الجسم قويا نشيطا؛ كان أكثر قابلية للتعلم وقدرة على العمل، لا سيما إذا وافق ذلك همة عالية تدفعه إلى ذلك.
- تحقيق الصحة النفسية: لما لنشاط الجسم وحيويته من مردود، وأثر بالغ على نفسية صاحبه فيشعر الإنسان بالراحة النفسية، ورشاقة الجسم، واعتدال القوام لها انعكاس طيب على نفسية الشخص أو اعتدال مزاجه واجتماعياته، وكم من الأمراض النفسية التي صاحبت الأمراض العضوية.
- سعادة الإنسان بالصحة والعافية: إن سلامة الجسم وصحته تُزيد من سعادة الإنسان، والمرض يجلب الهم والحزن، ويبدد السعادة ويعكر صفو الحياة؛ لذا كان رسول الله ﷺ يسأل ربه العفو والعافية في البدن والسمع، والبصر والعفو والعافية في الدين والدنيا

والآخرة، ويستعيذ من زوال النعمة وتحول العافية وفجاءة النقمة وجميع السخط. وللتربية البدنية في ضوء منهج الإسلام ضوابط، من أهمها: أن تكون الوسائل مباحة في ذاتها، وألا تُفضِي إلى محرَّم أو تجُرّ إلى مكروه، وألا يخالطها شيء محرَّم أو مكروه ، وأن تكون التربية الجسمية في حد ذاتها وسيلة وليست غاية.

ويتحقق هدف التربية الصحية ويستدل عليه في المجتمع المسلم من خلال تدابير إجرائية، منها: (القرني ، ٢٠١٧ ، ص ٤٩٦)

- الوقاية من الأمراض الجسمية والنفسية.
- الغذاء الصحي المناسب.
- معرفة مبادئ الصحة العامة.
- توجيه استخدام الصحة في مرضاة الله ﷻ ورسوله ﷺ.

لقد عُنِيت التربية الإسلامية بالدين والدنيا معًا، والأغراض الدينية من التربية الإسلامية ذات أهمية فائقة في بناء شخصية الفرد، باعتباره عضوا نافعا في المجتمع. أما الأغراض الدنيوية فتكمن في الإعداد للحياة، والانخراط فيها بالتركيز أيضا على الغرض العلمي النفعي والاقتصادي والصحي والاجتماعي؛ وبذلك يتضح لنا أن التربية الإسلامية تهتم بالحياة الدنيا والآخرة معا، وتسهم بقدر كبير في تنمية الإيمان وتقوية مواهب الإنسان؛ مما يؤدي إلى تكوين المسلم الصالح كُلِيَّةً (السيد ، ١٩٩٩ ، ص ٢١).

واهتم الإسلام ببناء جميع جوانب الإنسان: روحا وعقلا وخلقا وجسما، واهتم به كفرد له حقوقه ومشاعره، وحاجاته وقدراته الخاصة ، كما اهتم به كعضو في جماعة المسلمين، فوجّهه في كل جانب من تلك الجوانب الإنسانية بما يجلب له سعادة الداريْن (الحازمي ، ٢٠٠٠ ، ص ١٩٣).

المحور الخامس– ملامح اليوتوبيا الواقعية للنسق المجتمعي في ضوء أهداف التربية الإسلامية.

ثمة علاقة وثيقة بين اليوتوبيا الواقعية وأهدف التربية الإسلامية داخل المجتمع المسلم؛ حيث إن أهداف التربية الإسلامية دائما ما تسعى إلى إخراج الإنسان الخيِّر والأمة الخَيِّرة، وإبراز جانب الخَيْر في العلاقات الاجتماعية؛ كي تطفو تلك الصفة على الساحة المجتمعية، ويشعر الجميع بمردودها ويستشعرُ أهميتها؛ فينعكس ذلك على مناحي الحياة برمتها، ويغدو

الفرد والجماعة في حالة من التآزر والتعاون، كلٌّ في ضوء ما أتيح له حسب تخصصه ومهاراته وقدراته.

ويعرض المحور الحالي ملامح اليوتوبيا الواقعية للنسق المجتمعي في ضوء أهداف التربية الإسلامية ، مستندا فيها إلى ما تم التوصل إليه بعد التحليل والنقد ، وفي ظل ما تم عرضه من أساس نظري حول اليوتوبيا في المنظورات العلمية من ناحية ، وخصائص النسق المجتمعي في التصور الإسلامي من ناحية أخرى.

لقد استهدف القرآن الكريم نظاما اجتماعيا مؤسَّسًا على مبادئ الوحدة والمساواة ، والإخاء والتعاون والمشاورة التي هي جوهر الديمقراطية الصحيحة، ويشجب الديكتاتورية كما أنه يشجب الغوغائية، ويثبت النظام العائلي على أسس قويمة، ويعترف بالملكية العامة والملكية الخاصة، ويعتبر في الملكية الخاصة حقا عاما، ويوصي باحترام العهود والوفاء بالعقود، ويدعو إلى استعمال العقل والحرية الفكرية، والتطور في مجالات الحياة مع تأكيد المسؤولية الاجتماعية (الجمالي ، ١٩٦٦ ، ص ١٨).

والمجتمع الإسلامي مجتمع متراصّ البنيان، معتدل في نزعته التقدُّميّة يقاوم الرَّجْعِية من جهة، ويعارض التطرف وحرب الطبقات بين الناس من جهة أخرى، وهو مجتمع يتضمن كل المبادئ الاجتماعية الإنسانية الراقية، التي جاءت بها عقول الفلاسفة والمفكرين بلا إفراط أو تفريط، ويسمو عليها كلها في شموليته وتساميه إلى معرفة الخالق ﷻ (الجمالي ، ١٩٦٦ ، ص ص ١٨-١٩).

وإذا اجتهد أفراد المجتمع الإسلامي وبذلوا قصارى جهدهم في تحقيق العبودية لله وحده بعيدا عن الأهواء والميول؛ فإن الطاقات البشرية تتجه جميعها في خطوط متوازنة لتحقيق المقصد الأسمى، وهو مرضاة الله ﷻ للفوز في الدارين ، فلا تتعارض الجهود ولا تتصارع القوى ، وتصير روح الجميع وقواهم متجهة إلى هدف واحد، ولو تعددت السبل المشروعة لتحقيقه، ولا يكون التمايز إلا بالتقوى وحسن العطاء مع كمال الأداء؛ ساعتها تعمّ الفضيلة المجتمع وتغمره السعادة، وتطمئن النفوس ويتم الاستقرار في جميع جوانب الحياة العامة والخاصة.

ولقد ورد في بعض تفسير قول الله – تعالى– : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (النحل:٩٠). أنها تعبر عن جوامع الكلم التي اختصت ببناء المجتمع على ركائز

قوية، فلم تترك خيرا إلا دعت له، ولا شرا إلا نهت عنه، وقد جاء الإسلام ليكون عدلا بين كل الديانات التي سبقته (الشريف ومصطفى ،٢٠٢٠ ، ص٨٣).

وعمل الإسلام على إقامة المجتمع الفاضل في كل الأرض؛ لأنه دين عام يخاطب الإنسانية كلها ، وكان من ذلك محاربته للأوهام، ومحاربته للأخيلة الفاسدة التي تضع حجرا وتتخيل أنه إله يُعبد، أو حلَّ فيه إله يُعبَد ، كما كانت دعوته إلى الوحدة الإنسانية العامة من الوسائل لإيجاد مجتمع فاضل ، ومن الوحدة الإنسانية كانت دعوته العامة التي برزت في شريعته العادلة ؛ بَيْد أنه لا بد من تربية للنفوس وتربية للجماعات؛ ليتكوَّن من ذلك الاجتماع الإنساني، مجتمع متآلف متحابّ، غير متنافر أو متباغض ، والتربية الروحية في الإسلام تقوم على تربية الضمير؛ ليكون صاحبه مؤتلفا مع الجماعة ملتقيا معها، يُؤْثِرها على نفسه فيحب الخير للناس جميعا (أبو زهرة ، ١٩٨١ ، ص ص ١٢٢-١٢٣).

إن المجتمع الفاضل في الإسلام لا بد له من أمرين: أحدهما لتربية الضمير وهو العبادات، والثاني لحماية المجتمع من الانحراف وهو الرأي العام الفاضل، أما عن العبادات فقد جاءت جُلّها لتربية الضمير الإنساني؛ ليأتلف المؤمن مع غيره ويرتبط ارتباطا روحيا؛ فما كانت العبادات لحاجة الله ﷻ إليها، ولا لمجرد التقرب إليه -سبحانه- فقط؛ حتى يكون ذات التقرب ولو بظاهر من القول غرضا مقصودا ؛ إنما كانت العبادات لمقاصد، منها تربية الضمير الديني اللوام عند مقارفة معصية أو مقاربتها، وللإحساس بالاطمئنان إذا كان متذكرا ربه كما قال - تعالى-: ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ** ﴿٢٨﴾ ﴾ (الرعد: ٢٨) (أبو زهرة ، ١٩٨١ ، ص ص ١٢٣-١٢٤).

والمطالع للأخبار والمتابع للأحداث على كافة المستويات والأصعدة يرى ويجد أن أسلحة الدمار الشامل قد دمّرت أفكار بعض الناس قبل استخدامها ضدّ من يُعادِيهم؛ ظنا منهم أن القوة كامنة فيها، ووسائل السيطرة لا تنفك عنها، وصوت الحرب لا يكون إلا بها ؛ فتسابق الجميع لاقتنائها، وذهبوا خاضعين لصُنَّاعها؛ مما أدى إلى فساد الرأي العالمي، الذي على إثره ربما يفسد العالم كله جراء حرب بيولوجية؛ لأن الرأي العام قد سيطر عليه كبراء يتحدثون بألسن الوحوش في الغابة، ويمضغون كُلْيَة الإنسانية مَضْغًا ؛ ولو فكّر الجميع بنفس المنطق؛ لفسدت الأرض وهلك مَن فيها جميعًا.

إن المذابح البشرية تدور والجميع ينظر إليها نظرة الفَرِح المستبشِر أو الخائف المستيئس ، وتنفق الملايين كل يوم من غير جدوى إلا أن يقال نجحت سياسة تلك الدولة أو هزمت تلك الأمة الضعيفة ، فهل رأيتم قادة الفكر من حملة الأقلام، أو من ذوي الألسن، أو

من الفلاسفة والحكماء في تلك البلاد قد تحركوا لذلك الخطر الداهم، الذي لا يُبقِي ولا يذر إن سار إلى غايته وانتهى إلى نهايته؟ هل رأيتم رجال الدين في تلك الدول أخذوا يبيّنون لمن يقصدونها بغيَّة ذلك على الناس ، وأن الدين يدعو إلى السلم إلا أن يكون اعتداء بالفعل أو استعدادا للاعتداء ، إننا نجد أحيانا أصواتا خافتة تدعو إلى السلام ولا يلتفت إليها، ولا تلبث أن تذهب في وسط عجيج الأسلحة ولهيب النار (أبو زهرة ، ١٩٨١ ، ص ص ١٤٢-١٤٣).

والحل في منهج عالمي قوي ماديا ومعنويا، يدعو إلى الرحمة، ويملك في ذات الوقت زمام القوة التي تحميه وتعينه على إنفاذ الحق وإنقاذه ، ويتوفر فيه دستور أخلاقي عالمي، وجهاز تشريعي لأمم وشعوب الأرض كلها ودُوَلِها المهيكلة، واضعا في اعتباره خصوصيات الثقافات المحلية، ومؤيدا لإسهاماتها في بناء الحضارة العالمية، ومؤكدا على الإنتاج الفكري والعلمي دون تمييز ؛ وأنَّى يُتصوَّر هذا المنهج إلا في ظل الإسلام؟

لقد ثبت في النهاية أن إمكانية وضع حل نهائي من البشر بعيدا عن منهج الإسلام وتصوراته عن الإنسان، والكون والحياة هو وهْم ، والوهم في غاية الخطورة إذا ما اعتقد المرء فعلا بإمكانية حل كهذا ، ومن المؤكَّد أن أي ثمن يكون باهظا جدا للحصول عليه ، فالملايين من البشر قتلت في الإبادات الجماعية والحروب ، وكافة أساليب العنف التي سوف تذكر الأجيال بمآسي القرن العشرين وما بعده ستنال النخب العلمية نصيبا من عارها (العبودي ، ٢٠١١ ، ص ١٤٢).

وعلى خلاف ذلك ؛ تجد الشريعة الغراء تدور أحكامها حول حماية خمسة مقاصد، أو كما يطلق عليها عند الفقهاء الضرورات الخمس وهي: حفظ الدين، والنفس، والمال، والعرض، والعقل. ومما يدل على ذلك بقوة الوصايا العشر التي أوصانا بها رب العزة في سورة الأنعام، حيث يقول – تعالى– : ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ

لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ (الأنعام:١٥١-١٥٣). وهذه الوصايا العشر هي: (الجمالي ، ١٩٦٦ ، ص ٢٥)

- ألا تشركوا به شيئا.
- وبالوالدين إحسانا.
- ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم.
- ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.
- ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق.
- ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده.
- وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها.
- وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى.
- وبعهد الله أوفوا.
- وأخيرا وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل.

إن بناء المجتمع الفاضل قَدَرُ الإنسان ومهمته، ومقصدٌ أُهِّل إليه بالأمانة التي تحمَّلها قال – تعالى– : ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ ﴾ (الأحزاب : ٧٢) ، وقال – تعالى – : ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ (الإنسان : ٢-٣) ، ولقد حدد القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة خيرية المجتمع المسلم وأفضليته في مميزات وخصائص، منها أنه: (أحمد ، ٢٠١٦ ، ص ص ٣٦٠-٣٦٣)

- مجتمعُ القيم الأخلاقية الفاضلة التي تضبط السلوك، وتمنع الاضطرابات والانحرافات ، فقد بُعِث رسول الله ﷺ ليتمم صالح الأخلاق".
- مجتمعُ العلم والمعرفة؛ إذ بهما تُبْنَى الحضارة، وتنهض الأمم والمجتمعات؛ مما ييسّر الحياة ويزيد التقوى والتديُّن ، قال – تعالى– : ﴿.. إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ﴿٢٨﴾ ﴾ (فاطر : ٢٨)
- مجتمعٌ يكرّس أفراده حياتهم للعبودية الخالصة لله في كل أعمالهم، قال – تعالى– : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الذاريات : ٥٦).

- مجتمعٌ عملي يؤدي العمل بإتقان للتميز في مهمّة الاستخلاف وإصلاح الأرض.
- مجتمعٌ يرسِّخ مبدأ الشورى في جميع المستويات، انطلاقا من أن بناء الحضارة وتطوير المجتمعات يتطلب قيام الدولة، ومشاركة الجميع بالرأي في القيادة الحكيمة والتنظيم ، قال الله –تعالى– : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الشورى : ٣٨).
- مجتمعُ اعتدال ووسطيّة في أمور الدين والدنيا يقول الله – تعالى– : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (القصص : ٧٧).
- مجتمعٌ اختصه الله بالمحبة والتوادّ ، وإباء الظلم بين أفراده ومجتمعاتهم، قال – تعالى– : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الأنفال : ٢٥).
- مجتمع التربية؛ حيث تُكسِبه التربية الصالحة التي يتمتع بها كل تلك الخصائص ، والتربية هي التي تعدّل وتكيّف سلوك الأفراد؛ حتى يتوافقوا مع المجتمع، والتربية أداة الضبط الاجتماعي الذي يرمي إلى مجتمع مستقِرّ بغرس القيم الفاضلة عن طريق التعليم في مؤسسات التربية المتنوعة والمستمرة، قال –تعالى– : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ (طه : ١١٤).

على ضوء تلك الخصائص التي توضح الرؤية والتصور الإسلامي للمجتمع الفاضل ؛ يمكن بلورة بعض اتجاهات تأصيله على النحو الآتي: (أحمد ، ٢٠١٦ ، ص ص ٣٦٣-٣٦٦)

- المجتمع المسلم مجتمع يطبَّق فيه الإسلام عقيدةً وعبادة، وخلقا وسلوكا، وشريعة ونظاما.
- التوحيد والإيمان ركيزة أساسية للمجتمع المسلم ، تحافظ جميع مؤسساته على عقيدته التي تُبقيه قويا متماسكا، والتفريط فيها يعرضه للوهن والضعف والهزيمة.

- المجتمع وفق الرؤية الإسلامية مجتمع مثالي، ينبغي أن تسعى الإنسانية جمعاء لتحقيقه؛ لتجد فيه مطالبها وحاجاتها الرُّوحية والمادية كافة؛ لأنه يجمع في مثاليته بين مطالب الدنيا والآخرة ومطالب الجسم والعقل والروح، ومطالب الفرد والجماعة.
- تكوين المجتمع الفاضل من مقاصد الإسلام والشريعة للمحافظة على الكرامة الإنسانية، والعدالة والمساواة، والتعاون والرحمة بالإنسانية، وتحقيق مصالحها ودفع الحروب والفساد والأمراض والآفات منها ؛ مما يؤدي إلى بناء حياة اجتماعية، تتوفر فيها المقومات الأساسية، وتُحقَّق فيها السعادة للجميع.
- للعمل في المجتمع المسلم قيمة عالية، وهو مصدر لكسب الحقوق وبلوغ الدرجات العليا للأفراد ، وللمال فيه وظيفة اجتماعية، وهو في أيدي المؤمنين مال الله يجب توخِّي الحلال فيه كسبا وصرفا.
- جميع مؤسسات ومنظمات المجتمع المسلم تعمل من أجل التمسك بذاتيته الإسلامية المستقلة وبثقافته ، والعمل من أجل الوحدة والتماسك، والتضامن والتعاون والتكامل بين المسلمين مع الانفتاح على الآخرين، وتبادل المنافع والمصالح معهم، والعيش في سلام مع الجميع.
- عقل الإنسان في المجتمع المسلم متحرر من البِدَع والخُرافات والتقليد الأعمى ، ويتربى ضميره وتستقر نفسيته بالتعرض للمثل العليا والأخلاق، وإشباع نفسه منها وتوجيهه نحو الخير والإحسان والعدالة والأمن.
- الشريعة الإسلامية التي تحكم المجتمع المسلم مرنة ومتطورة، تقبل التجدُّد حسب مقتضيات العصر وحاجاته، ومقتضيات البيئات وتطوُّر المجتمعات ؛ وعلى ذلك يواجه المجتمع المسلم التحديات المعاصرة بعقلية متفتحة، تزن الأمور والموضوعات بدقة في ميزان الرؤية الإسلامية، وتختل الأمور باختلال هذا الميزان الدقيق.
- في المجتمع المسلم أبواب الاجتهاد والقياس والإجماع والعُرف، والمصالح المرسلة مشروعة لحسم جميع القضايا المستجدَّة ما لم تكن مخالفة لأصول الشريعة.
- العلم عامل أساسي في تقدم المجتمع المسلم وقوته ورفاهيته المادية والمعنوية، ويستخدم في دراسة المشكلات والوصول إلى حلول ناجحة لها بعون الله ، قال – تعالى– : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ (فصلت : ٥٣).
- التغيير الاجتماعي في الرؤية الإسلامية يحدث من داخل الإنسان، ويعينه الله – تعالى– على الاختيار بإرادته الحرة، قال –تعالى– : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ

حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ (الرعد : ١١) ، وحتى يكون التغيير إيجابيا مرغوبا فيه لا بد أن يكون في إطار العقيدة والدين والأخلاق، يسبقه تخطيط ويصحبه توجيه، ويواكب التطور المستمر في الحياة.

- المجتمع المسلم ذو طابع متحرك، من شأنه المثابرة نحو خلق مجتمع عالمي، ينظم حياة الجميع؛ فينتظمون بقانون دائم الصلاحية، لا يعرف حدودا في الزمان أو المكان، إنه قانون دولي عام.
- الأسرة الوحدة الأُولى في المجتمع المسلم، يهتم بها ويقِيمها على أساس متين من الشرعيَّة والمودة والرحمة والاحترام المتبادل ، ويعمل على تماسكها وتقويتها؛ حتى يستقيم أمر المجتمع المسلم والأمة المسلمة.

إن المتتبِّع للنظام الاجتماعي في الإسلام يجد أن الأسرة حاضرة في ذاكرته، وأن الرباط الذي ترتبط به الأسرة سماه الله ﷻ ميثاقا غليظا، قال – تعالى– : ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ ﴾ (النساء : ٢١)؛ ولذلك وضع الإسلام في بنائه للمجتمع نظم المراجعة التي مهمتها صيانة تلك العلاقة بطريقة عقلانية، تنتشل العلاقة من مستنقع الانفعال بحيث تصير نواة المجتمع وصمام الأمان من خلال المرتكزات الآتية: (المطوع ، ٢٠١٤ ، ص ص ٨٩-٩٢)

- التنشئة الاجتماعية: حيث وجَّه الإسلام أفراده إلى أهمية هذا المرتكز من خلال توجيه الرسولﷺ إلى أن يصبر نفسه مع الذين آمنوا، فقال – تعالى–: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (الكهف : ٢٨)، وبهذا التوجيه القرآني للرسول ﷺ يرفع من أهمية هذا المرتكز؛ ليكون متصلا بين الانتماء والتعاون؛ وبهذا المتصل فإن المجتمع الإسلامي لن يعاني من مشكلة الأفراد غير الاجتماعيين anti-social، فتكون درجة التفاعل الاجتماعي مرتفعة ومنضبطة؛ لأن التوجيه هنا يكمن في صياغة شخصية اجتماعية تتسامى عن الصراعات، وتسمو إلى الدار الآخرة من خلال ما يقدَّم من نفع للناس على اختلافهم.

- الانتماء: فالكل في المجتمع المسلم مندوب للعمل على ضوء الهوية التي ينتمي إليها، تدفعهم دوافع التنشئة الاجتماعية، ثم تأتي مرحلة المردود السيكولوجي عندما يتم الإنجاز، وذلك في مكمن السعادة بعد انتهاء العمل وإنجازه على الوجه المُرْضِي.
- التعاون: ولأهمية هذا المرتكز فقد قال رسول الله ﷺ " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى" صحيح مسلم ، والتعاون نواة البناء الاجتماعي، فالجسد هو المجتمع، وأفراده أعضاؤه، وكل عضو له مهمته ووظيفته، ويتكامل مع الأعضاء الأخرى؛ ليشكِّل البناء كله.

والتربية في نظر الإسلام تعني التنشئة السليمة والمتكاملة للطفل وتكوينه؛ كي يصبح إنسانا متكاملا من النواحي البدنية والروحية والأخلاقية في ضوء المبادئ والقيم التي جاء بها الدين، وطبقا لأساليبه وطرائقه التربوية، ويهتم القرآن الكريم والحديث الشريف بتربية ذات فلسفة واضحة، تهدف إلى أن يصير كل إنسان عابدا لله؛ إذ تتحقق تزكية النفس وإصلاحها بالعبادة الصحيحة، والعبادة بمفهومها الواسع تشمل جميع أشكال النشاط الإنساني الروحي والخلقي، والعلمي والاجتماعي، والاقتصادي والسياسي، وهذا هو الهدف الكلي للتربية في الإسلام (السيد ، ١٩٩٩ ، ص ص ٢٠-٢١).

وفي الحقيقة إن الإيمان والخلق والعلم والعمل كلها تشكِّل وحدة مترابطة متفاعلة، فالإيمان هو الينبوع الذي تستقى منه الأخلاق الفاضلة، والأخلاق بدورها تقود الإنسان إلى معرفة الحق والحقيقة، وهذا هو العلم بعينه، والعلم يقود الإنسان إلى العمل الصالح؛ فالإيمان هو أساس الأخلاق الفاضلة، والأخلاق الفاضلة هي أساس العلم الصحيح، والعلم الصحيح هو أساس العمل الصالح، ورؤية تلك الترابطات وفهمها حق الفهم هو فلسفة التربية الإسلامية (الجمالي ، ١٩٦٦ ، ص ص ٣٣-٣٤).

ولما كان الهدف الرئيسي للتربية الإسلامية هو تربية الإنسان المسلم، على نحو يتم فيه إيصاله إلى درجة الكمال التي هيأه الله – تعالى- لها؛ ليكون مؤهلا لأداء واجب الاستخلاف في الأرض، كان لا بد من تحقيق الأهداف الموصلة إلى ذلك (الشباطات ، ٢٠٠٩ ، ص١٨).

إن الهدف الأسمى للتربية الإسلامية هو إيجاد الفرد المؤمن الذي يخشى الله ويتّقيه، ويُحسن عبادته؛ ليفوز في الآخرة ويسعد في الدنيا(السيد ، ١٩٩٩ ، ص ٢١). وتمثل أهداف التربية الإسلامية المنبثقة عن مقاصد الإسلام العليا الغاية التي يسعى المُربِّي إلى تحقيقها

والوصول إليها، كما أن التعرف عليها يساعد العاملين في التعليم على تطبيقها ؛ ومن ثم نشرها في المجتمع المسلم من خلال التربية – بمؤسساتها المتعددة – كمَسَار لا يمكن أن يُنكَر دوره في المجتمع أو يُستهان بأثَرِه فيه.

وإذا كان المجتمع المسلم يمثل هدفًا متدرجًا في التربية الإسلامية ؛ لكنه في الوقت ذاته الأداة المُوَصلّة إلى تثبيت المفاهيم الإسلامية، وتنشئة الأفراد عليها منذ نعومة أظفارهم؛ حتى ينطبعوا بانطباعاتها، ويُكوّنوا صدى ذاتيا معها بعد تشرُّبها ؛ فإن جميع الجهود المضنية التي تبذل في التربية عُرضة لأن تذهب كلها هباء حين لا يوجد هذا المجتمع، أو حين يوجد مجتمع يعادي الفكرة ويعمل على تحطيمها، والفرد العادي في حاجة مُلحّة إلى المجتمع الذي يسانده، ويرسخ في نفسه الإيمان بالفضائل التي يؤمن بها ، ويساعده على تحويلها إلى سلوك عملي في واقع الحياة (النوري ، ١٩٩١ ، ص ٢٠٣).

إن المجتمع في الحس الإسلامي ينبغي أن يكون مثاليا واقعيا في تطبيقه للإسلام بجميع مؤسساته، ومرافقه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والترفيهية؛ ليمثل البيئة التربوية الخصبة لنشأة الأفراد نشأة سوية، لا اختلال فيها أو تناقض؛ وبالتالي تطبيعهم بالفضائل القيِّمة والأخلاق السامِيَة من خلال تفاعلهم وتعاملهم مع بعضهم البعض؛ فيشكِّلون بذلك أنماطا متعددة من السلوك الصحيح وفق منهج الدين الحنيف وجوهره (عطار، ١٩٧١ ، ص ٤١).

وإذا أدرك كل منا مسؤولياته وواجباته ودوره في المجتمع – مهما تكن تلك المسؤوليات– وتحمَّلها على أحسن صور التحمل، وسعى للقيام بها على أحسن وجه، ونفذها بكل وسيلة مشروعة مستفيدًا من مختلف الطاقات المتخصصة، والأدوات المتجددة والتقنيات المتطورة، وأحَبّ لغيره ما يحب لنفسه، وأتقن عمله وأحسن التنفيذ، وأجاد العطاء؛ أخذ مكانه في المجتمع الإسلامي الذي ينهل من معين الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا (الخطيب ، ١٩٩٧ ، ص ص ٩٢٢-٩٢٣).

والتربية الإسلامية هي التي تصوغ المجتمع المسلم وتُنشِئه تَنشئة متكاملة العناصر، لا يطغى فيها جانب على آخر ، وإنما تتوازن فيها جميع القيم الإسلامية؛ للترابط الجِذْري القائم بين القيم الأخلاقية السلوكية والقيم السياسية العملية، بين الجوانب المادية والروحية ، وترشيد الممارسة العملية لهذه القيم في الواقع المعيش على مستوى تدبير الأمور العامة على تعدّدِها وتنوّعها (كنعان ، ٢٠١٤ ، ص ٣٨١).

وترتكز تربية المسلم في المجتمع الإسلامي الفاضل على أصول، منها: (الجوابي ، ٢٠٠٠ ، ص ص ٢٢-٢٣)

- عقيدة التوحيد وأثرها في السلوك الإنساني.
- عبادة الله –تعالى– وإصلاحها الفرد والمجتمع.
- تنظيم المعاملات حسب الأحكام الشرعية.
- الأخلاق الإسلامية ودورها في بناء العلاقات الاجتماعية.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثره التربوي.
- طلب العلم ودوره في وعي المجتمع.
- ضرورة العمل وقيمته وأثره في عزة النفس وفي ثواب الآخرة.
- الاعتزاز بالإسلام ودفع الشبهات عنه.

ومن ثم ؛ هناك خصائص ومواصفات يجب تكوينها على مستوى الفرد والمجتمع في ظل التربية الإسلامية، هي: (الشريف ومصطفى ،٢٠٢٠ ، ص٩١)

- تكوين روح العقيدة الإسلامية الصحيحة والقوية الدافعة إلى السلوك.
- تكوين روح الأخلاق الإسلامية الخيّرة.
- تكوين روح الأخوة الإنسانية الإسلامية.
- تكوين روح التعلق بالمجتمع الإسلامي أو بالأمة الإسلامية.
- تكوين روح التعاطف والتراحم والمودة والمحبة الإسلامية.
- تكوين روح التعاون والتناصح، والتواصي بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- تكوين روح الجهاد والكفاح؛ من أجل حماية الأمة ونشر الدعوة الإسلامية.

وتنعكس المسؤولية الخلقية في الإسلام على التربية؛ فتجعلها تربية مسؤولة وإيجابية وناقدة وعملية متطورة ؛ فالتربية الإسلامية مسؤولة عن منظومة القيم التي تدعو إليها تلك المسؤولية، وعن مدى التزامها بها وتربية الآخرين عليها ؛ ومن ثم وجب عليها –أي التربية الإسلامية– أن تقوم بدور إيجابي في متابعة الأخلاق الاجتماعية في الوسط المسلم ، وتعمل على التوجيه والإرشاد والمساءلة والمحاسبية ، وهذا من شأنه أن ينمي محور الأخلاق في المجتمع ويعززه ويطوره (البقمي ، ٢٠٢١ ، ص ٣٠٠).

إن أعلى مرتبة بين البشر يجب أن تقاس بها كل المراتب، وبموجبها تتحدد أهمية الفرد من حيث صلاحه داخل المجتمع؛ هي مرتبة الإنسان الكامل ، ولا جرم أن الإنسان الكامل كنموذج واقعي في الدين الإسلامي هو النبي "محمد" ﷺ ؛ ولما كان غاية في ذاته ومقصدا

في خلق هذا الكون؛ فإن هذا النبي هو الذي يجب أن يكون نموذجا أعلى في المدينة الفاضلة. وعندما نجعل الرسول الأكرم هو محور المدينة الفاضلة؛ فإن هذا يعني أن تلك الشخصية العظيمة يجب أن تكون النموذج الخليق بأن نتمثله في حياتنا الدنيا، بمعنى أن نستحضر الصفات الأخلاقية والعرفانية التي حباه الله بها في القرآن الكريم ، وحَرِيّ أن يقاس المجتمع الفاضل وتُعرَف محدِّداته بأخلاق الرسول ﷺ وما تميزت به من مكارم (زهري ، ٢٠١٧ ، ص ٨٥).

ويمكن إجمال واستخلاص ملامح اليوتوبيا الواقعية للنسق المجتمعي في ضوء أهداف التربية الإسلامية من خلال النقاط التالية:

- تثبيت النظام العائلي على أسس قويمة، من خلال الميثاق الغليظ الذي يتمثل في الزواج؛ تحقيقا للاستخلاف وتعميرا للأرض ، واعتبار الأسرة هي الكيان الأساس في المجتمع.
- لا يوجد سن معينة للزواج في المجتمع المسلم ؛ فكل من بلغ سن التكليف واستطاع الباءة له حق الزواج بشكل عام، في ظل ضوابط وأحكام حددتها الشريعة.
- الرجل له أن يتزوج من النساء مثنى وثلاث ورباع شريطة العدل بينهن، فإن خاف عدم تحقق الشرط؛ اقتصر على واحدة ، وأساس العلاقة الزوجية حقوق وواجبات شرعية.
- فقه المعاملات في الإسلام يقوم بين الناس على مبدأ الإيجاب والقبول بعد تحقيق الضوابط والشروط العامة لكل الأطراف تبعا للرؤية الإسلامية.
- التوازن بين المسؤولية الفردية والمسؤولية الجماعية في كل ما هو متاح للإنسان ؛ فلا إفراط في تضخيم الذات ولا تفريط في إذابة تلك المسؤولية ؛ كي لا يتَّكِئ الفرد بهذا الزعم على المجتمع ويتنصل من مسئوليته.
- الاعتراف بالملكية العامة وحرمة المقدرات والمال العام جنبا إلى جنب مع الملكية الخاصة، إلا أن الملكية الخاصة بها حق عام معلوم لدى الجميع.
- المال في المجتمع المسلم له وظيفة اجتماعية استخلف فيه الإنسان ، ولله فيه حق معلوم للسائل والمحروم، ويجب توخي الحلال فيه صرفا وعدلا.
- استعمال العقل في التفكر والتأمل الذي يحث الإنسان، ويستثير دوافعه في عملية التعليم واستثمار كل شيء خُلِق من أجله.
- الاعتدال في النزعة التقدمية ومقاومة الرجعية من ناحية ، ومعارضة التطرف والتشدق من ناحية أخرى.

- القضاء على الطبقية في معناها العام داخل المجتمع، بجعل معيار التفاضل هو التقوى، والتقوى محلها القلب.
- المجتمع المسلم ليس طبقيا؛ فالكل مدني بطبعه ، والكل بحاجة إلى الكل ، والدرجات الاجتماعية فيه أدعى لتثبيت مبدأ الاحتياج للآخرين ، وليس التمايز ذريعة للتميز، بل هو تدبير وتنظيم وتحديد لمهام الأفراد.
- حدود المدينة الفاضلة في التصور الإسلامي تشمل الأرض كلها؛ لأن الدين عام يخاطب الإنسانية جميعا، والمجتمع الفاضل هو العالم بأسره.
- الزمان في المدينة الفاضلة كان واقعا معيشا في الماضي وما زال باقيا في الحاضر، وسيظل في المستقبل حتى يأتي وعد الله.
- الدولة في ظل الاسلام تتسع رقعتها، فتضم البلاد التي تدين لها وتحت حكمها ، والحاكم فيها واحد، ولا جرم أن يتخذ نُوَّابا أو وكلاء له متعددين بتعدد الأقطار، ما دامت المرجعية له ولنوابه واحدة.
- لا يشترط في المجتمع الفاضل داخل التصور الإسلامي أن يدين جميع أفراده بالإسلام ؛ فغير المسلمين يعيشون في كنف المجتمع المسلم الفاضل بدينهم دون إكراه؛ لأن مظلة الإسلام تَسَع الجميع.
- الانفتاح على الآخرين وتبادل المنافع مع التأكيد على الذاتية الثقافية والحفاظ على الهوية الإسلامية.
- أفراد المجتمع الفاضل متحابُّون ومتآلفون ، وهم بحاجة مستمرة إلى التربية التي توقظ الضمير، والموعظة التي تُكوِّن الرأي العام الفاضل.
- تعادي الفكرة الإسلامية للمجتمع الفاضل جميع الأوهام، وتحارب الخرافات والأخيلة الفاسدة.
- كل ما لا يمتّ إلى الإسلام بصلة هو بدعة ، وكل فعل أو سلوك في المجتمع لا يتطابق مع الشريعة هو انحراف، والمجتمع المسلم الفاضل ينبذ البدع ويحارب الانحراف ؛ فتخبو فيه الرذائل إلى حد كبير، وتُعلَن فيه الفضائل دون حرج أو تضييق.
- العقوبة داخل المجتمع الفاضل لها هدف وضوابط، وحدود وطبيعة معينة عند تنفيذها.
- القانون الإسلامي الذي يحكم العلاقات ويضبطها هو قانون دولي عام، دائم الصلاحية لا يعرف حدودا للزمان أو المكان ، ونافذ على الجميع.

- التربية تتحقق من خلال التنشئة السليمة والمتكاملة للنشء وتكوينه؛ كي يصبح إنسانا متكاملا في جميع الجوانب، وعلى ضوء المبادئ والمنظومة القيمية التي جاء بها الإسلام.
- التربية هي الوسيلة الرئيسة في نشر الفضيلة في المجتمع، وتحقيق السعادة لأفراده وتطبيعهم على ذلك.
- منهج التربية الإسلامية قائم على الفلسفة الإسلامية بأصالتها ومعاصرتها ، ويتماشى مع مقتضيات وتضمينات الشريعة.
- التخصص العلمي والمهني والأداء العملي معايير أصيلة في شغل الوظائف، وإسناد المهام للأفراد في المجتمع المسلم.
- الاقتصاد يعتمد على العمل والمهن وأداء الأدوار، وتحديد المهام وإنجازها في ظل مسارات التنمية التي لا تتعارض في خطواتها أو إحداها مع صبغة الإسلام ومبادئه.
- الحكمة في المجتمع المسلم تكمن في أفراده، عندما يصلون إلى السداد في القول والفعل والتعقل في التصرفات، وتكمن في الحاكم عندما يُشِيع الحب والرحمة بين الناس، ويستشعر عظمة التكليف الذي وُسِّد إليه؛ لأنه سيسأل عنه أمام الله.
- الإيمان الراسخ والتكيف مع مناخ كل بيئة دون فقْد مقومات التميز والريادة؛ هما مصدر المناعة للمجتمع المسلم، ومنبع حمايته من الانحراف والتدافع الحضاري.
- العقيدة والأخلاق الإسلامية هما معيار بناء العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، واللُّحْمَة والسَّدَاة لكيان الأمَّة ؛ بهما تتشكَّل شخصية الفرد وتتكوَّن الأسرة المسلمة، وتُبْنَى الروابط بين الحاكم والرعية.
- اليقين بأن محور المدينة الفاضلة هو الإنسان الكامل والذي تمثَّل واقعيا في شخص النبي ﷺ ؛ وبناء على ذلك يظل هو النموذج الأعلى في المدينة الفاضلة، ويلزم جميع المسلمين تمَثّله (اتخاذه قدوة) في حياتنا.
- الاعتقاد الجازم بوجود حياة أخرى بعد الممات ، فيها الجزاء على ما قدمه الإنسان في الحياة الدنيا، إن خيرا فخير وإن شرًّا فشرّ.
- نظام الحكم في المجتمع المسلم قائم على الشورى دون إجبار، والطاعة لولي الأمر بعد وقوع الاختيار، وذلك في حدود طاعة الله ورسوله ؛ فالإسلام لا يعرف العشوائية ولا يؤمن بالغوغائية ، ويشجب الديكتاتورية، ولا يدعو إلى الفوضى، بل هو نظام مُحْكَم يتناول جميع مظاهر الحياة.

- إطلاق العِنان للمفكرين والعلماء والفلاسفة للتأمل، والتفكر في الكون من أجل التوصل إلى الحقائق النافعة، سواء كانت في العلوم الشرعية، أو العلوم الإنسانية، والعلوم الطبيعية.
- المعرفة في التصور الإسلامي مصدرها إما إلهي وتتمثل في الوحي بصوره المتعددة، أو بشري وهي التي تتم من خلال التربية والتعليم في المؤسسات التربوية.
- الكون مخلوق من مخلوقات الله، ويسبح بحمده ومسخَّر لخدمة الإنسان ، ويسير في علاقات منتظمة ومستقرة طبقا لنواميس دقيقة.
- الدولة في المجتمع المسلم تتوسع جغرافيا؛ بهدف نشر الإسلام وليس من أجل السيطرة على البلاد أو استعباد العباد، بل إن فكرة الجهاد من مقاصدها تحرير البشر من عبودية البشر إلى عبودية ربِّ البشر.
- الفضيلة تضاهي البر ، والبر هو الاسم الجامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الصالحة الظاهرة والباطنة.
- تتحقق السعادة للأفراد عندما يتقربون إلى الله بأداء العبادات؛ حتى ينالوا حُبّ الله ورضاه؛ ومن ثم يدخلون الجنة لتنتقل السعادة من معناها المجرد إلى المعنى الحقيقي في الآخرة.
- تتحقق رفاهية المجتمع المسلم عندما تنتشر فيه الصفات الحميدة، وتصير واقعا منجزا ، ويتقدم هذا المجتمع في أفكاره وعلومه، ووسائله وطرقه وأنشطته ، ويتميز فيجمع بين خيري الدنيا والآخرة.
- فكرة العدالة ترى أن العدل أساس الملك، وتلك القيمة مجردة لا تتأثر بشيء من العوامل الخارجية ، وبالعدل تتحقق التقوى.
- المواطنة في الدولة المسلمة حق مكتسب للجميع ما لم يتجرأ على القوانين الإسلامية، أو يعادي الأفكار العقدية، أو يقترف من الكبائر والآثام ما يدعو إلى محاربته.
- السعي الدؤوب للمجتمع المسلم في أن يكتسب أنصارا جددا، وأتباعا يحملون همَّ الدعوة ونشر الإسلام؛ كي يصل إلى العالم كله.
- الاعتقاد الراسخ لدى المؤمنين بأن الموت خلق من مخلوقات الله، وقدر محتوم قد كتبه الله على كل شيء إلا ذاته العَلِيَّة ، وأن المرجع والمآل إليه.
- الحياة الحقيقية هي الحياة الآخرة والتي يتمتع فيها المؤمن بجميع أشكال النعيم المقيم.

وحري بحاكم المدينة الفاضلة في المجتمع المسلم أن يتسم بمجموعة من السمات، ويقوم بعدة مهام ؛ انطلاقا من المهمة الكبرى التي أسندت إليه ، والأمانة المُرَكّبة التي تحمّلها على عاتقه ؛ هذه السمات وتلك المهام من بينها ما يلي:

- الاعتزاز بالإسلام والعمل على دفع الشبهات عنه.
- المحافظة على الهوية الإسلامية والذاتية الثقافية وعُرَاها.
- حفظ الضرورات الخمس (الدين– المال– النفس – العرض– العقل) والتوجيه بذلك.
- القدرة على فهم فلسفة التربية الإسلامية ورؤية الترابطات بينها وبين تضميناتها.
- الفهم الجيد للمرونة التي تتسم بها الشريعة الإسلامية ، وتقبّل التجدُّد حسب مقتضيات العصر وحاجاته، وتطور المجتمعات مع وزن الأمور بميزان الرؤية الإسلامية.
- يهتم بالعلم والمعرفة وتقدير العلماء من أجل بناء الحضارة.
- تنظيم المعاملات حسب الأحكام الشرعية.
- يحافظ على الكرامة الإنسانية والمثل العليا والأخلاق الفاضلة.
- إعلان المسؤولية عن منظومة القيم في المجتمع، ومتابعتها بالتوجيه والإرشاد والمساءلة والمحاسبية.
- العمل على تطبيق التعاليم والرؤية الإسلامية على مستوى الفرد والحكومة: عقيدة وعبادة، وخلقا وسلوكا، وشريعة ونظاما.
- التحفيز على العمل والإصلاح في المجتمع ، ودعوة الناس إلى إتقان العمل وحسن التنفيذ، وإجادة العطاء والتعاون على البر والتقوى في مسيرة الحياة.
- يشيع الرحمة ويسعى لتحقيق المصالح العامة.
- التوازن والاعتدال بين أمور الدين والدنيا دون طغيان لأحدهما على الآخر.
- البعد عن الكسل والدعة، والدعوة المستمرة إلى تحصيل العلم.
- يأبى الظلم ويُحرّمه على نفسه وعلى الناس، ويشيع العدالة بينهم.
- دعم مبدأ العيش في سلام مع دفع الحروب والفساد، والأمراض الاجتماعية بكل ما أوتي من قوة.
- الدفاع عن الوطن الإسلامي ومصيره ومصالح الأمة.
- التحرر من التقليد الأعمى للآخرين ، والتمتع بالإرادة القوية في توجيه الخير.
- فتح أبواب الاجتهاد والقياس والإجماع، والعرف والمصالح المرسَلَة لحسم القضايا المستجدة، بما لا يخالف أصول الشريعة.
- التناصح المستمر من الرعية وإليها ، والتواصي المتبادل بالحق والصبر ، واستشعار عَظَمة مسؤولية الرعية، وتوفير حاجات المجتمع المادية والعلمية والاجتماعية والثقافية.

إن مشروع المجتمع في التصور الإسلامي يسير نحو عالم يوتوبي على أرض الواقع قبل العالم الأخروي، وذلك من خلال الرفض والنقد والتجاوز للأقوال والأفعال والأحكام والسلوكات غير السويّة ، والقول بعجز المؤمن عن التشبه أو الاقتراب سلوكيا من الرسول ﷺ

ليس إلا تكريسًا بقبول الواقع السلوكي، والأخلاقي الرديء الذي لا زلنا نرتع فيه يوميًّا ؛ فإمكانية تحقيق يوتوبيا أرضية مسألة بدهية؛ لأن في إنكارها إنكارا لجميع المشاريع الدينية ، وفكرة الخلط بين اليوتوبيا الأرضية في الإسلام واليوتوبيا الملكوتية ليس إلا نتاجًا لالتباسات فكرية ولغوية، وقع فيها بعض رُوّاد الفكر الإسلامي (دوبة ، ٢٠١٤ ، ص ٢٠).

أخيرا .. هل يمكن لتلك المحاولة البحثية أن تكون نبراسا لنا في واقعنا المعاصر لبناء مجتمع فاضل، يسوده السلم والوئام ويغمره الخير والسلام؟ حبذا!!!

المراجع

أولا – المراجع العربية:

القرآن الكريم.

الحديث الشريف.

الإبراشي ، محمد عطية (د.ت) . *التربية الإسلامية وفلاسفتها* ، ط٣ ، القاهرة : دار الفكر العربي.

أبو السعود ، عطيات (٢٠٢١) . الأمل واليوتوبيا في فلسفة إرنست بلوخ ، القاهرة : مؤسسة هنداوي للنشر.

أبو زهرة ، محمد (١٩٨١) . المجتمع الإنساني في ظل الإسلام ، جدة : الدار السعودية للنشر والتوزيع

أبو عجوة ، محمد نجيب أحمد (٢٠٠٠) . المجتمع الإسلامي دعائمه وآدابه في ضوء القرآن الكريم ، القاهرة : مكتبة مدبولي.

أحمد ، زهراء أحمد محمد (٢٠١٦) . اتجاهات التأصيل المتخصص في المجتمع والأسرة والتربية ، مجلة مركز بحوث القرآن الكريم والسنة النبوية : جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية – السودان ، (٣) ، ٣٤٣-٣٨٢

أحمد ، هالة أبو الفتوح (٢٠٠٠) . فلسفة الأخلاق والسياسة : المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس ، القاهرة : دار قباء لطباعة والنشر والتوزيع.

إسماعيل ، صلاح (٢٠٢٠) . تصورات المدينة الفاضلة نحو عالم أفضل ، مجلة التفاهم : وزارة الأوقاف والشئون الدينية – عُمان ، (٧٠) ، خريف ٢٠٢٠ ، ٤٧-٧٢.

الأنصاري ، عبد الله عبد الوهاب محمد (٢٠٠٠) . الأيديولوجيا واليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة .. دراسة مقارنة بين كارل مانهايم وتوماس كون ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية.

بدوي ، عبد الرحمن (١٩٩٦) . ملحق موسوعة الفلسفة ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

برنيري ، ماريا لويزا (١٩٩٧) . المدينة الفاضلة عبر التاريخ ، ترجمة عطيات أبو السعود ، مراجعة عبد الغفار مكاوي ، عالم المعرفة : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ، (٢٢٥) ، سبتمبر ١٩٩٧.

البغدادي ، نضال (٢٠١٤) . اليوتوبيا وتخوم العلم ، في كتاب / اليوتوبيا والفلسفة .. الواقع اللامتحقق وسعادات التحقق ، إشراف وتحرير عامر عبد زيد الوائلي وعلي عبود المحمداوي وشريف الدين بن دوبه ، مسائل فلسفية ، الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة ، الرباط : دار الأمان ، ٣١٩-٣٤٣.

البقمي ، فوزية بنت مناحي بن ماجد (٢٠٢١) . درجة ممارسة المعلمين والمعلمات للسلوك الإيجابي في بيئة العمل في ضوء أهداف التربية الإسلامية ، مجلة البحث العلمي في التربية : كلية البنات للآداب والعلوم والتربية ، جامعة عين شمس ، ٢٢ (١٠) ، أكتوبر ٢٠٢١ ، ٢٩٩-٣٣١.

بومان ، زيجمنت (٢٠١٣) . اليوتوبيا في عصر اللا يقين ، ترجمة فدوى كمال عبد الرحمن ، مجلة الألسن للترجمة : وحدة رفاعة للبحوث وتنمية المعلومات اللغوية والترجمة ، كلية الألسن ، جامعة عين شمس ، (١١) ، ١٢٤-١٣٦.

التركي ، سعد صالح تركي (٢٠١٩) . دور المسجد في تنمية المسؤولية الاجتماعية ، مجلة البحث العلمي في الآداب : كلية البنات للآداب والعلوم والتربية ، جامعة عين شمس ، (٢٠) ، الجزء (٢) ، ٢٠١٩ ، ٢٠٧-٢٢٨.

جمال ، نوزاد (٢٠١٤) . الفلسفة بمثابة يوتوبيا ضرورة الفكر اليوتوبي في التغيير الاجتماعي والسياسي عند إرنست بلوخ ، في كتاب / اليوتوبيا والفلسفة .. الواقع اللامتحقق وسعادات التحقق ، إشراف وتحرير عامر عبد زيد الوائلي وعلي عبود المحمداوي وشريف الدين بن دوبه ، مسائل فلسفية ، الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة ، الرباط : دار الأمان ، ١٧٣- ٢٠١.

الجمالي ، محمد فاضل (١٩٦٦) . الفلسفة التربوية في القرآن ، بيروت : دار الكتاب الجديد.

الجوابي ، محمد طاهر (٢٠٠٠) . المجتمع والأسرة في الإسلام ، الرياض : دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٣.

جيد ، مينا عادل (٢٠٢٠) . يوتوبيا السوشيال ميديا.. دليلك لعالم افتراضي فاضل ، القاهرة : مؤسسة مجاز الثقافية للترجمة والنشر.

الحازمي ، خالد بن حامد (٢٠٠٠) . أصول التربية الإسلامية ، سلسلة المنظومة التربوية (٥) ، الرياض : دار عالم الكتب للنشر والتوزيع.

حسانين ، عطية محمود محمد (٢٠١٨) . بواعث اليوتوبيا عند العرب حتى عهد النبوة "بين التنظير والممارسة" ، مجلة كلية الآداب : جامعة المنصورة ، (٦٢) ، يناير ٢٠١٨ ، ١٩٧-٢٤٣.

حسن ، سمير إبراهيم والهاشمي ، سلطان محمد حمد (٢٠١٦) . الإسلام بين اليوتوبيا والتاريخ ، المجلة العربية لعلم الاجتماع – إضافات : الجمعية العربية لعلم الاجتماع- تونس ، (٣٣ ، ٣٤) ، ربيع ٢٠١٦ ، ١٢٣-١٤٠.

حسيبة ، مصطفى (٢٠٠٩) . المعجم الفلسفي ، الأردن – عمان : دار أسامة للنشر.

الحفني ، عبد المنعم (٢٠٠٠) ، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ، القاهرة : مكتبة مدبولي ، ط ٣ .

الحمد ، أحمد (٢٠٠٣) . التربية الإسلامية ، الرياض : دار اشبيليا للطباعة والنشر.

الخطيب ، محمد عجاج (١٩٩٧) . تربية أولادنا بين الواقع والواجب ، ندوة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل ، المنعقدة في الفترة من ٢٠-٢٢ ديسمبر ١٩٩٧، ، رابطة الجامعات الإسلامية – جامعة الإمارات ، الجزء (٢) ، ٩١٣-٩٥١.

دوبة ، شريف الدين (٢٠١٤) . اليوتوبيا الدلالة والآفاق ، في كتاب / اليوتوبيا والفلسفة .. الواقع اللامتحقق وسعادات التحقق ، إشراف وتحرير عامر عبد زيد الوائلي وعلي عبود المحمداوي وشريف الدين بن دوبه ، مسائل فلسفية ، الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة ، الرباط : دار الأمان ، ١١-٤١

دوبه ، شريف الدين (٢٠١٨) . يوتوبيا المفهوم ودلالاته في الحضارات الإنسانية ، الكتاب (١٧) ، سلسلة مصطلحات معاصرة ، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية– العراق : العتبة العباسية المقدسة.

رولز ، جون (٢٠٠٧) . قانون الشعوب و"عود إلى فكرة العقل العام" ، ترجمة محمد خليل ، القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومي للترجمة ، العدد (١٠٧٤).

زهري ، خالد (٢٠١٧) . العدالة والسعادة مقاربة لمفهوم المجتمع الفاضل بين النورسي والفارابي والترمذي ، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية : مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم بتركيا ، السنة (٨) ، (١٥) ، يناير ٢٠١٧ ، ٧٨–٩٨.

زيد ، عامر عبد (٢٠١٤) . القول اليوتوبي عند الفارابي ، في كتاب / اليوتوبيا والفلسفة .. الواقع اللامتحقق وسعادات التحقق ، إشراف وتحرير عامر عبد زيد الوائلي وعلي عبود المحمداوي وشريف الدين بن دوبه ، مسائل فلسفية ، الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة ، الرباط : دار الأمان ، ١٣٥–١٥٥.

زيد الخير ، حورية ومحمدي رشيدة رياحي (٢٠١٨) . الفلسفة وحلم إقامة مجتمع المعرفة العربي ، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية : جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف – الجزائر ، (١٩) ، يناير ٢٠١٨ ، ١٠٠–١٠٤.

سارجنت ، لايمان تاور (٢٠١٦) . اليوتوبية.. مقدمة قصيرة جدا ، ترجمة ضياء وراد ، مراجعة مصطفى محمد فؤاد ، القاهرة : مؤسسة هنداوي للنشر.

سعد ، فاروق (١٩٨٢) . مع الفارابي والمدن الفاضلة ، بيروت : دار الشروق.

السيد ، عاطف (١٩٩٩) . التربية الإسلامية ، الإسكندرية : مركز دلتا للطباعة.

الشاروني ، يوسف (٢٠٠٠) . يوتوبيا الخيال العلمي في الرواية العربية المعاصرة ، عالم الفكر : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ، ٢٩(١) ، سبتمبر ٢٠٠٠ ، ١٨٦–٢١١.

الشباطات ، محمود (٢٠٠٩) . الأهداف التربوية في تدريس التربية الاسلامية بين الأصالة والمعاصرة ، دراسات في المناهج وطرق التدريس : الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس ، كلية التربية ، جامعة عين شمس ، (١٥٠) ، سبتمبر ٢٠٠٩ ، ١٣–٣١.

الشحود ، علي بن نايف (٢٠٠٩) . الخلاصة في أصول التربية الإسلامية ، بهارج–ماليزيا : دار المعمور.

الشريف ، نهى بنت علي بن محمد ومصطفى ، جمال مصطفى محمد (٢٠٢٠) . دور الجامعات السعودية الأهلية في تعزيز الشراكة المجتمعية في ضوء أهداف التربية الإسلامية: دراسة ميدانية ، أبحاث المؤتمر الدولي السادس: الشراكة المجتمعية وتطوير التعليم – دراسات وتجارب ، كلية التربية للبنين بالقاهرة ، جامعة الأزهر ، مج (٣) ، ١٦–١٧أغسطس ٢٠٢٠ ، ٧٨–١٢٩.

شعيشع، آمال عبدالفتاح محمد (٢٠١٦) . التربية العالمية لتعزيز الهوية الوطنية : واقعية التأصيل وآليات التفعيل (دراسة تحليلية) ، مجلة كلية التربية : كلية التربية ، جامعة أسيوط ، ٣٢ (١) ، يناير ٢٠١٦ ، ٣٠٠–٣٧٠

الشمري ، فاضل منيف (٢٠١٤) . يوتوبيا ماركس ، في كتاب / اليوتوبيا والفلسفة .. الواقع اللامتحقق وسعادات التحقق ، إشراف وتحرير عامر عبد زيد الوائلي وعلي عبود المحمداوي وشريف الدين بن دوبه ، مسائل فلسفية ، الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة ، الرباط : دار الأمان ، ١٥٧-١٧٢.

شهيد ، حسين حمزة (٢٠١٤) . الدولة المثلى عند أفلاطون وأصولها في الفكر الشرقي القديم ، في كتاب / اليوتوبيا والفلسفة .. الواقع اللامتحقق وسعادات التحقق ، إشراف وتحرير عامر عبد زيد الوائلي وعلي عبود المحمداوي وشريف الدين بن دوبه ، مسائل فلسفية ، الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة ، الرباط : دار الأمان ، ٤٣-٥٤

الصائغ ، محمد ذنون زينو (٢٠١٢) . الاغتراب ونشأة المدينة واليوتوبيا ، الوثيقة : مركز عيسى الثقافي – مركز الوثائق التاريخية ، ٣١ (٦٢) ، يوليو ٢٠١٢ ، ٥٨-٧٧.

صليبا ، جميل (١٩٨٢) . المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية ، الجزء الثاني ، بيروت : دار الكتاب اللبناني.

عابدين ، يسار ونانو ، بيير (٢٠١٢) . مفهوم الفضيلة في مصطلح المدينة ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية : جامعة دمشق ، ٢٨(١) ، ٢٠١٢ ، ١٥١-١٨٥.

عاشور ، محمد الطاهر (٢٠٠٥) . أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر

عايب ، مريم (٢٠١٥) . اليوتوبيا والفلسفة . الإنسان العالمي نموذجا ، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة قاصدي مرباح – ورقلة (الجزائر).

العايش ، عبدالله بن حلفان بن عبدالله (٢٠١٥) . تقويم محتوى البرنامج التعليمي لتلاميذ التربية الفكرية للمهارات الحياتية بالمرحلة الابتدائية بالمملكة العربية السعودية في ضوء أهداف التربية الإسلامية ، دراسات عربية في التربية وعلم النفس (ASEP) : رابطة التربويين العرب – مصر ، (٦١) ، مايو ٢٠١٥ ، ٨١-١١٠.

العبودي ، عبد الكاظم (٢٠١١) . بين يوتوبيا الواقع وحلم سلام المستقبل ، المجلة العربية لعلم الاجتماع – إضافات : الجمعية العربية لعلم الاجتماع – تونس ، (١٣) ، شتاء ٢٠١١ ، ١٣١-١٤٦.

عطار ، ليلى عبدالرشيد حسن (١٩٧١) . الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية ، رسالة ماجستير، كلية التربية ، جامعة الملك عبدالعزيز.

العقل ، عقل عبدالعزيز (٢٠٢٠) . البرامج الإثرائية بمدارس التميز العالمية ببريدة ودورها في تحقيق أهداف التربية الإسلامية ، مجلة العلوم الإنسانية والإدارية : مركز النشر والترجمة – جامعة المجمعة ، (٢٠) ، أغسطس ٢٠٢٠ ، ١٠٣-١٣٥.

العنزي، بدرية بنت خلف بن حمدان (٢٠١٩) . منهج التربية الإسلامية في مواجهة التطرف المضاد وفق رؤية 2030 م ، مجلة كلية التربية : كلية التربية ، جامعة أسيوط ، ٣٥ (٧) ، يوليو ٢٠١٩ ، ٤٦١-٤٩٦

عيسى ، فتح الرحمن الحاج عبدالله محمد (٢٠١٩) . المدينة الفاضلة من خلال السيرة والحديث ، مجلة التراث : مخبر جمع دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها ، جامعة زيان عاشور بالجلفة – الجزائر ، مجلد (٩) ، عدد خاص بأشغال مؤتمر إسطنبول الدولي للعلوم الإنسانية والطبيعية المنعقد بتركيا –إسطنبول ٢٥-٢٧/ ٢٠١٩/٠٩، ١٠٦-١٢٨.

الغنام ، محمد عبد القوي شبل (٢٠١١) . عقيدة التوحيد أساس للتربية الأخلاقية النظرية والتطبيق : دراسة تحليلية من المنظور الإسلامي ، مجلة التربية : كلية التربية ، جامعة الأزهر ، (١٤٦) ، الجزء (٢) ، ديسمبر ٢٠١١ ، ٥٩٥-٦٦١

غنوشي ، عواطف (٢٠١٨) . اليوطوبيا الثورية ، مجلة مدارات : جمعية مدارات معرفية – تونس ، (٣١-٣٢) ، ربيع وصيف ٢٠١٨ ، ٩١-١٠٠.

الفارابي ، أبو نصر محمد (٢٠١٣) . آراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها ، القاهرة : مؤسسة هنداوي للنشر.

القرني ، حسن بن عبدالله حسن الرزقي (٢٠١٧) . تحليل محتوى صفحات الفيس بوك Facebook لطلبة جامعة تبوك وآليات تفعيلها في ضوء أهداف التربية الإسلامية ، مجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية : جامعة الباحة ، ٢ (١١) ، يونيو٢٠١٧ ، ٤٧٧-٥٠٩.

كنعان ، قصي رياض (٢٠١٤) . السمات الثقافية للمجتمع الإسلامي دراسة في الأنثروبولوجية الثقافية ، مجلة كلية العلوم الإسلامية : كلية العلوم الإسلامية ، جامعة الموصل- العراق ، ٨ (١٥) ، الجزء (١) ، ٣٧٩-٣٩٩

لالاند ، أندريه (٢٠٠١) . موسوعة لالاند الفلسفية ، المجلد الأول A-G ، تعريب خليل أحمد خليل ، إشراف أحمد عويدات ، ط ٢ ، ٢٠٠١ ، بيروت – باريس : منشورات عويدات.

مانهايم ، كارل (١٩٨٠) . الأيديولوجيا واليوتوبيا.. مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة ، ترجمة وتقديم محمد رجا الديريني ، الكويت : شركة المكتبات الكويتية.

مجمع اللغة العربية (١٩٨٣) . المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – القاهرة ، ١١٣.

محدادي ، آمنة (٢٠١٥) . اليوتوبيا في فلسفة نيتشه ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة – الجزائر.

محمد ، إيناس ممدوح (٢٠١٧) . المدينة الفاضلة بين أفلاطون والفارابي ، مجلة بحوث الشرق الأوسط : مركز بحوث الشرق الأوسط – جامعة عين شمس ، ٢ (٤١) ، ١٣٥-١٧٤.

محمد ، عفيان (٢٠١٤) . القديس أوغسطين ويوتوبيا الانتظار ، في كتاب / اليوتوبيا والفلسفة .. الواقع اللامتحقق وسعادات التحقق ، إشراف وتحرير عامر عبد زيد الوائلي وعلي عبود المحمداوي وشريف الدين بن دوبه ، مسائل فلسفية ، الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة ، الرباط : دار الأمان ، ١٠٩-١١٦.

المرزوقي ، جمال (٢٠٠١) . الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي ، القاهرة : دار الآفاق العربية للنشر.

المطوع، عبدالعزيز بن صالح (٢٠١٤) . نموذج نظري إسلامي يوجه العاملين بمجال تحسين المهارات السلوكية والإدارية والأسرية والاجتماعية ، مجلة رسالة التربية وعلم النفس : الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية ، جامعة الملك سعود ، (٤٥) ، يونيو ٢٠١٤ ، ٧٧- ٩٥

المكي ، هشام (٢٠١١) . يوتوبيا الاتصال وسؤال القيم : رؤية معرفية ، مجلة الإحياء : الرابطة المحمدية للعلماء ، (٣٤ ، ٣٥) ، شوال ٢٠١١ ، ٢١٦-٢٣١.

المنياوي ، أحمد (٢٠١٠) . جمهورية أفلاطون.. المدينة الفاضلة كما تصورها فيلسوف الفلاسفة ، سوريا : دار الكتاب العربي (حلب).

مهدي ، محسن س (٢٠٠٩) . الفارابي وتأسيس الفلسفة الإسلامية السياسية ، ترجمة وداد الحاج حسن ، بيروت – لبنان : دار الفارابي.

الموسوي ، السيد هاشم (١٩٩٢) . النظام الاجتماعي في الإسلام ، بيروت–لبنان : دار الصفوة

ميثم ، تمار (٢٠١٤) . القول اليوتوبي وبلاغة الاحتجاج ، في كتاب / اليوتوبيا والفلسفة .. الواقع اللامتحقق وسعادات التحقق ، إشراف وتحرير عامر عبد زيد الوائلي وعلي عبود المحمداوي وشريف الدين بن دوبه ، مسائل فلسفية ، الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة ، الرباط : دار الأمان ، ٣٤٥-٣٦٥.

النشار ، مصطفى (١٩٩٨) . تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي الجزء الأول السابقون على السوفسطائيين ، القاهرة : دار قباء للنشر

النصافي ، سالم جاسر (٢٠٢٠) . المدينة الفاضلة عند الفارابي (دراسة فلسفية) ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بنها ، (٥٤) ، أكتوبر ٢٠٢٠ ، ٣١-٦٢

النوري ، عبدالغني عبدالفتاح محمد (١٩٩١) . التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة تربية الروح ، مجلة التربية : اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم ، (٩٨) ، السنة (٢٠) ، سبتمبر ١٩٩١ ، ١٩١-٢١٥.

هاشم ، علا والمسلمي ، غادة وعريبة ، الأمير وعز الدين ، وسام ممدوح (٢٠٢٠) . اليوتوبيا المعمارية بين الرؤى الخيالية والواقعية ، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية : الجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية ، ٥ (١٩) ، ٤٠٩- ٤٢٨.

وهبة ، مراد (٢٠٠٧) . المعجم الفلسفي ، القاهرة : دار قباء الحديثة ، ط ٥ .

ياسين ، نوال طه (٢٠١٤) . النواحي اليوتوبية في فكر المعتزلة ، في كتاب / اليوتوبيا والفلسفة .. الواقع اللامتحقق وسعادات التحقق ، إشراف وتحرير عامر عبد زيد الوائلي وعلي عبود المحمداوي وشريف الدين بن دوبه ، مسائل فلسفية ، الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة ، الرباط : دار الأمان ، ١١٧-١٣٣.

ثانيا – المراجع الأجنبية:

Arnsperger, C. (2006). What is utopian about the realistic utopia? Relocating Rawls in the space of normative proposals, *Revue internationale de philosophie*, No.3 , pp. 285-300

Bishop, p.c. & Hines, A. (2012). Teaching about the Future, Palgrave Macmillan, ISBN: 978-0-230-36349-6, p.1.

Böker, M. (2017). The Concept of 'Realistic Utopia': Ideal Theory as Critique, Constellations, Vol. 24, No. 1, 2017, pp.89-100, doi: 10.1111/1467-8675.12183.

Cabrita, M., J. (2011). Citizenship And Peace in light of realistic utopia, Construir a Paz: VISõES INTERDISCIPLINARES EINTERNACIONAIS SOBRE CONHECIMENTOS E PRáTICAS, VOL 3. Cidadania, relações internaCionais, ComuniCação e resPonsabilidade social, pp.389-394

Gotoh, R. (2018). Can we draw a "realistic utopia" toward publicly reciprocal welfare state? A comparison of welfare programs between Japan and USA, Social Work & Society international online journal, Volume 16, Issue 2, 2018, pp.1-11

Kloeg, J. (2016). Utopianism and its discontents: A conceptual history, Algemeen Nederland's Tijdschrift Voor Wijsbegeerte, Vol. 108, No. 3, 2016, pp. 451-468.

Laurence, B. (2017). Constructivism, Strict Compliance, and Realistic Utopianism [Philosophy and Phenomenological Research], Philosophy and Phenomenological Research, pp.1-21, doi: 10.1111/phpr.12379.

Perlikowski, Ł. (2021). A Theory of Argumentation: The Case of Ethical, Political, and Utopian Thinking, Archiwum filozofii prawa I filozofii spolecznej spolecznej journal of the polish section of IVR, pp.54-70

Terlazzo, R., E. (2009, November). Achieving a Realistic Utopia: Rawls, Realization, and the Task of Political Philosophy, study of master, faculty of arts, Rhodes university.